دكتور بشير العيسوي

أستاذ مساعد الأدب الإنجليزي والنقد، كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

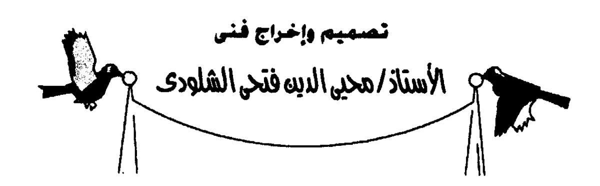
الترجمة إلى العربية

قضايا وآراء

الطبعة الثانية مزيدة منقحة
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

٤١٨,٠٢ بشير العيسوى.
ب ش ت ر الترجمة إلى العربية: قضايا وآراء/ بشير العيسوى. ـ ط٢، مزيدة ومنقحة. ـ القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٠.
٢٠٤ ص: جد؛ ٢٤ سم.
ببليوجرافية: ص١٩٧ ـ ٢٠٢.
يشتمل على ملاحق.
تدمك: ٣ ـ ٠٧٦٥ ـ ١٠ ـ ٩٧٧.
١ ـ الترجمة العربية. أ ـ العنوان.



حورس للطباعة والنشر (مهندس/ هشام الشربينى وشركاه)
١ ش المدق ـ خلف رقم ١٨٤ ش بورسعيد ـ السيدة زينب ت: ٣٩٥٧٦١٤



١٤١٦هـ
١٩٩٦م

إلى صديقى الأستاذ الدكتور/

فوزى عطية

العميد الأسبق بكلية الألسن (رحمه الله)، أهدى هذا العمل، فقد كان شاهداً على بداياته، وكان لأحاديثه فضل كبير فى بلورة بعض القضايا التى يحويها.

إهداء الطبعة الثانية

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



فى الفصل الثانى للعام الدراسى٩٨/٩٩ وأنا أقوم بتدريس طلاب السنة الرابعة، قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية، جامعة المنصورة، احتدم النقاش بينى وبين واحد من الطلاب المتميزين، طالبنى فيه أن أتغاضى عن الأخطاء اللغوية فى النص العربى المترجم عن نص إنجليزى، وكذا عن الأخطاء النحوية ـ كما عودهم أساتذتهم قبلى، على حد قوله. إلا أننى أصررت أن يكون النص العربى سليماً كما نُصِرُّ أن يكون النص الإنجليزى فى الترجمة سليمًا، وأخذنى الحماس للعربية فوجدتنى أقول دون سابق إعداد «من يفرط فى لغته يفرط فى عرضه»، فدوى المدرج ـ الذى كان يحضر فيه قرابة خمسمائة طالب ـ بالتصفيق مدة تزيد على الخمس دقائق.

إلى طلاب تلك الدفعة، وإلى تلك الذكرى الجميلة، أهدى الطبعة الثانية من هذا الكتاب عسى أن يكون فيه ما يزيد تمسكنا بلغتنا فهى أساس حبنا لأوطاننا وشعوبنا وقادتنا.

د. بشير العيسوى

المحتويات

الموضوع	الصفحة
- مقدمة الطبعة الأولى	٧
- مقدمة الطبعة الثانية	١١
- تعددية النص المترجم إلى العربية.	١٥
- غياب المفهوم التاريخى فى النصوص المترجمة إلى العربية: مثال من هوثورن.	٢٠
- تعريب العلوم وقضية الدولة : رد على د. الشاذلى القليبى.	٣٠
- عنانى وفن الترجمة : مناقشة لآراء الأستاذ الدكتور محمد عنانى فى كتابه «فن الترجمة».	٣٥
- وظيفة الترجمة.	٤٦
- اللغة العربية بين التصعيد والترجمة.	٥٥
- القويفلى وأدوات النقد: الرد على تعقيب د. محمد القويفلى «وظيفة الترجمة بين حرف المسطرة وحد المقص».	٦٥
- الترجمة الإبداعية.	٧٤
- ترجمة المصطلح النقدى.	٨٧
- إشكالية ترجمة البلاغة العربية: الجنادرية ١٢ ومترجم وهبة	١٠٦
- كتب الأصول: نترجمها أم نعرب جمهورها؟	١١٤

الموضوع	الصفحة
- جمـاليات القصيـدة المترجـمة إلى العربية: مـثال من إديث سيتويل	١٢٢
- من مشاكل الترجمة الفورية	١٥٠
- لغتنا والترجمة	
- ملحق (أ): تعريب العلوم.... قضية التنمية - د/ الشاذلى القليبى.	١٦٩
- ملحق (ب): وظيفة الترجمة بين حرف المسطرة والمقص - د/ محمد القويفلى	١٧٩
- ملحق (ج): أجـزاء القصـيدة مـوضوع الدراسـة فى مقـال «جماليات القصيدة المترجمة إلى العربية».	١٨٨
- المراجع العربية	١٩٧
- المراجع الأجنبية	٢٠١



مقدمة الطبعة الأولى

لن أضيف كثيرًا عندما أذكّر بأهمية الترجمة ودورها فى تاريخ الفرد والمجتمع. وكذلك لن آتى بجديد حين أذكّر بالعلاقة الوطيدة بين تعلم اللغات الأجنبية والترجمة إلى العربية - وخصوصًا أن حالة من الملل والانكسار النفسى التى تسود أوساطنا الثقافية يعزوها البعض إلى عوامل اقتصادية وعوامل أخرى لسنا فى مجال الخوض فيها.

ولقد شغلتنى بعض قضايا الترجمة إلى العربية، منها القضايا التى يناقشها كتاب اليوم. وهناك من يشاركنى الاهتمام بهذه القضايا، ولكن يبدو أن إثارتها كتابة لا يحظى بحماس ذلك البعض. إن قضايا الترجمة إلى العربية تستحق منا التوقف والدراسة والخلوص إلى نتائج عملية ومعقولة بعيدًا عن العبارات الإنشائية التى منها «ونرى إنشاء هيئة عليا للترجمة» و«فى رأينا أن تقوم لجنة بدراسة أحوال الترجمة». ستبقى الترجمة جهدًا فرديًا بالدرجة الأولى، أما دور المؤسسات - حكومية أو خاصة - فيأتى بالدرجة الثانية، حيث يكون لها دور التمويل والمساعدة فى النشر والتوزيع. وأشير هنا إلى مثال قائم ألا وهو سلسلة «عالم المعرفة» بدولة الكويت، فإن نسبة تزيد عن الستين بالمائة من أعمالهم المنشورة (١٩٥ عملاً حتى مايو ١٩٩٥) هى أعمال مترجمة من مختلف لغات العالم إلى العربية. والنظام المتبع فى عالم المعرفة يقوم على الدعوة فقط؛ أى أن المترجم يتقدم بمشروع الترجمة وإذا رأت اللجان الفنية أن ذلك العمل لم يسبق ترجمته، وأنه يستحق الترجمة فإنها توافق على ذلك المشروع. وبالطبع فإن لتلك المؤسسة المحترمة القدرة على التوزيع الكبير وكذلك الدفع المجزى للمترجمين الذين يبذلون كل مافى وسعهم لخدمة الثقافة العربية. وجامعة الملك سعود بها مركز متخصص فى الترجمة يقوم على أمره مجموعة متميزة من المتخصصين فى مختلف اللغات ومشاريعه الطموحة تشمل إصدار ببيليوجرافيا الأعمال المترجمة إلى العربية من مختلف اللغات، وهو ما طالبنا به فى أول دراسة فى هذا الكتاب حتى نتجنب تعدد الترجمات للنص الأجنبى الواحد. كما أن مشروع الألف كتاب، الذى تقوم به الهيئة المصرية العامة للكتاب، مشروع رائد يهدف إلى نقل الموجود الغربى إلى ثقافتنا العربية حسب خطة مدروسة ومنظمة.

إذن، الترجمة إلى العربية ينقصها عناصر أخرى غير وجود المؤسسات، فهاهى المؤسسات قائمة وموجودة. الترجمة إلى العربية فى حالنا الراهن ينقصها أن نجيب عن أسئلة جوهرية منها : ماذا نترجم؟ من يترجم؟

وبالطبع السؤال التقليدى الذى نحار فى الإجابة عنه: من هو المترجم؟ الإجابة على السؤال الأول تحتم أن يكون هناك تفاهم بين الجهات القائمة على الترجمة والمترجمين بغرض أن يجاز للترجمة فقط الأعمال الحديثة والمعاصرة التى تخدم علومنا وثقافتنا. ونحن لا نحدد تاريخًا بعينه لعمر الأعمال التى ينبغى ترجمتها، فالذى يحكم ذلك هو حاجتنا للإستزادة من المعرفة فى حقل ما، وليس ذائقة فرد يرى أن الكاتب فلان متميز ولذا يجب ترجمة أعماله كاملة وإضاعة السنوات فى إشباع رغبة ذلك الفرد حتى ولو كان أديبًا أو ناقدًا.

أما السؤال الثانى فإن إجابته هى كل قضية الترجمة. إذا كان من يترجم شكسبير وميلتون / مارلو وووردزورث هم خريجو أقسام اللغة الإنجليزية من جامعاتنا العربية، فمن يترجم موسوعات الطب والصيدلة والهندسة والصواريخ وعلوم الفضاء؟ وهنا أجدنى أتفق تمامًا مع ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور محمد عنانى، فى مناقشتى لآرائه فى هذا الكتاب، من أنه لا توجد لغة أدبية وأخرى سياسية وثالثة اقتصادية، ومن ثم لا يوجد مترجم أدبى وآخر سياسى وثالث اقتصادى. فالترجمة فن مَنْ يُجدْه يستطع أن يترجم فى أى حقل. والتخصص مطلوب، لكنه لا يعنى أن من يترجم الطب يكن طبيبًا. التخصص الذى نعنيه هو طول المراس فى تناول مواد حقل معرفى معين، فذلك مايكسب المترجم خبرة لغوية فى التعامل مع مصطلحات ذلك الحقل. ولابد أن أشيد هنا بتوصيات المؤتمر الذى عقدته أكاديمية البحث العلمى بالقاهرة، حول الترجمة العلمية (١٩٩٥) والذى أكد على أهمية التنسيق بين المترجمين والعلماء فى كافة التخصصات أثناء عملية الترجمة. فذلك مما يبعد كثيرًا من الإبهام والغموض فى النصوص المترجمة إلى العربية، ذلك أن معظم من يقومون بها هم من دارسى اللغة الإنجليزية وآدابها ومعرفتهم بالعلوم والطب - فى حد تقديرى - ليست عميقة.

أما السؤال الثالث: من هو المترجم؟ فإجابته لن تحددها مقدمة قصيرة



كـهذه. ولكن قـد يكون لى الحق أن أطرح تصـورى عن شخـصيـة المتـرجم. المترجم هو من يؤلف نصًا قبليًا، ويبحث بعد ذلك عن لغة يؤطره فيها. فإذا قرأ المترجم العـربى قصيدة لإليوت مثلاً، فـإنه يفهمها ويبدأ فى تأطيـرها بلغته وهى العربية فـيأتى ذلك النص عربيًا؛ قـد يكون له صفة النص العربـى الخالص، وقد تشوبه بعض الشـوائب التى تخرجه من ميـزة كمال النص العربى، إلا أنهـا تبقى محاولة لوضع ذلك النـص القبلى الذى رآه المترجم ونقله إلى العـربية هكذا. أما مؤهلات ذلك المترجم فلا أستطيع القطع بهـا، كأن نقول مثلاً أنه ينبغى أن يكون خريج كلية كـذا أو كذا. فذلك تحجيم لأفق عريض، وإلا فـمن أى كلية تخرج مترجـمو العصرين العبـاسيين الأول والثانى الذين نتحـدث عنهم فى الدراسة قبل الأخيرة من هذا الكتاب. إن وجـود كليات متخصصة يسـاعد فى تكوين المترجم الكفء، لكن العكس ليس صحيحًا.

أضع بين يدى القـارئ الكريم بعضًا مـن مشكلات الترجـمة إلى العـربية، وأطرح فيهـا بعضًا من آرائى التى قد نخـتلف أو نتفق حولها. ومن تلـك القضايا "تعددية النص المتـرجم إلى العربية» ـ لماذا يترجم نص إنجليزى ـ مـثلاً ـ عشرة مرات إلى اللغة العـربية، وفى كثير من الأصول يعلق كل مـترجم 'على حدة' أن ترجمته هى الأولى.

«غيـاب المفهوم التـاريخى فى النصوص المتـرجمة إلى العـربية» هى ثانى دراسة، وهى تناقش الأسمـاء والأماكن وتاريخهما فى الإنجليزية، وذلـك مفهوم لدى دارسى الإنجليزية، أو متكلمـيها، لكننا حين نترجمهـا إلى العربية فإن ذلك الفهم ينعدم تمامًا إلا إذا تدخل المترجم ليوضح بين حين وآخر معنى ذلك الاسم ومفهومه.

«اللغة العـربية بين التـصعيـد والترجمـة» دراسة توضح مدى صـلابة اللغة العربية وصمودها فى وجه موجـات الغزو اللغوى واحتواء المفردات التى ترد إلينا حديثًا إمـا بالترجمة الصرفـة، أو باستيعابهـا كما هى مع إضافـة الزيادات العربية عليهـا. أما «تعريب العلوم وقضـية الدولة» فهو رد على مـعالى الأستاذ الـدكتور الشاذلى القليبى حول مقال نشر بالأهرام فى ٢٧/ ٤/ ١٩٩٤ وأرسلت هذا الرد إلى الأستاذ لـطفى الخولى لكن يبدو أنه لم يحظ بالنشـر، وأنشر مع ردى ملحق (أ)



وفيه مقالة الدكتور القليبى لما لها من قيمة أدبية رفيعة من قلم رجل صاحب خبرة طويلة فى العمل العربى.

بعد ذلك «عنانى وفن الترجمة» أناقش فيها آراء متخصص وممارس للترجمة ومكابد لعناء النص. إن كتاب الدكتور عنانى - «فن الترجمة» - مرجع متميز فى الترجمة إلى العربية لا يجب أن تخلو منه مكتبة مؤسسة مهتمه بالترجمة.

أما «وظيفة الترجمة» فهى مقالة حاولت فيها أن أحدد بعض مهام وظيفة الترجمة فى حياتنا المعاصرة - وقد أثارت تلك المقالة جدلاً كان من نتائجه الرد الذى تفضل به الأستاذ الدكتور محمد القويفلى وكيل كلية الآداب جامعة الملك سعود، والذى أعتز بإعادة نشره هنا فى ملحق (ب)، وكذلك أنشر ردى على مقالته تلك.

«الترجمة الإبداعية» مقالة بذلت فيها الكثير من الجهد وأظننى أثير قضية لم يتطرق إليها أى من المهتمين بالترجمة إلا من بعيد. أما «ترجمة المصطلح النقدى» فهى آخر دراسة، أستعرض فيها المحاولات العربية لترجمة المصطلح النقدى من السبعينات وتحديداً مع ظهور «معجم مصطلحات الأدب» (١٩٧٤) للأستاذ الدكتور مجدى وهبة، ثم «المعجم الأدبى» (١٩٧٩) للأستاذ جبور عبد النور، مروراً «بموسوعة المصطلح النقدى» (١٩٨٣) التى جمعها جون جمب فى ثلاثة أجزاء وترجمها إلى العربية الأستاذ الدكتور عبد الواحد لؤلؤة، ثم «النظرية الأدبية المعاصرة» (١٩٩١) لرامان سلدن التى ترجمها إلى العربية الأستاذ الدكتور جابر عصفور، وصولاً إلى «دليل الناقد الأدبى» (١٩٩٥) للدكتور سعد البازعى بالاشتراك مع الدكتور ميجان الرويلى.

هذا، والله أسأل التوفيق من لدنه سبحانه وتعالى، كما أسأله أن يوسع رقعة المهتمين بالترجمة عمومًا، وخصوصًا الترجمة إلى العربية. كما أتقدم بالشكر إلى كل قارئ - اتفق أو اختلف - مع ماذهبت إليه فى هذا الكتاب المتواضع.

د. بشير العيسوى
القاهرة فى ٢٦ / ٧ / ١٩٩٥



مقدمة الطبعة الثانية

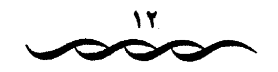
منذ أن صدرت الطبعـة الأولى من هذا الكتاب فى صيف ١٩٩٥ وأنا أتلقى كلمات الـشكر والتقدير مـمن قرأوه أو أهدى إليـهم أو استـعرضوه فـى الجرائد والمجلات. وقد كان العنصر المهيمن فى كلمات شكر الأصدقاء النقاد والأساتذة هو أن هذا الكتـاب نادر فى حقل نادر ألا وهـو الترجـمة إلى العـربية تحـديداً؛ قضاياها و مشاكلها. وقد أحسست بقـيمة هذا الكتاب عندما لقى اهتمامًا بالغًا من هيئة الإذاعة البـريطانية «هنا لندن» فقامت بمراجعتـه فى برنامج «حصاد المطابع» الذى يقدمه مـنير عبيد وقـدم العرض يومها الدكـتور فؤاد عبد الـرازق كما حظى الكتاب بنفس الاهتمـام فى مصر وعليه دعيت إلى برنامـج «مع النقاد»، بالبرنامج الثقافى بإذاعة القاهرة ـ منذ سنتين ـ ليناقشه لمدة ساعة علمان من أعلام النقد فى مصر هما الأستاذ الدكتور عبد الحمـيد إبراهيم والأستاذ الدكتور حامد أبو أحمد. إضافـة إلى ذلك فإن أستاذين للـترجمة أولهـما فى جامـعة مصر الدوليـة والثانى بالجامعة الأمريكية قد استخدما هذا الكتاب مرجعًا لقضايا الترجمة إلى العربية.

كل ذلك، إضافة إلى نصيـحة وتشجيع يذكر من الدكتور حـامد أبو احمد، دفعنى إلى أن أقدم على إصـدار الطبعة الثانية وأن أصحح الأخطاء المطبـعية التى وردت فى الطبعة الأولى وأنقـحها ثم أزيد عليها خمس مـقالات و دراسات أظن المهتمين بالترجمة إلى العربية يعرفون ندرتها فور قراءة عناوين تلك الدراسات ثم محـتواها. وعلى كل حال فـقد اجتهـدت قدر استطاعـتى. وليس ما ورد هنا هو نهاية المطاف فى القضايا المطروحة. إلا أننى أقدم وجهات نظرى فى قضايا مُلحة ورأيت تسجيلها لعل الآخـرين يستفيدون منها أو يفيدوننى بالتـصحيح والتصويب قدر الإمكان.

أول مقالة أضيـفت إلى الطبعة الثانية تحمل عنوان «إشكالية ترجـمة البلاغة العربية: الجنادرية ١٢ ومتـرجم وهبة» وهى تتعرض لواحدة من مشـاكل الترجمة

الفورية حيث تكون البلاغة العربية والأسلوب الفلسفى المعقد المحبوك معضلة ترجميه أمام أى مترجم فورى. وصحيح أن الالتفاف حول أصل الجملة العربية ممكن حتى الخروج بترجمة موازية تصل إلى أذن السامع غير العربى، إلا أن البلاغة العربية للنص الأصل تكون قد فقدت معظم زخمها وأحالت الصور البلاغية إلى مجرد مفردات إنجليزية يراد بها إيصال المعنى إلى السامع المتابع. كما تأتى الدراسة الرابعة وعنوانها «من مشاكل الترجمة الفورية» لتتناول خمسًا من مشاكل الترجمة الفورية وهى: ترجمة الاختصارات من الإنجليزية إلى العربية؛ سرعة إلقاء المحاضرين والمتحدثين؛ عدم الالتزام بالنصوص المكتوبة والاستخدام المفاجئ للشرائح الضوئية بدلاً منها دون أى تنويه مسبق؛ مفاجأة تغيير لغة الإلقاء من الإنجليزية إلى العربية أو العكس خلافًا لما هو معلن فى جدول الأعمال؛ وأخيرًا، تأثير اللغة الأم للمحاضرين على لغتهم الإنجليزية. ولقد قدمت تجربتى فى مواجهة هذه المشاكل من واقع مؤتمر «من بحر إلى بحر» الذى رشحنى للقيام بأعمال الترجمة الفورية فيه كلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود إبان عملى بها. ولقد وجدت واجبًا على أن أقدم هذه التجربة المتواضعة للمهتمين، فى حين أعلم أن معظم العاملين فى هذا الحقل ينسون ما جرى أثناء الترجمة ويعتبرونه ماضيًا فور خروجهم من كبائن الترجمة الفورية.

وتأتى الدراسة الثانية «كتب الأصول: نترجمها أم نعرب قراءها ؟» والدراسة الخامسة «لغتنا والترجمة» ضمن القضايا التى يمكن تسميتها بالقومية العامة للترجمة إلى العربية. «كتب الأصول كانت ردًا على سؤال من مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم، ووجه نفس السؤال إلى عدد من أساتذة الترجمة ونشرت الردود فى شكل كتيب صادر عن مركز البحوث. وقد رأيت أن تعريب جمهور غير العرب أفضل بكثير من ترجمة كتب الأصول مع جهد موازى لترجمة تلك



الكتب. أما القـضية الثانية التى تناولـها مقال «لغتنا والتـرجمة» فهى ضـعفنا أمام الأخر. وهذا الضعف يتمثل فى تخلينا عن لغتنا إلى لغته، والأخر هذه المرة ليس أمريكيًا أو إنجلـيزيًا أو فرنسيًا كـما تعودنا أن نعَرّفَ الأخر دومًـا، لكنه هذه المرة فلبـينى، بنغالى، هندى، أو باكـستـانى يأتى ليـعمل فى دول الخليج لاهـثًا وراء وباحثًا عن لقمة العيش. أى أن المواطن العربى هنا يكون فى مرتبة أعلى من ذلك القادم، إلا أن ما يحدث هو أن «السيد» العـربى يكاد يتخلى عن لغته الأم إلى لغة هلامية للتفاهم مع هذا «التابع» القادم. ولقد طرحت أمثلة من هذه اللغة الهلامية، ذلك إذا ما تعـذر على «السيد» استـخدام الإنجليزية وسيلة للوصـول إلى فهم أو إفهام ذلك التابع.

أما الدراسة الثالثة «جماليات القصيدة المترجمة إلى العربية: مثال من إديث سيتويل» فأعتبرها زهرة مقالات ودراسـات الطبعة الثانية ولى أن أعتز بها حيث أن الجهـد فيهـا كان مضاعـفًا إذا ما قـورنت بالدراسات الأخرى. فـقد استـعرضت الدراسة تاريخ ترجمة القصيدة العربية حـتى توقفت عند ترجمة «إلى قبرة» للشاعر الإنجليزى بيرس بايشى شـيلى وصولاً إلى ترجمة نذير العظمـة لقصائد من ديوان إديث سيتويل. وإذا كانت تـرجمة الشعر لدى كل المترجمين تـخضع دومًا لمبدأ بسيط وهو أننا نترجم الأغـرب والأحلى والأكثر قبولاً لدى الجماهيـر فإن ما أقدم عليه الأستاذ الدكتور نذير العظمة فـريد من نوعه حيث إن إديث سيتويل فى نثرها كما فى شـعرها تظل حبيـسة الضبابيـة اللندنية كما أن الحزن والـبؤس والفزع فى معظم قصائدها هو العنصر المهيـمن على كتاباتها. ولقد غبطت نذير العظمة على الكيفيـة التى واتته ليصبر أمام هذه الضـبابية» ويصل إلى نهاية مشروعـه الترجمى النادر لقصائد من إديث سيتويل.

وإذا كـان من شكر واجب هنا فـإننى أتقـدم بعظيم الشكر لكليـة اللغـات والترجمة بجامعة الملك سعود التى اتسمت و تتسم بالنشاط الأكاديمى الدؤوب،



الذى تفتقده كثير من كلياتنا اليوم، فكان من نتيجة ذلك أن ألقيت محاضرتين هما «من مشاكل الترجمة الفورية» وجماليات القصيدة المترجمة إلى العربية، أضعهما اليوم بنصيهما بين يدى القارئ فى الطبعة الثانية من هذا الكتاب. وعندما ألقيت محاضرتى «جماليات القصيدة المترجمة إلى العربية» وجدت زميلين وصد يقين وناقدين عزيزين هما الأستاذ الدكتور سعد البازعى يسارع إلى طلب نص المحاضرة لينشرها بمعرفته، وفعلاً نشرها فى مجلة «التوباد»، وكذا الدكتور معجب الزهرانى الذى طلب نفس الشىء وأظنه نشرها فى مجلة «علامات» رغم علمه أن البازعى فد سبقه وطلب نفس الشىء - فلهما الشكر والتقدير والعرفان. وإذا كان الشكر ليخص أحداً من أفراد أسرتى فأننى أوجهه إلى زوجتى التى بادرت وتحملت مشقة صف وجمع مقالات الطبعة الثانية على الكمبيوتر فى صبر وجلد حتى تجنبنى ونفسها مشقة وعناء مراجعة بروفات دور النشر التى ترتكب أخطاء مطبعية فادحة تجعل الواحد منا يتردد فى الإقدام على التأليف والنشر. وأشكر أخيراً القارئ العظيم الذى اشترى كل نسخ الطبعة الأولى. ففى زمن يعز فيه القارئ أجد نفسى مقروءاً لدى ألف قارئ. وهذا مما دفعنى بقوة لإصدار الطبعة الثانية، راجياً أن يكون فيها المزيد والمزيد من الفائدة للقارئ والمهتم والدارس والمحاضر وبالله التوفيق.

د. بشير العيسوى

القاهرة فى ١٢يوليو ٢٠٠٠م

الموافق ١٠ ربيع الآخر ١٤٢١ هـ



تعددية النص المترجم إلى اللغة العربية(*)

تعددية النص المترجم إلى اللغة العربيـة واحدة من القضايا التى تلفت انتباه دارسى الترجمة. وتتلخص القضية فى وجود عدد من الترجمات العربية التى تظهر من وقت لآخر فى بلدان عربية متباعدة أو متقاربة ثقافةً وحدودًا، وتلك الترجمات لا تختلف كثـيرًا عن بعضها البعض طالمـا أن خطة المترجم هى النقل عن النص الأصلى للعمل موضوع الترجمة. وتختلف النصوص المترجمة عن النص الأصلى فى حالات منفردة كـأن يعلن المترجم أنه يقوم بتـمصير مسـرحية لشكسبيـر مثلاً فتأتى أسمـاء أبطاله عربية مصرية وتأتى الأحداث والوقـائع مصرية وهذا النوع من الترجمات وكذلك الاقتباسات ليس موضوعنا اليوم.

ونحن لا ننكر على المترجم العربى تعددية النص المترجم إن كان لذلك ما يبرره، فظهور ترجمة عربية لعمل معين منذ مائة عام لن تكون صالحة لاستخدامنا الآن، وبذا تكون ترجمة ثانيـة أمرا واجبا وضروريا. ولكن وجود سـبع ترجمات لمسرحية «رومـيو وجوليت» فى فترات متقاربة أمر يدعـونا للتوقف، فقد ترجمت تلك المسرحية فى السنوات: ١٨٩٨ ترجـمها عبده طاينوس، وفى ١٩٦٠ ظهرت ثلاث ترجمات وهى لسمير شيحـانى، ومؤنس طه حسين، وحسن محمود، وفى ١٩٧٨ ظهرت تـرجمتـان لكل من جمـال غازى وعلى أحـمد باكـثيـر. وكذلك الأوديسـة لهوميـروس تُرجمـت ثلاث مرات: فى ١٩٤٧ ترجـمتـها عنبـرة سلام الخالدى، وفى ١٩٦٠ ترجمها درينى خشبه، وفى ١٩٧٨ ترجمها أمين سلامة.

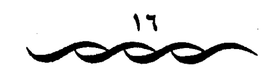
إن تلك الظاهرة تستدعى منا التوقف فى محاولة لدراسة الأسباب التى أدت إلى وجودها ومن ثم محاولة تلافيـها كى لا تتكرد دونما داع فعلى وعملى. ومن بين تلك الأسباب، كما يتبين لى ما يلى:

١ـ عدم وجـود رابطة للمتـرجمـين العرب يسـتطيعـون من خلالها تنـسيق أعمالهم التى ينوون ترجمتها مسبقا، وكذلك التى تم ترجمتها سابقا وأذكر هنا أن

(*) نشـرت فى جريدة "عكاظ" ـ الصـفحـة الثقـافيـة ـ العدد ١٠١١٧ بتـاريخ ٢٠/٤/١٩٩٤ تحت عنوان "شكسبير وسبع ترجمات عربية".



أستاذنا الدكتور رمسيس عوض قد أمضى ومعه فريق من خريجى عام ١٩٨٣ بكلية الألسن قسم اللغة الإنجليزية، أمضوا ذلك العام وهم يكدون ويجتهدون فى سبيل إخراج ترجمة رواية جورج أورويل «١٩٨٤» مع بداية السنة الميلادية التالية وهى ١٩٨٤وقد نجح الرجل فى ذلك المضمار وفرح الجميع بذلك الإنجاز، وخصوصا أنه قد صاحبته دعاية إعلامية وتلفازية جيدة. إلا أن الفرحة لم تدم طويلاً إذا اكتشفنا أن ذلك النص قد ترجم من قبل. فقد ترجمه السورى ع. عبد الرحيم والنسخة المترجمة الموجودة بجامعة الملك سعود لا تحمل تاريخا للنشر ولكن لون الأوراق يعطيها من العمر ثلاثين عاما على الأقل، أى أن ترجمة ع. عبد الرحيم سبقت ترجمة رمسيس عوض بعشرين عاما تقريبا وقامت بنشرها دار الأديب للطباعة والنشر فى دمشق. وخبت الفرحة أكثر عند علمنا أن الأستاذ عزيز ضياء فى المملكة العربية السعودية كان يقوم بنفس الجهد ولديه نفس شعور رمسيس عوض فقدم ترجمةلتلك الرواية تحت عنوان «العالم عام ألف وتسعمائة وأربع وثمانين» وظهرت مع بداية عام ١٩٨٤ للميلاد. وقد قدم لها باستفاضة بالغة وقيمة قاربت الأربعين صفحة من القطع الكبير، ويقول: «وبعد ، فها هى القصة تنشرها شركة تهامة، مترجمة إلى اللغة العربية، ولأول مرة فى العالم العربى، وفى مطلع عام (ألف وتسعمائة وأربعة وثمانون)، وتتداولها أيدى القراء فى هذا العالم الذى عاش الأعوام الثلاثة الأخيرة، أخطر تطورات قضيته الكبرى التى أسميها قضية حرب الثلاثين عاما. . . » (ص ٣٢). وتضيع البقية الباقية من الفرحة حينما نعلم أن عبد الكريم ناصيف قام بترجمة رابعة للقصة نفسها عام ١٩٨٦ وتقوم بنشرها دار نوبل فى دمشق. تخيلت بعد هذا أننا نعيش فى عوالم معزول بعضها عن البعض الآخر، وأن وسائل الاتصال التى نتحدث عنها قد انعدمت تماما حتى فى هذه الموضوعات التى تتداولها المجلات والصحف السيارة. لذا فإن وجود رابطة للمترجمين العرب ليس رفاهية وليس ترفا، لكنه ضرورة ملحة لتنظيم الجهد والوقت وتقديم كل ما يفيد القارئ العربى ويثرى ثقافته.



٢ـ عدم وجود وسائل اتصال بين المترجمين والجهات القائمة على الترجمة. فبالرغم من وجود أجهزة الاتصال الحديثة من تليفون وتلكس وفاكس وقبلهم أجهزة التيكر والتليبرنتر، إلا أننا نجد مترجمى المشرق فى واد ومترجمى المغرب فى واد ثان، ومترجمى الشام فى واد ثالث. ولا أظن أنه يمكن الاستفادة من هذه الوسائل الاتصالية إلا بوجود هيئة تنظم تلك الصلات والروابط، فعلى مستوى الأفراد لابد أن تكون هناك رابطة فى كل دولة عربية تتولى تمثيل هؤلاء الأفراد، أما على مستوى الهيئات القائمة على الترجمة فإن عليها أن تقوم بالاتصال ببعضها البعض من وقت لآخر. أننا فى عالم يبدو ـ مع وسائل الاتصالات الفضائية ـ كأنه قرية صغيرة، فلماذا لا نستفيد من تلك الوسائل زهيدة التكاليف؟

٣ـ أنه مع وجود هيئات للترجمة فى كل دولة عربية، إلا أن تلك الهيئات تصطبغ بالصبغة السياسية البحتة، وكذلك الإقليمية المتغطرسة. وذلك أخطر ما فى الأمر، وهو يقضى على كل أمل باق فى حل تلك المشكلة. فإذا كان جل ما نتمناه أن تقوم فى كل بلد عربى هيئة للترجمة والمترجمين. فإن قمة اليأس تأتى عندما تكون تلك الهيئة تبعا لسياسة البلد الذى توجد فيه. ولا يسعنا إلا أن ندعو دوما إلى نبذ القوميات عند تناول موضوعات الثقافة والفكر على عمومها.

٤ـ عدم وجود بيبليوجرافيا للأعمال المترجمة إلى العربية تغطى الأعمال الموجودة فى العالم العربى. ورغم أن مراكز جمع المعلومات كمركز الميكروفيلم فى الأهرام بالقاهرة يقدم عرضا مطبوعا ومنشورا بين الحين والآخر إلا أن الأعمال المترجمة المنوه عنها تبقى حبيسة الإقليمية، ورغم أن داراً تونسيه قد أصدرت دليلا للمترجم وهيئات الترجمة فى العالم العربى، إلا أن تصفح ذلك الدليل يدلنا أن المعلومات التى فيه ليست حديثة كما أن عدداً من المترجمين المذكورين فى الدليل لاقوا ربهم منذ سنوات، ويتبين أن تلك المعلومات أخذ معظمها من صفحات الكتب، وهذا أمر طيب، ولكننا نريد معلومات من خلال اتصال مباشر بالقائمين على الترجمة.



٥ ـ وأقترح أن يتم إنشاء بيبليوجرافيا للأعمال المترجمة إلى العربية تشارك فيها كليات اللغات والترجمة فى الوطن العربى حيث إنها تمثل بيوت الخبرة فى حقل الترجمة، وأن يتم تطوير تلك البيبليوجرافيا سنويا وذلك بإضافة ما يطرأ من مستجدات فى حقل الأعمال المقدمة. وأقترح أن تقسم تلك البيبليوجرافيا على النحو التالى:

أ ـ قسم للهيئات القائمة على الترجمة فى العالم العربى ويشتمل على الهيكل التنظيمى لتلك الهيئات مع أسماء القائمين عليها وعناوينهم وكذلك أرقام الهاتف والفاكس إن وجدت. ثم كشاف بيبليوجرافى بالأعمال التى تم ترجمتها والتى تنوى تلك الهيئات ترجمتها مستقبلا.

ب ـ قسم للأفراد المشتغلين بالترجمة، وهذا ـ فى نظرى ـ أهم من القسم السابق. ويشتمل على اسم المترجم وعنوانه وأرقام الهاتف والفاكس إن وجدت. ويتم محاولة إيجاد حقول متخصصة لكل مترجم، فمثلا يمكن تخصيص حقلين رئيسيين للترجمة هما العلمية والأدبية، وعنهما تتفرع تخصصات أخرى مثل الترجمة الطبية وترجمة العلوم البحته (الفيزياء ـ الكيمياء ـ الأحياء ـ الرياضيات ـ الفلك ـ الهندسة ـ النبات) وترجمة العلوم الإدارية والاقتصاد والحاسب الآلى، وقد يتفرع عن الترجمة الأدبية حقول مثل ترجمة التاريخ والفلسفة واللغة والأدب بتخصصاته المتعددة فى الشعر والنثر والأسطورة، وكذا علوم اللغة المختلفة.

إن تلك البيبليوجرافيا ستعتمد على جهود أفراد يعملون فى نطاق فريق واحد تحت منظومة واحدة، ويتم فى النهاية تبادل تلك البيبليوجرافيا مع كل الهيئات العربية المشتغلة والمهتمة بالترجمة على أن يطلب إلى تلك الهيئات موافاة الهيئة المسئولة عن البيليوجرافيا بما يمكن إضافته إليها، حتى يتم تحديث الطبعات التالية من ذلك العمل الذى أعتقد أنه بداية البداية فى تنظيم عملية الترجمة إلى العربية. ومن ناحية الكلفة الاقتصادية فإنها لا تحتاج إلى ميزانية خاصة كتلك التى نسمع عنها فى المشاريع الطموحة، فهى لن تتعدى تكلفة طبع كتاب، تكتب أصوله على الآلة الكاتبة فقط، أو باستخدام الكمبيوتر.



٦- تظهر تعددية النص المترجم إلى العربية فى النصوص الأدبية فقط ولا تظهر فى النصوص العلمية، حتى ليبدو وكأن الترجمة إلى العربية مقصورة على الأدب فقط. وهذا تحجيم لدور الترجمة. لذا وجدنا أن عددا كبيرا من أساتذة العلوم يقومون بترجمة الأعمال العلمية التى يقومون بتدريسها بلغات أجنبية إلى العربية، وكذلك تلك التى تستخدم كمراجع بحثية لطلاب الدراسات العليا. ونحن لا نعيب هذا المنحى على هؤلاء الأساتذة، ولكننا نخلص من موقفهم ذلك إلى عدم موثوقية ما يمكن أن يقدمه مترجم النص الأدبى، وكأننا أمام فريقين: فريق الأدباء وفريق العلماء، وهذا خطر كبير. فنحن لا نستطيع أن نبنى ثقافة أمة وفكرها مع وجود هذا الشقاق البين بين العالم والأديب.

وتستطيع الجامعات العربية - حلاً لهذا الإشكال - أن تقوم بترشيح عدد من الأعمال فى الأصول الأجنبية للترجمة إلى العربية وأن تعطى تواريخ محددة يتوقع فيها ترجمة تلك الأعمال، وعند ظهورها تلزم طلابها أن يتخذوها كتبا دراسية أو مرجعية. إن ترجمة العالم العربى للأصول الأجنبية تظهر فيها جفوته للعربية وهذا ما يكرهه الأديب، وترجمة الأديب للنص العلمى تظهر فيها شاعرية اللغة العربية وهذا ما يكرهه العالم. ولذا وجب وجود قناة يتم من خلالها الاتصال وتبادل الرأى حول كل مصطلح علمى وما يمكن أن يقابله فى العربية. ولكن أن نظل نستخدم ألفاظا إنجليزية أو فرنسية أو ألمانية كما هى عقوداً من الزمن قائلين بأن العربية لا يوجد فيها هذا المعادل فهذا القول غير واقعى وينم عن عجز فينا وليس فى لغتنا.

مما سبق يتضح أن تعددية النص المترجم قضية قائمة وهى لابد أن تواجه كل المشتغلين بالترجمة. إنها ليست مشكلة خطيرة تصل إلى حد إعاقة الترجمة ذاتها، وكذلك هى ليست هينة إلى حد تجاهلها. لذا وجب أن نتوقف أمامها وندرس بعض الأسباب التى رأيت أنها مسئولة عن وجودها واقترحت بعض الحلول المتواضعة لحلها. وأسباب المشكلة وحلولها لا تنحصر فيما قلت فقط وإنما هى محاولة لعلاجها وقد يكون للآخرين تعليق وتعقيب، فمن الرأى الآخر نستفيد ومن النقاش نتعلم.



غياب المفهوم التاريخى فى النصوص المترجمة إلى العربية

أجد من الضرورى فى المقدمة أن أسأل سؤالين.

الأول : ماذا يتبادر إلى ذهن العربى لو ذكر اسم "الحجاج" مفرداً دون إضافة نسبة وفخده ؟ بالطبع تستدعى صورة ذلك الرجل فى العمامة وهو يعتلى المنبر فى الكوفة يقف خطيبا يهدد ويتوعد من قذفه بالحصا، وتستمر الذكرى إلى أن تصل مداها بصورة السيف الذى أعمله الحجاج فى أهل العراق والرؤوس التى أينعت وحان قطافها، وتستدعى الذاكرة صفات القسوة والشدة جميعا التى اتصف بها الحجاج بن يوسف الثقفى ذلك القائد الذى لا ينساه التاريخ العربى لتفرده ولنوادره.

الثانى ماذا يتبادر إلى ذهن العربى عند السماع أى من الأسماء التالية: السيدة هيبينز، الحاكم بيلنجهام، أو جون ولسون؟[1] وهى من الأسماء التى وردت فى "الشارة القرمزية" (١٨٥٠) مترجمة إلى اللغة العربية؟

أظن أن الإجابة فى هذه الحالة ستكون لاشئ، فتلك أسماء غير عربية لشخوص غير عرب، وسيكون لتلك الأسماء معنى معين لدى دارس الأدب الأمريكى ولدى المتخصصين فى تلك الفترة التى تدور فيها أحداث " الشارة القرمزية" وهى ١٦٤٠ كما يدعى ناثنيال هورثورن (١٨٠٤- ١٨٦٤) على لسان الراوى فى تلك الرواية التى يضعها هارى ليفين على رأس قائمة الأعمال الكلاسيكية فى الأدب الأمريكى[2]. وبالطبع لن يخلو الرد من إشارات تاريخية متعمقة موضحة كل اسم ودلالته ولماذا أورد على هذا النحو.

الأعمال الأدبية لا تخلو من الإشارات التاريخية من وقت لآخر، وتلك الإشارات جزء من ثقافة وحضارة اللغة التى تكتب بها تلك الأعمال ومن ثم لا يصعب على أهلها المتكلمين بها فهمها والنفاذ إلى مغزى إيرادها هنا أوهناك. وعليه يكون ذكر "الحجاج" فى أى مطبوعة عربية مفهومًا، أما ذكر السيدة هيبينز والحاكم بيلنجهام وجون ولسون فلا يعنى للقارئ العربى شيئًا يذكر. وهناك من يكابر بالقول إن دارس الأدب الأجنبى عليه أن يلم بالتاريخ والثقافة والفكر للفترة التى كتب فيها العمل موضوع الدراسة، وأظن أن هذا مطلب طموح.



لذا كانت الأعمال المترجمة إلى اللغة العربية خالية من المفهوم التاريخى الموجود فى النصوص الأصلية للأعمال المنقول عنها. ولقد لمست هذا فى ترجمة "الشارة القرمزية" للأستاذة جاذبية صدقى، فخرجت الترجمة ـ رغم دقتها وموثوقيتها ـ غير مكتملة الأبعاد، لأن التاريخ فى تلك القصة جزء أساسى لفهمها فى الإنجليزية التى كتبت بها، فما بالنا فى العربية التى ترجمت إليها.

قامت الأستاذة جاذبية صدقى بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بالقاهرة ونيويورك بترجمة *The Scarlet Letter* تحت عنوان "الشارة القرمزية" وذلك فى عام ١٩٥٨ . ومعلوم أن هوثورن كتب تلك القصة بعد تسع سنوات قضاها فى جمرك مدينة سيلم. والقصة التى تقع فى مائتين واثنين وستين صفحة من القطع المتوسط تنقسم إلى جزءين : مقدمة عن جمرك سيلم فى سبع وأربعين صفحة، والقصة وهى فى مائتين وخمس عشرة صفحة. وقد كتب معظمها فى عام ١٨٤٩ وأكملها فى فبراير ١٨٥٠ وظهرت للقراء فى مارس من نفس العام. ولقد وفقت المترجمة فى العنوان أيما توفيق "فلو أنها ترجمت العنوان حرفيا لقالت، الحرف القرمزى، وخسرت بذلك وهج الصورة وقدرتها على التوصل فاجتهدت فى الترجمة وأحسنت"(٣) ولو أن جاذبية صدقى وقعت فى خطأ ترجمة العنوان لكان "الحرف القرمزى" أضحوكة.

إن هيستر برن(٤) تخون زوجها إبان غيابه وتحمل سفاحا وتضع مولودتها ويحكم عليها رجال الكنيسة عليها بأن تضع قطعة من القماش القرمزى تنسج عليها هيستر بيدها بخيط ذهبى دقيق الحرف الأول من حروف الأبجدية الإنجليزية وتضع القماشة القرمزية وعليها ذلك الحرف على صدرها طيلة حياتها الباقية. وتلك ـ تعريفًا ـ شارة وليست حرفا. وهذا الحرف A هو بداية كلمتى Adulteress و Adulterer ومعناهما زانى أو زانية من المتزوجين، وكأن المحكمة الكنسية لم تكتف بقرار الإدانة الذى أصدرته وسجلته، لكنها حكمت بتقريع تلك الخاطئة أينما ذهبت بتلك الشارة القرمزية.

فى النص الإنجليزى، طبعة Riverside إحدى وسبعون هامشا، أدخلها الناشر هارى ليفين لأسماء أشخاص وأماكن وأحداث تاريخية فى المقدمة



والقصة. ويمكن للقارئ فى النص الإنجليزى فهم البعض منها لكن أكثرها يحتاج إلى توضيحات فى الهوامش بدونها لا يكتمل المعنى الذى قصد إليه هوثورن، ولقد جاءت الترجمة العربية خالية من أى من تلك الهوامش، إلا هامشًا واحدًا فقط وهو حول ما كان هوثورن ينوى نشره مع هذه القصة ثم اثنى عنه [٥]. وهذا ما أفقد النص المترجم الكثير من روعة النص الإنجليزى.

وأورد هنا أربعة أمثلة فقط لتوضيح ،وجهة نظرى:

١ـ نقرأ فى النص الإنجليزى :

"...With a description of my way of Life in the deep quietude of an Old Manse House".

وترجمت إلى العربية على النحو التالى: "بوصف أسلوب حياتى فى بيت قديم هادى" [٧]. وفى الهامش يقول هارى ليفين فى النص الإنجليزى أن هذه الفقرة إشارة إلى كتاب هوثورن Mosses from an Old Manse Hosue (1846)، حيث قدمه بقوله «إن المؤلف يجعل القارئ ملمًا بمكان إقامته». إذن فلفظة «بيت قديم هادى» التى فى الترجمة لم تعطنا هذه الإشارة التاريخية إلى Old Manse Hosue وهو منزل جد رالف وولدو إميرسون (١٨٠٣ ـ ١٨٨٢) الذى أقام فيه هوثورن والذى كتب فيه إميرسون رائعته Nature «الطبيعة» فى عام ١٨٣٦. كما كان له أثر عظيم فى كتابة هوثورن لرائعته «أعشاب من البيت القديم».

٢ـ فى نفس الصفحة نقرأ:

"The example of famous P.P Clerk of Parish"more fatithfully Followed"

وترجمتها فى النص العربى: «وسوف أقلد كمثل أعلى، القطعة ذائعة الصيت" ب.ب كاتب الإبربشية ـ يوضح لنا الناشر فى هامشه أن يوميات هذه الشخصية الخيالية ـ ب.ب. كاتب الإبرشيه ـ كانت فى المحيط الأدبى لألسكندر بوب (١٦٨٨ـ ١٧٤٤) وكانت تلك اليوميات تقليدا ساخرًا لعادة الخروج عن النص إلى كتابة السيرة الذاتية والتى ظهرت فى كتاب جلبرت بيرنيت *History of His Own Time* إذن لم يعطنا النص العربى أى إشارة ممكنة إلى هذا الزخم التاريخى



والثقافى الذى تعطيه الفقرة الإنجليزية. وأهم من ذلك ما نفهمه من أن هورثورن ينوى الدخول إلى السيرة الذاتية وأن أمامه عمل بيرنيت كمثال.

٣ـ فى النص الإنجليزى نقرأ:

"The Figure of that first ancestor, invested by family tradition with a dim and dusky grandeur to my boyish imagination"[٩]

وهى فى النص العربى: "فشبح ذلك الجد الأول الذى أضفت عليه تقاليد الأسرة عظمة قاتمة كان يشاغل خيال صباى منذ بدأت أعى" [١٠] هذا الجد الأول كما فى الهامش الإنجليزى ـ وليام هوثورن ـ رائد فى ميليشيا بلدة سيلم، وكان متحدثا باسم نواب ماساتشوستس، وقد هاجر من إنجلترا إلى أمريكا فى عام ١٦٣٠م. وأضيف، أنه كان من القضاة البيوريتانين الذين حاكموا ساحرات سيلم، فى سلسلة المحاكمات المشهورة، ومن النقاد من يقول أن هوثورن كتب "الشارة القرمزية" ليعتذر عن فعلة جده فى حق هؤلاء الساحرات وإن كنت شخصيًا لا أميل إلى تأييد هذا الرأى. على أية حال الترجمة العربية باغفالها لهذا الهامش، أو أى معالجة أخرى له، لم تعطنا البعد التاريخى ـ للجد الأول وشبحه ـ الذى نتلمسه بسهولة فى النص الإنجليزى.

٤ـ فى النص الإنجليزى:

"...,-Or whether, as there is fair authority for believing, it had sprung up under the footesps of Sainted Ann Hutchinson as she entered the prison door, -we shall not take upon us to determine"

يقابلها فى النص العربى: "...."[١١]أو تصدق الوثائق والمستندات التى تؤكد أنها ازدهرت تحت أقدام القديسة، آن هتشنسون، وهى تخطو داخل السجن"[١٢]. آن هتشنسون (١٩٥١ ـ ١٦٤٣) زعيمة دينية نفيت لآرائها المنشقة على الكنيسة إلى رود آيلاند وهناك قتلها الهنود. كأننا بهوثورن يريد أن يقول أن هيستر برن أيضا قديسة، وهو يرفعها إلى درجة آن هتشنسون واستبدل الهنود الحمر برجال المحكمة الذين نراهم فى الفصل الثالث.



إضافة إلى الأمثلة الأربعة السابقة، فإن اختيار الأسماء فى "الشارة القرمزية" لم يكن خبط عشواء. إنما اختار هوثورن كل اسم وماله من مدلولات تاريخية معينة فى المجتمع الأمريكى وغير فيه بعض الشىء ليخدم هدفه الفنى فى القصة. ونتوقف أمام ستة أسماء أوردها هوثورن.

١ ـ هيستر برن. يقول التاريخ أن شخصا يدعى وليام برن (١٦٠٠ ـ ١٦٦٩) كان من أوائل التطهيريين الذين قدموا إلى أمريكا وكان معروفا بأنه كاتب وناشر. وقد يكون لهوثورن هدف وراء الاسم، فنحن نعلم ـ من القصة ـ أن هيستر برن متزوجة من العالم الطبيب روجر تشلنجورث ولكنها لا تحمل اسمه فتكون هيستر تشلنجورث، وهى تحمل بدلا من ذلك اسم عائلة برن. ولا أظن أن هوثورن فعل ذلك خطأ. ربما قصد القول أن واحدا من هؤلاء التطهيرين هو أبوها لأنها تحمل اسمه، كما أن واحدا منهم هو سبب بلوتها ومحنتها وهذا ما يتبين من سرد أحداث القصة فيما بعد حيث نعرف أن السيد آرثرديمزديل هو شريكها فى جريمة الزنا التى تمخض عنها ميلاد بيرل وكل المصائب التى حلت فى حياة هيستر برن بعد ذلك.

٢ ـ السيدة هيبينز. يقول هارى ليفين فى هامشه أن السيدة هيبينز هى أرملة وليام هيبنز وهو تاجر من بوسطن. وقد أعدمت تلك السيدة فى التاسع عشر من يونيو عام ١٦٥٦ لممارستها السحر [١٣]. والسيدة هيبينز فى "الشارة القرمزية" هى شقيقة الحاكم بيلنجهام رئيس محكمة هيستر وهى تعمل فى السحر وتحبه وقد أعدمت فيما بعد كساحرة. وكأن هوثورن يقول إن من يحاكمون الناس على خطاياهم ينسون أن بيوتهم تزخر بخطايا أخرى مماثلة.

٣ ـ الحاكم بيلنجهام. يقول هارى ليفين فى أحد هوامشه: " ريتشارد بيلنجهام (١٥٩٢ ـ ١٦٧٢) هو حاكم مستعمرة الخليج فى الأعوام ١٦٤١، ١٦٥٤ وفى المدة من ١٦٦٥ إلى ١٦٧٢. وهذه التواريخ لا تناسب أيًا من السنوات فى الجدول الزمنى الذى يستخدمه هوثورن "[١٤]. إن هوثورن يحدد زمن روايته فى عام ١٦٤٠ وهى السنة التى حوكمت فيها هيستر برن، فكأننا به وقد أخطأ فى تحديد الزمن كما يقول ليفين. أى أن هوثورن كان على وعى تام أنه يختار أسماء شخوصه بعناية فائقة وحرص شديد إلا أن حرصه هذه المرة لم يصب فأخطأ فى درس التاريخ.



٤ ـ جون ويلسون. هو أحد أعضـاء هيئة محاكمة هيسـتر برن ويقول ليفين أن " جون ويلســون واحد من قادة البيــورتيانين وعاش فى الفــترة من ١٥٩١ إلى ١٦٦٧ "[١٥] والهامش بما فيه يكفى.

٥ ـ الحـاكم وينثروب. يـقول هارى ليـفـين: " جون وينثـروب (١٥٨٨ ـ ١٦٤٩) هو أول حاكم لمـستعمـرة الخليج فى ماساتشـوستس "[١٦] ولا أظن أن هذه الأسماء التاريخية جاءت بالمصادفة البحتة فى ذهن هوثورن عند كتابة قصته. إنه يريد شهـودا من التاريخ كـما يريد بشكل أو بآخـر أن يقاضى هؤلاء الشـهود ويحاكمهم وهو فى حالات معينة يجلدهم كما فعل فى هيبنز وبلنجهام وديمزديل.

٦ ـ فى الصفحة ١٢٦ من النص الإنجليزى، يذكر هوثورن اسم سيرتوماس أوفر برى وهو كاتب من عصر اليعاقبه [١٧] حكم عليه بالموت بالسم لشهادته فى قضية طلاق فاضحة، ويشير إلى أسم دكـتور فورمان، وهو كما يورده هارى ليفين فى الهامش " دكـتور سيمون فـورمان (١٥٥٢ ـ ١٦١١) عالم فلك، وكيـميائى، وهو من الكويكرز حيث تبـين أن لمراسلاته دليل دامغ فى المحكمـة التى انتهت بإعدام أفوربرى عام ١٦١٥ "[١٨].

إن هوثورن يقصد إلى عقد مقارنة بين حـالة دكتور فورمان والسيد أوفربرى من ناحيـة، وحالة ديمـزديل وتشلنجورث من ناحيـة أخرى. فديـمزديل يرتكب خطيـئتـه مع هيـستـر برن ولا أحد يظن أو يـشك بأى حال من الأحـوال أنه هو شريكها فى تلك الفعلة. ومن المفارقات المضحكة أن هيئة المحكمة تنتدب السيد ديمزديل ليحقق معها وينتزع منها اعترافًـا باسم شريكها فى جريمتها. وحين تلتقيه هستر تبلغه أنها لن تذيع سره وأنها ستبقى تتعذب وحدها ولن يعرف أحد بما وقع بينهما. لكن دكـتور تشلنجورث الذى يعيش مع ديمـزديل فى نفس المسكن يظل يثير قـضية هيستـر برن ومالها من جـوانب ـ فهو زوج هيستـر ولكن ديمزديل لا يعرف ذلك أيضا ـ حتـى يجبره على الاعتراف بأنه ـ ديمزديل ـ شـريك هيستر فى فعلتهـا. إن الجو النفسى الذى يضع فيـه تشلنجورث ديمزديل يجبـر الأخير على الاعتراف بعد تردد طويل مما يؤدى به إلى ارتقاء المـقصلة معلنًا أنه شريك هيستر برن. وبدلا من شارة قـرمزية صنعت من القمـاش والخيوط الذهبيـة، كتلك التى ترتديها هيستـر، نرى قطعة من صدره وقد التهبت واحـمرت كالنار ونقش الحرف A الذى يعنى فى حالته "زانى" كما يعنى فى حالة هيستر "زانية".



إلى جانب تلك الأمثلة التى نرى مـن خلالها غياب المفـهوم التاريخى فى الترجمة العـربية فى حين أنه يوجد ماثلا فى النص الإنجليـزى، أسوق مثالا لعله يفوق سابقيه فى هذا الخصوص. فى النص الإنجليزى نجد الفقرة التالية:

" It was time, at length , that I should often exercise other Faculties of my nature and nourish myself with for which I had appetite. Even Old inspector was desirable, as a change, as a change of diet to a man who has [١٩]Known Alcott"

وهى مترجمـة إلى العربية على النحو التالى: «حـان الوقت أخيراً لأمارس مواهبى الطبيعية الأخرى، ولأغـذى نفسى بطعام لم أكن أميل إليه من قبل. حتى المفتش الهـرم، فى حال كحالتى، كان مرغـوبا فيه كتغييـر فى طعام رجل عرف ألكوت[٢٠] النص الإنجليـزى يتـحدث عن مـرافـقة هورثـورن لأقطاب مدرسـة الترانسندنتـالية (التعالى) والـعمل معهم فى مـزرعة بروك، وهى مزرعة أقـاموها لتكون مثالاً يحتـذى للعالم العامل، وخسر فيـها هوثورن ألف دولار أمريكى بعد أن عمل فـيها عـاما ونصف العام إضـافة إلى ذلك فقـد تعرف على رالف وولدو إميرسون. الذى ظهر اسمه فى الترجمة العربية تحت اسم "إمبرش" [٢١]. وأظن ذلك خطأ مطبعى. وتعرف أيضا على إليرى تشاننج (١٨١٨ ـ ١٩٠١) والذى ظهر فى الترجمـة العربية تحت اسم "إيمـيرى شاننج" [٢٢] وأقول ثانية أن ذلك خطأ مطبعى. إذن لم يكن مـا ذهب إليه هوثورن هو تغيير نوع طعـام البطن الذى تعود عليه فـترة طويلة. إنما هو تغـيير طعام الـعقل وتغييـر لصحبـته من أقطاب تلك المدرسـة. إن تجربة هوثورن الفاشلة فى مـزرعة بروك دفعتـه إلى أن يهز كتفـيه لجميع مدارس التفكير الطوباوى[٢٣]، وأخذ ينهج منهجه الخاص فى تقديم صورة فاضلة لعـالم يخلو من الرذيلة والإثم. يقول هارى ليفـين معلقا على هذه الفـقرة من المقدمـة: "بعد صحبة برونسون الكوت والـترانسدنتالية فى أوج مراحلهـا غير العمليـة، رحب هورثورن بتغييـر توجهاته(as a change of diet)[٢٤] وصحيح أن الكلمة الإنجليزية تعنى طعام أو أكل لكن أحد معانـيها الأخرى كما فى وبستر هو تجمع رسـمى لأمراء أو مسئـولين وأظن هذا ما قصده هوثورن. حـتى وإن بقيت



الكلمة diet تعنى الأكل والطعام فهى تـعنى اصطلاحًا أيضا تغيير نمط معين من الأنماط، لا تغـيير نوع الطعام كـما هى فى الترجـمة الحرفيـة للمصطلح. وهذه تدخلنا فى قضيـة أخرى من قضايا الترجمة ألا وهى ترجـمة المصطلح وهذا ليس مكانها.

وبعد، فإن غياب المفهوم التاريخى فى النصوص المترجمة إلى اللغة العربية مشكلة لا تعوق عملية الترجمة ذاتها، لكنها تعوق فهم النص عند قراءته، أى أنها مشكلة من مشاكل المتلقى. ونحن ننشد الكمال عندما نريد حلها أو تصور حلول لها، ذلك أننـا نريد أن نصل بالنص بالعربى إلى روعـة وحيوية النـص الإنجليزى كمـا فى المـثال الذى مـعنا فى هذه الدراسة وهو من "الشـارة القرمـزية"، ومن الحلول التى أرى أنها قد تساعد فى حل هذه المشكلة ما يلى:

١ ـ كان على المـترجمة ـ فى حـالة "الشارة القرمـزية" ـ إيراد شروح فى الهوامش لجميع الأسماء التى استخدمـها هوثورن. وصحيح أن طبعة هارى ليفين ظهرت فى سنة ١٩٦٠ أى بعـد ترجمة جـاذبية صدقى بسنتـين لكن ـ كان ـ على المتـرجمة أن تعنـى بالمفهـوم التاريخى للقصـة ككل وللأحداث والأسـماء على حدة.

٢ ـ نحن نعلم أن الهـوامش غير مـقبولة فى الأعـمال الإبداعـية كالقـصة والمسـرحية والقـصيدة لكننا لسنا أمـام عمل عادى. ومن ثم فـإن الهامش يكون خيارا لمن يريد أن يقرأه من القراء، فهناك من يكتفى بقراءة النص ولا يعنيه ما فى الهامش، وهناك القارئ الذى يريـد أن يلم بالصغيرة والكبيـرة فى النص وما حوله فيقرأ الهامش.

٣ ـ كان على المـترجـمة، كبـديل للهوامش، أن تبدأ ترجـمتـها بمقـدمة تفـصيليـة تشرح فـيهـا الجو التـاريخى للقصـة ومن خلاله تقـدم للأسمـاء التى استخدمها هوثورن ومدلول ربط هذه الأسماء بأسمـاء تاريخية حقيقية كما رأينا فى هوامش هارى ليفين والتى علقنا على بعضها فى دراستنا هذه.

٤ ـ كبـديل آخر للهامش كان باسـتطاعة المتـرجمة أن تورد قوسـين عقب تقديم كل اسم لأول مـرة تشرح فيه بعـبارة، أو عدد من الكلمـات، مدلول ذلك الاسم فى التاريخ الأمريكى فى تلك الفقرة.



هوامش :

(١) ناثنيال هوثورن، "الشارة القرمزية"، ترجمة جاذبية صدقى (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨)، ص ٥٠، ٦٦ ـ ٦٧.

(٢) Nathaniel Hawthorne, *The Scarlet Letter*, ed. Harrey Levin (Boston : Houghton Mifflin Company, 1969), p. 1.

(٣) د. نذير العظمة، "هوثورن، الشارة القرمزية" فى "بناة الأجيال" (دمشق : العدد الرابع، اكتوبر ١٩٩٢)، ص ٨٧.

(٤) المترجمة تقدم هذا الاسم إلى القارئ العربى على نحو آخر هو "هيستر براين" لأنه يكتب فى الإنجليزية Prynne (ص ٧ من الترجمة العربية وما يليها) فى جميع المواضع التى يرد فيها اسم هسيتر كاملا.

(٥) "الشارة القرمزية"، مترجمة، ص ٦٨.

(٦) *The Scarlet Letter*, p. 1.

(٧) "الشارة القرمزية"، ص ١.

(٨) وترجمته "أعشاب من البيت القديم".

(٩) *The Scarlet Letter*, p. 111.

(١٠) "الشارة القرمزية"، ص ٢٤.

(١١) *The Scarlet Letter*, p. 50.

(١٢) "الشارة القرمزية"، ص ٧٢.

(١٣) *The Scarlet Letter*, p. 51.

(١٤) *Ibid.*, p. 65

(١٥) *Ibid* p. 66

(١٦) *Ibid.*, p. 149.

(١٧) عصر اليعاقبة يشير إلى الفترة التى حكم فيها جيمس الأول إنجلترا وهى من ١٦٠٣ إلى ١٦٢٥. ويسمى بها أدب تلك الفترة وخصوصًا المسرح.



ويسمى بـها الأثاث والعمـارة فى تلك الفتـرة. وأصل التسـمية يأتى من الـكلمة جاكوباس فى اللاتينية وهى تـعنى جيمس وشهدت هذه الفترة نهـاية تفتح العصر الإليـزابيثى على الرغم من أن ادب السـحرية والواقـعيـة بدأ يزدهر. وشهـد هذا العصر ولادة أهم أعمـال شكسبير. كما كان جون ضن وبن جـونسون وفرانسيس بيكون فى ذروة قدراتهم الإبداعية. وقد ظهر الملك جيمس فى عام ١٦١١م.

Harry shaw, Dictionary of Literary Terms (New York : Mcgraw Hill Book Company, 1972), pp. 210 - 211.

(١٨) *Op. Cit.*, 126

(١٩) *Ibid.*, p. 65

(٢٠) "الشارة القرمزية"، ص ٤٥.

(٢١) السابق، ص ٤٤.

(٢٢) السابق، ص ٤٥.

(٢٣) Walter Blaiar, *et. al. The Literature of the United States* _ (Chicago: Scott, Foresman and Company, 1957), pp. 350 - 351.



تعريب العلوم .. وقضية الدولة

يعالج سعادة الدكتور الشاذلى القليبى فى مقالة الرائع "تعريب العلوم. .وقضية التنمية" "الأهرام عدد ٣٩٢٢٣، بتاريخ ٢٧/ ٤/ ١٩٩٤" أسباب الإعراض عن تعريب العلوم واكتفاء علمائنا العرب باستخدام اللغات الأجنبية التى درسوا بها علومهم، ورغم أن الدكتور القليبى شخص تشخيصا علميا هذه الحالة إلا أن نتائجه كانت تقليدية، فقد عول على دور المؤسسات الحكومية، والمؤسسات التابعة لجامعة الدول العربية و المنبثقة عنها، وكذلك أهمية ألا نكتفى بالنقل عن العالم المتقدم بل نشارك فى الحركة العلمية العالمية .

حركة التعريب ليست حركة عشوائية، إنها نتاج دولة قوية. إن نقل العلوم إلى لغة ما يرتبط ارتباطًا وثيقًا بحال الدولة : اقتصاديا، وسياسيًا، واجتماعيًا، فحين نقل الفرنسيون العلوم إلى لغتهم كانت دولتهم قوية، وحين نقلها الألمان كانت دولتهم قوية، وحين دخل الإمريكيون المعترك العالمى بعد قيام دولتهم كان كل شيء بلغتهم التى أسموها : اللغة الأمريكية " حتى أنهم نفوا أن تكون لغة التاج البريطانى هى لغتهم. وحال الدولة العربية حال بقية الدول، فحين كانت الدولة العربية قوية اقتصاديا، ومتماسكة جغرافيا، ومتلاحمة اجتماعيا كانت هناك حركة ترجمة وتعريب فرضتها حالة الدولة ولم تفرضها المراسيم.

إن الترجمة إلى العربية ظاهرة واكبت قوة الدولة العربية الإسلامية. فبيت الحكمة ودار الحكمة ومدرسة الألسن وحركة الترجمة فى مصر فى الستنيات أربعة أمثلة تفسر ما نذهب إليه من أن حركة الترجمة والتعريب لا تملى من أعلى، إنما هى نتاج حالة من حالات الدولة. فلو أنفق المأمون كل ما يملك فى دولته لما أنشأ بيت الحكمة لولا وجود المترجمين الذين أوجدتهم الثقافة المزدهرة فى تلك الدولة. فهؤلاء المترجمون لم يتخرجوا من «بيت الحكمة» لكنهم هم الذين انشأوه وهذا يعنى أن المترجمين وُجدوا قبل أن يأمر المأمون بإنشاء بيت الحكمة بعشرات السنين. لكن بيت الحكمة انتظمهم وأضفى على عملهم صفة الأكاديمية. ودار الحكمة القاهرية التى أنشأها الفاطميون فى مصر فى عهد المعتز بالله عام ٩٧٥ م كانت هى الأخرى مثالا ثانيا لقوة الدولة التى احتضنت العلماء والمترجمين والمؤلفين.



ومدرسة الألسن مثال أكثر وضوحا على قوة الدولة وأثر ذلك فى الترجمة إلى العربية. فالتاريخ يقول إن محمد على باشا اختار الشيخ رفاعة الطهطاوى ليكون إمام البعثة العسكرية المصرية إلى فرنسا. إلا أن ذلك الشيخ، إضافة إلى عمله الجليل الذى قام به مع أعضاء البعثة، عاد إلينا بكتابه "تلخيص الإبريز فى زيارة باريز" ونحن نعلم ما أحدثه هذا الكتاب من جدل وما أضفى على حياتنا من زخم وما أسدى من تنوير ووصل بالغرب. وانتهى الأمر أن ينشئ الشيخ المعمم مدرسة الألسن التى احتضنت مرة أخرى المترجمين فى مصر والعالم الإسلامى وأخرجت الكتب المترجمة إلى العربية دون أن يكون للدولة دخل كبير فى إعداد هؤلاء المترجمين ـ كما نرى الآن ـ وهم الأساس فى كل حركة الترجمة. إضافة إلى ذلك، حركة الترجمة الهائلة فى الستينات فى مصر، ولست فى حاجة أن أعيد ما قلت سابقًا أن الاستقرار السياسى والاقتصادى والتماسك الاجتماعى هى العوامل التى أوجدت المترجمين الذين أثروا أنشطة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية بترجمات شكسبير وغيرها مما يندر تكراره إلا إذا قويت مصر مرة أخرى وعادت إلى تلك الحالة الحضارية التى كانت عليها.

إن الترجمات التى أسهمت فى أى من جوانب حياتنا هى أعمال كلاسيكية بكل مضمون تلك الكلمة. وإننى أجد نفسى متفقًا مع الناقد الفرنسى الشهير سانت بيف (١٨٠٤ - ١٨٦٩) الذى يعرف فى إحدى مقالاته «ماهو الكلاسيكى» (١٨٥٠) على أنه حالة من قوة الدولة ونبوغ الفرد وتأتى بعيد ذلك الماديات، هذه الأمور الثلاثة إذا اجتمعت كانت هناك أعمال كلاسيكية. لذا يبقى ما يذهب إليه الدكتور القليبى من التعويل على دور المنظمات الحكومية تعلقا بأمل بعد المنال. فهو يقول "وللتغلب على ما تشكوه كل دولة من دولنا من نقص فى الأموال أو نقص عدد العلماء والفنيين ـ أو أحيانا كليهما معا ـ فإن الحل المتاح أمامنا هو أن نضم إمكانياتنا جميعا حسب مخطط يوزع الأعمال وينسق بينها. ومسئولية التخطيط لهذا العمل العظيم والإشراف على تنفيذه، يجب أن تتفرغ لها المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، لأن هذا العمل هو المدخل الحقيقى إلى الارتقاء بمجتمعاتنا إلى مصاف الأمم التى تمسك ببعض ناصية مصيرها لأنها تعلم الكثير مما يعلمه الآخرون، وتقدر على الكثير مما يقدرون عليه. وحبذا لو



تفرغت لنفس الغرض المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم فتتضافر جهود الدول العربية والإسلامية فان ذلك سيزيد من سرعة الإنجاز بتوسيع الإمكانيات العلمية والمادية المعتمدة، وعندئذ تزداد أهمية ما ندعو اليوم إليه من اجتهاد فى تعريب العلوم، لأن مجتماتنا لا تكون مقصورة على استهلاك ما أنتجه غيرها من الأمم بل تكون قد انكبت على الإسهام الجدى فيه بكل طاقاتها الفكرية والمادية». أمنية جميلة أشارك فيها سعادة الدكتور القليبى، وأتمنى أن تنتهى كما قال "وعندئذ تستعيد لغتنا ما كان لها من قوة وإشعاع وكفاية، ولما كانت سيدة لغات زمانها فى أداء حصيلة البحث العلمى والاجتهاد الفلسفى، وتسمية ما يستنبطه أهلها من مرافق الحضارة. هذا هو التحدى الكبير الذى على شعوبنا الفوز به لتمسك بزمام مصيرها، وتدخل المحافل الأممية وهى قادرة على الإسهام فى جلائل الأعمال، لا فقط مدافعة عن حقوقها المهضومة أو منددة بما تتعرض له من اعتداءات على الأرواح، وعلى الأرض، وعلى الثروات. وهو عمل يستحق أن تضحى دولنا فى سبيل تحقيقه بكل غال ونفيس وأن تضمن له الوسائل اللازمة من تفريغ ثلة من أكابر علمائنا، ورصد المبالغ الكافية لإنجاح خططهم وإتخاذ القوانين الملزمة لسائر الجامعات ومعاهد البحث للعمل فى إطار تنسيق عام تشرف عليه المنظمة».

أقول فى ذلك ما قال شوقى :

ظفر فى فم الأمانى حلو   ليت لنا منه قلامة ظفر.

ولكن ألا يرى سعادة الدكتور القليبى أن حديثه عن «رصد المبالغ الكافية» يتناقض مع قاله فى نفس المقال عن التحديين اللذين يواجههما حركة التنمية فى عالمنا العربى؟ حيث يقول: «التحدى الأول يتعلق بتوفير الإمكانيات المادية التى يحتاج إليها البحث العلمى. وهى أثقل من أن تقدر عليها دولة أوربية من حجم ألمانيا أو فرنسا، فما بالنا بدولنا التى يحتاج أغلبها إلى معونات خارجية. ويدخل فى هذا التحدى أيضا ضرورة تفرغ عدد كبير من العلماء ورجال التقنيات المختلفة وهو كذلك مما تنوء به دول متقدمة مثل التى ذكرنا، فضلا عن أقطار لا تزال فى أول مسيرتها الإنمائية". إن قوة الدولة تعنى قوة اقتصادها وبالتالى تعنى قوة نفوذها السياسى. ونحن نعرف جميعًا أن اللغة الإنجليزية هى أكثر اللغات



استخدامًا فى العالم، ولكن الكل يعلم أن الإنجليزية الأمريكية هى الأكثر انتشاراً عند مقارنة انتشار اللهجات الإنجليزية، وذلك راجع أساسا إلى انتشار النفوذ السياسى والاقتصادى الأمريكيين، ولولاهما لما رأينا كلمات مثل "كافتيريا" و "وراديو" يتداولهما العامة والخاصة بجميع اللغات على مدار الساعة. إن ميزانية البحث العلمى فى بعض جامعاتنا تكاد تكون صفراً، كما أن بعض الميزانيات لا تتعدى مئات الجنيهات، فكيف نطلب من تلك الجامعات والمعاهد والهيئات الرسمية الأخرى أن تحقق ذلك المطلب الطموح الذى يصبو إليه كل عربى والذى عبر عنه سعادة الدكتور القليبى؟ لقد نشرت الصحف فى ٢٣ يناير ١٩٩٣ أن اليابانيين اخترعوا جهاز تليفون يستطيع أن يترجم من اليابانية إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية حديث مستخدمى ذلك التليفون. وهذا الخبر إضافة إلى حقول الترجمة الآلية لا مثيل لها حتى الآن. ولكن هذه الإضافة أنفق فى عمل أبحاثها مئة وثمانية وعشرون مليون دولار أمريكى واستغرقت خمس سنوات من البحث الدءوب والتجريب المضنى. ولى سؤال: كم تخصص دولنا لمشاريع الترجمة التقليدية كترجمة الكتب والدوريات والمراجع الأخرى؟ وبالطبع نحن لا نسأل كم خصصنا للترجمة الآلية أو كم خصصنا لوسائل اتصال أو ترجمة كذلك التليفون اليابانى المترجم العجيب؟

إن حالة الدولة التى تكلمنا عنها لا تنعكس فى قوة الاقتصاد فقط، لكنها تنعكس أيضا فى حالة أبنائها النفسية. فالعالم الذى يلحن فى العربية ويتحجج بأنه درس فى الغرب لا يعكس حالته هو فقط إنما يعكس حالة أمة منهزمة. إنه يعكس حالة انكسار أمة بأكملها، إنه يعكس باختصار حالة نادرة من الدونية عن الغرب الذى تعلم فيه وعرف لغته. إن تمكن علمائنا من اللغات الأجنبية ولحنهم فى اللغة العربية حالة فصامية لا يستطيع النفسيون علاجها لأن ذلك العلاج يستدعى تغييرا جذريا شاملا للمحيط العربى ككل. وأخطر ما يأتى به هؤلاء العلماء شعور عام يسود بين مثقفينا أن العربية ليست لغة صالحة للعلوم، حيث يقول د. القليبى: "ولا نرى من يستسهل الاعتراف بجهله فى أى حال، إلا إذا تعلق هذا الجهل باللغة العربية، وقد نرى من يعلن قلة درايته بقواعد اللغة العربية فى مثل التبجح، فيأتى اللحن ويرطن مخاطبيه فى شىء من الخيلاء. والأنكى من



كل ذلك أن المجتمع العربى يبدو قابلا لهذه المعاذير، ضاربا صفحا عن المؤاخذة باللحن وأنواع الرطانات، كأن لسان حاله يقول: العربية أصعب من أن يضيع وقته فى تحصيلها من له مسئولية سامية يقوم بها، أو علم جليل ينكب عليه". ونجد أنفسنا فى موقف مؤسف نؤمن على ما ذهب إليه الدكتور القليبى رغم إعتقادنا أن العربية لا تقل قوة وزخما عن اللغات الأوربية المعروفة، لكننا نحن أبناءها الذين أسأنا استخدامها، فمنها أخذ الغرب قديما حين كان أسلافنا يجيدون استخدامها ويضيفون إليها. وإذا "كانت رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى النموذج الذى اقتبس منه دانتى فكتب رائعته الكوميديا الإلهية" [على شلق، رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى، شرح وتحقيق (بيروت : دار القلم، ١٩٧٥)، ص ١٦] فإن الفضل فى ذلك يعود إلى ما كانت عليه حالة الدولة العربية وحال اللغة العربية، والفضل للترجمة من العربية إلى الإيطالية" ذلك أنه تبين أخيراً أن قصة المعراج كان لها ترجمة إيطالية، ووجدت نسخ من هذه الترجمة فى أكسفورد وباريس والفاتيكان، وأغلب الظن أن دانتى اطلع على هذه الترجمة فوجهت فكره" [د. إبراهيم زكى خورشيد، الترجمة ومشكلاتها (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥)، ص ٣٧].

الترجمة فى العالم العربى قامت على أكتاف أفراد لم ينتموا إلى أكاديميات معينة. وصحيح أن أكاديميات قد احتضنتهم فيما بعد، لكن بقى هؤلاء الأشخاص متميزين وكل منهم يمثل مدرسة بذاته. ولابد أن يعود ذلك النمط من المترجمين إلى حياتنا كى تنتعش حركة الترجمة مرة أخرى. إن الدور الرسمى لن يسهم، فى الوقت الراهن، فى كثير لانتعاش حركة الترجمة. إن المطلوب الآن هو زيادة الصلة بين المترجمين وبعضهم البعض، وليكن هناك اتحاد أو رابطة تجمع شتاتهم ليتعارفوا فيما بينهم وفيما يمكن عمله. ولنبدأ من هنا، وفيما بعد يأتى دور المنظمات الرسمية والبروتوكلات القاتلة المتلونة بلون أنظمتنا المتعددة.



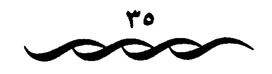
عنانى وفن الترجمة(*)

سعدت كثيراً بقراءة كتاب الأستاذ الدكتور محمد عنانى "فن الترجمة" (١٩٩٢) الصادر عن الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، فى طبعته الأولى. وقد أعقب صدور ذلك الكتاب القيم مقالات ،وتعليقات كثيرة كان غالبها مادحًا وقل أن يكون بينها قادحًا، وغلبت على تلك الآراء صفة المجاملة التى أفسدت الكثير فى حياتنا الثقافية.

وكتاب الدكتور عنانى لا يحتاج إلى مزيد من المدح كما أن الرجل ليس فى حاجة إلى مجاملة من أحد، إنما يحتاج إن يُنقد ويُدرس بعناية ليُعطى حقه ومكانته فى هذا المجال الفريد ألا وهو الكتابة عن الترجمة. وبداية يعلن الدكتور عنانى أن الترجمة «فن» وذلك واضح جلى من عنوان الكتاب «فن الترجمة» وبذا فهو يذهب مع من يذهبون إلى وضع الترجمة ضمن الفنون وليس مع من يضعونها ضمن العلوم. وينقسم الكتاب إلى ستة فصول غير متساوية : الأول يتحدث عن الألفاظ (ثلاث وعشرون صفحة) وتناولها من مجردات عامة، إلى مجردات حديثة، إلى مجسدات إلى المختصرات؛ الفصل الثانى (تسع عشرة صفحة) يتناول التركيب ويناقش الحال والتفضيل والأفعال مع الأدوات؛ الفصل الثالث (إحدى وثلاثون صفحة) ويتناول بناء الجملة ويناقش المبنى للمجهول والتحميل والجمل المركبة وبعض خصائص العربية؛ الفصل الرابع (خمسة عشر صفحة) ويتناول الصفات؛ الفصل الخامس (ثمان وعشرون صفحة) ويتناول التراكيب الاصطلاحية حيث يناقش المصطلح والتعبير الاصطلاحى والصياغة؛ أما الفصل السادس وهو أكبر الفصول (ثمان وثلاثون صفحة) فيتناول ترجمة الشعر ومشاكله؛ ثم ثبت بسيط للمراجع فى خمس صفحات. والكتاب من القطع الصغير.

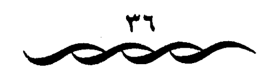
يعلن الدكتور عنانى بكل تواضع فى مقدمته أنه لا يهدف أن يكون كتابه هذا "مرجعًا (حاشا لله)، ولا أن يكون دليلا عمليا غخغفوبخع، ولكنه يتضمن بعض حصاد التجارب التى مر بها دارس مارس الترجمة على مدى عقود ثلاثة، تصدى فيها لشتى ألوان النصوص، فى مجالات كثيرة، وأحس أن لديه بعض الآراء التى

(*) نشر فى حلقتين بجريدة الرياض العددين ٩٦٣٥، ٩٦٤٢ يومى ١٠ نوفمبر، ١٧ نوفمبر ١٩٩٤م.



قد يستفيد منها البعض، وهى آراء فى صلب عملية الترجمة لافى النظرية" (عنانى: المقدمة) وهذا تواضع لا يلمسه الناقد إلا فى العلماء. وعلى عكس ما يقيم عنانى به كتابة نقول إن هذا الكتاب يعتبر مرجعًا فريداً فى الترجمة لأنه باستخدام كلمات المؤلف مجموعة " آراء فى صلب عملية الترجمة لافى النظرية " وهو بهذا يفوق كتبًا أخرى كتبت عن الترجمة كانت تتولى دراسة النظرية المنقولة عن الغربيين فقط دون الخوض فى التفاصيل العملية التى لا تتسنى إلا لمن يتناول نصوصًا بعينها.

ونحن نميل إلى تصنيف الترجمة كفن إنسانى راقى، لا كعلم جامد جاف كالرياضيات مثلاً. فهى فن بكل ما وسعت تلك الكلمة من شاعرية وإبداع وموهبة أيضًا، ولذا أجدنى أتفق مع مذهب الدكتور عنانى إلى أن المترجم "كاتب، أى أن عمله هو صوغ الأفكار فى كلمات موجهة إلى قارئ. والفارق بينه وبين الكاتب الأصيل هو أن الأفكار التى يصوغها ليست أفكاره، بل أفكار سواه. ومن الغريب أن يكون هذا الفارق مدعاة للحط من شأن المترجم فى بلادنا، على ما فى الكتابة بالعربية من صعوبة تثنى الكثيرين عن محاولتها، فأنا أرى أن نقل أفكار الغير أعسر من التعبيرعن آراء المرء الأصلية؛ فالكاتب الذى يصوغ أفكاره الخاصة يتمتع بالحرية فى تطويع اللغة لتلائم هذه الأفكار، بل وتطويع الأفكار لتلائم اللغة". (عنانى :٥ ـ ٦) كما أن الترجمة عند عنانى " فن تطبيقى، وأنا استخدم كلمة فن بالمعنى العام، أى الحرفة التى لا تتأتى إلا بالدربة والمران والممارسة استناداً إلى موهبة، وربما كانت لها جوانب جمالية؛ بل ربما كانت لها جوانب إبداعية. ومعنى ذلك أنه لا يمكن لأستاذ فى اللغة أو فى الأدب أو فى كليهما، أيًا كان حظه من العلم بالإنجليزية أو بالعربية (بل أيًا كان حظه من العلم بنظريات اللغة) أن يخرج لنا نصًا مقبولاً مترجمًا عن إحدى اللغتين دون ممارسة طويلة للترجمة ". (عنانى : ٢) ولا يرى المؤلف أن كتب نايدا ونيومارك من غير العرب وكذلك كتب العرب من أمثال محمد عبد الغنى وصفاء خلوصى وإبراهيم زكى خورشيد كافية لأن تقدم لنا مترجمًا ذا شأن إن هو عكف على دراستها والإلمام بما فيها.



وبقدر ما سعدت لمطالعة هذا الكتاب الجيد، الذى هو خلاصة خبرة ثلاثين عامًا فى مكابدة النصوص، فإننى أرجو أن يتسع صدر أستاذنا لبعض النقاط التى أود مناقشتها هنا، وهى:

١ ـ حتى نهاية الفصل الخامس لا يذكر المؤلف مصادر ترجمة النصوص المستخدمة فى الأمثلة التى يوردها، كما أنه لا يوضح ما إذا كانت الترجمة العربية ترجمته هو أم أنه ينقلها من نصوص منشورة يمكن الاستدلال عليها. لأنه فى حال ما إذا كان يعطى ترجمته هو فالحكم هنا يكاد يكون شخصيًا بحتًا كما فى صفحة ٥٦، والصفحات ٧٨ ـ ٧٩ حيث نرى أن الإفراط فى استخدام التحويل - كحيلة ترجمية ـ أفسد الترجمة كثيراً.

٢ـ استخدام الأقواس والبدائل فى الترجمة أمر غير مقبول من المترجم فكيف نعتمده فى كتاب يقول مؤلفه فى المقدمة إنه تعليمى. واستخدام البدائل والأقواس تكرر فى عديد من الصفحات؛ فصفحة ٤٤ بها ثلاثة أمثلة وهى: «وبعد أن قتل الثوار أعداءهم بالمقصلة، (دار الزمان) فقتلوا هم أنفسهم بها» و«رأى ثلاثة شبان يرتدون سراويل فضفاضة على آخر موضة، وهم يحدقون فى فتاة ترتدى رداء ملتصقا بالجسم (والأرجح أنها سراويل) وعلى كتفيها عباءة (كاب) واسعة». وفى صفحة ٤٩ مثال آخر للبدائل «همست بنبرات ودودة. .(أو تنم عن حبها)». أما صفحة ٥٥ ففيها خمسة أمثلة على ذلك وهى: «لقد أصبحت المسرحيات الكلاسيكية التى يقدمها المسرح القومى (محدودة) أو قليلة العدد» ويثير المؤلف جدلاً فى نصف صفحة تقريبًا حول ترجمة هذه الجملة.

"His extremely Limited Knowledge of agriculture was an anomaly ridiculed by farmers,...".

حيث يقول «فلابد أن تتحاشى هنا كلمة «محدودة» وإلا خرجت ترجمتك ركيكة، والأفضل تقسيم هذه العبارة إلى عبارتين هكذا:

١ ـ كانت معرفته بالزراعة بالغة الضآلة (ضئيلة إلى درجة بالغة) وكانت هذه من الغرائب (المفارقات) التى أثارت سخرية (استهزاء) المزارعين الذى [هكذا فى نص عنانى وأظنها خطأ مطبعى وصحته الذين] يعملون لديه.



٢ـ لم يكن يعرف عن الزراعة إلا أقل القليل، وكانت تلك مفارقة، جعلت المزارعين (الذين استأجرهم) يضحكون منه". (عنانى :٥٥) ألا يمكن قبول الصيغة العربية التالية لتلك الجملة الانجليزية : " كانت معرفته المتناهية الضآلة بالزراعة مفارقة لأن يضحك منه مزارعوه" ومعروف أن المزارعين هنا مستأجرون ومعروف أنه هو مالك الأرض والسيد المطاع، لذا فإن استخدام الأقواس والتدخلات لم يؤد غرضًا مفيدًا فى الترجمة. ومثال آخر لاستخدام الأقواس نراه فى صفحة ٥٦ حيث يقدم ترجمة لنص على النحو التالى:

"سحرته أمينة المكتبة الشابة بأدبها وانضباطها (فى العمل)، . . " والنص الإنجليزى يقول: " Xharmed by the disciplined manner of the young L.A".

وكذلك فى صفحة ٥٩ : فى السراء والضراء (فى الحلوة والمرة) حتى يفرق بيننا الموت" وهى ترجمة للمثل الإنجليزى:

"For better or for worse till death us do part"

ونجد الأقواس والبدائل فى الترجمة فى صفحات أخرى؛ ففى صفحة ٦٢ مثالان، وصفحة ١٠٦ مثالان، ومثال فى صفحة ٦٩، وآخر فى صفحة ٧٠.

٣ ـ رغم أن المؤلف يخصص الفصل الخامس لتناول التراكيب الإصطلاحية فى اللغة الإنجليزية وكيفية ترجمتها إلى العربية، إلا أنه يقع فى خطأ الخلط بين الاستخدام الاصطلاحى والاستخدام اللفظى كما فى صفحة ٦١ حيث كلمتى خمممضرعز و مزخلص مفردتان لفظيتان أما شرزه خه / شرزه مق وما شابههما استخدامات اصطلاحية لها معايير تضبطها.

٤ ـ فى الصفحات ٩٩ـ ١٢٠ ترجم المؤلف الفعل Surrendered إلى "استسلمت" وتصرف فترجمها " ازدادت جرعة المبالغات الميلودرامية فى المسرحية"، والنص يقول:

"As broad Farce surrendered to cloying melodrama with its Filful bouts of frenzied shouting" لكنه لم يرتح للترجمة الأولى و اعتبرها محيرة للقارئ أما الثانية فاستحسنها وأبقاها. والواقع أن فعل surrendered هنا يعنى تحولت إلى وتكون ترجمة النص : عندما تحولت الميلودراما إلى فقاموس



Thesaurs يضع كلمة relinquish مباشرة بعد Surrender وهى بهذا السياق تعنى التخلى عـن شيئ ما والاتجـاه إلى شىء آخر بديلاً عنه كـما فى *Longman Dictionary of Contemporary English* لذا فـإن ترجمـة Surrendered "تحولت إلى. . ." تكـون موفـقـة ـ رغم التوسعة التى أضيفت إلـى معانيها الأصلية ـ أكثر من الترجمة بتصرف التى استخدمها د. عنانى، أو كان عليه أن يبقى على الترجمة الحرفية "استسلمت إلى. ." حفـاظا على روح النص. وللعربية أن تقبل مفردات غريبة كهذه، وهذا ما يذهب اليه د. عنانى نفسه فى آخر كتابه.

٥ ـ وثمة خطأ مشابه وقع عند التصرف فى الترجمة كما نرى فى الصفحات ١٠٢ ـ ١٠٥، حيث النص الإنجليزى يقول:

"... Which wreaks havoc with your digestion the ollowing morning".,

فقـد ترجمه عنانى "إذا تكتـشف فى الصباح أنه قـد دمر جهازك الهـضمى دمـاراً شامـلا". وفى *Webster* فإن فـعل Wreak يعنى Cause / bring about وهناك معانى أخرى بمعنى avenge ولكنها على شدتهـالا تصل إلى المعنى الذى تصرف فيـه المؤلف. ويحس د. عنانى أن ترجمته جـانبت النص الأصلى حيث يقول " لقد طالت الترجمـة بعض الشىء، وربما كانت تختلف فى بعض الأماكن عن النص الإنجليـزى ـ ولكن الخلاف لا يضـيف ولا ينقص شيـئًا من المـعنى" (عنانى: ١٠٥) ولنا الحق أن نخـتلف مع المؤلف فيمـا ذهب اليه. فصـحيح أن النص العربى يجـب أن يكون مقبـولاً بعد ترجمـته ولكن إلى حد لايفـسد روح النص الأصلى وهذا بالطبع أسـاس جميع مشكلات التـرجمة إلى العـربية ـ لكن ذلك لا يعطى المـترجم مـسوغًا ليـكون النص المنقول إلى العـربية فـضفـاضًا، والأفضل أن نقطع من الثوب العربى ما يناسب فقط المفردة الإنجليزية.

٦ ـ عندما يتناول المـؤلف ترجمة التـعبير الاصطـلاحى من الإنجليزية إلى العـربية كـمـا فى الصـفحـات ١٢٠ ـ ١٢٥ فإنـه يقع فى خطأين. الأول :وهو الترجمة بتصـرف غير عادى مما يجعل النص العربى فضـفاضاً إذا ماقورن بالنص الإنجليزى. أما الخطأ الثانى : فهـو خطأ فادح؛ فإنه يترجم النص الإنجليزى إلى عربية عامية مصرية. وهو فى هذا يعيدنا إلى جدال حضارى لغوى قديم.



فالاتصال الثقافى الحضارى واللغوى عن طريق الترجمة هدفه الأسمى هو الارتقاء بحضارتنا إلى أعلى وليس الهبوط بها إلى إقليمية متعجرفة متغطرسة، وذلك عن طريق اعتماد العاميات العربية كلغات رسمية ننشر بها أعمالنا سواء كانت مترجمة أو مؤلفة. لذا أجد الحكم النهائى للدكتور عنانى حكم جائر على اللسان العربى عمومًا حيث يقول : " والمشكلة فى رأيى لاحل لها فى الفصحى؛ فالحوار فى الإنجليزية ينبغى أن يترجم إلى حوار حى بالعربية أى العامية، ولو اقتضى ذلك إخراج ترجمة له فى كل بلد عربى باللهجة الدارجة له" .(عنانى: ١٢٥) وذلك يعنى أن النص الذى يورده عنانى قد يترجم بما يزيد عن مائة لغة عربية. فاللغة العربية الحية فى نظر المؤلف هى العامية فقط، وكأن ما خالف العامية ميت لاحياة فيه. ومن ثم فيجب إعادة النظر فى حواريات الجاحظ فى البخلاء لأنها كتبت بالفصحى. ونقطة أخرى، هل صحيح أن النص الإنجليزى كتب بعامية دارجة كى يترجم إلى عربية عامية كما يرى المؤلف؟ ولنضع فقرات من النصين لنرى هل هذا صحيح أم لا :

A : It may be just misplaced. Have you Looked everywhere.

B : It is not to be found anywhere...definitely lost;

وترجمة عنانى:

أ ـ لا يا شيخ. . يمكن بس منطور هنا والا هنا . . دورت عليه كويس؟

ب ـ فص ملح وداب. . ضاع يعنى؛

وأظن أن هذا النص لوقرئ فى الشام، مثلاً، لاحتاج القارئ السورى إلى ترجمة عربية توضح له معنى «منطور» المصرية فهى تعنى فى الشام «الذى عليه حراسة من قبل الأمن» فهم يقولون «ناطور» بمعنى حارس والنواطير صيغة جمع منها. ولا أدرى هل يفهم هذا النص فى المغرب أو اليمن أو الجزيرة. صحيح أن اللهجة المصرية متسيدة فى العالم العربى بفضل الأفلام والمسرحيات والأغانى ومدى انتشارها لكننا بصدد نصوص مكتوبة، لذا فبيت القصيد هو الفصحى



ودرجاتها وليس العامية الدارجة وما يمكن أن تكون عليه من تشعب وتشرذم وانكفاء على الذات. ومثال آخر:

B : Well, will you have some cofee?.

A : I don`t mind if I do, Actually.

B : Right ; See if there's any left.

(عنانى : ١٢٢)

وترجمة عنانى المقترحة:

ب ـ ولا يهمك.. تشرب قهوة؟

أ ـ ماعنديش مانع فى الحقيقة..

ب ـ ماشى.. أظن فاضل شوية فى البراد.. (عنانى : ١٢٥)

وأعود إلى محلية العربية العامية فأقول أن كلمة "ماشى" التى يطرحها د. عنانى تعنى إذا ما نطقت مع تشديد الشين "لاشىء" فى الجزيرة والخليج، كما أن كلمة "براد" تعنى فى الشام "الثلاجة" ونسمع عن البرادات أى الحاويات المبردة، لذا فإن اعتماد العامية وسطًا للترجمة إساءة إلى عربيتنا وإلى فكرنا ويجب ألا نتبناه كأسلوب للنقل عن الآخرين حتى ولوكان فى الحواريات، لأن الحوار الذى تكتب به الإنجليزية قد يكون فى بعضه عاميًا ولكن هذه مشكلة أهل الإنجليزية ولا يجب أن نقلدهم فيها. ولا أعتقد أن إحالة القارئ إلى كتاب السعيد البدوى تعطى د. عنانى الحق فى تبنى العامية وسطًا فى الترجمة. وما يذهب إليه السعيد بدوى هو رأى فقط.

٧ ـ يثير د. عنانى قضية نادرًا ما نسمع عنها، ألا وهى "علمية اللغة الإنجليزية المعاصرة". فقد صمت آذاننا من أن اللغة الإنجليزية لغة علمية أما العربية فهى دون ذلك وأمامها شوط كبير حتى ترقى إلى الإنجليزية العلمية. والواقع أن اللغة وسط للتعبير عن الأفكار والمشاعر وبالتالى فإنها تتلون بأفكار ومشاعر مستخدمها عربيًا كان أو إنجليزيًا. لذا أجد نفسى متفقًا تمامًا مع ما ذهب اليه د. عنانى فى مقولته عن علمية الإنجليزية: "..وما هى كذلك؛ فهى لا تقدم الحقائق الخالصة، ولكنها تمزجها بالإعراب عن المواقف، وتلونها بوجهات النظر، بل وتضمنها مشاعر كثيرًا ما تبرز إلى السطح. ولقد تعلمت بعد الممارسة الطويلة أن المترجم مطالب فى المقام الأول بإخراج المعنى كاملاً غير منقوص،



فإذا كان المعنى يتضمن موقفًا أو وجهة نظر أو مشاعر فلابد من إخراج ذلك أيضًا؛ فمشكلة المترجم الأولى تظل إدراك المعنى الكامل ونقله بأمانة" . (عنانى: ١٣٢) وهذا يعطى المترجم الحق فى أن يكون حريصًا" الا ينقل نقلاً أعمى عن النص الأجنبى. ويناقش عنانى آراء Hindle التى توضح العيوب الأسلوبية فى الإنجليزية المعاصرة، ومنها: " المبنى للمجهول الزائف، واستخدام الأسماء بدلاً من الأفعال؛ والغموض وينبع من عدم الحرص فى الصياغة. وأنواعه كثيرة، منها إساءة فهم معنى الكلمة المستخدمة، أو استخدامها فى المعنى القاموسى بدلاً من الشائع أو العكس. . والحق أن هذا العيب ـ أى إساءة استخدام الكلمة فى النص الإنجليزى ـ يوقع المترجم فى حيرة : هل عليه أن يلتزم بما أمامه أم ينفذ إلى ما يعنيه الكاتب، أو إلى ما يتصور أنه يعنيه؟ القاعدة العامة هى الالتزام بما أمامه إن كان معنى الكلمة هو سبب المشكلة، فهذا وزر يتحمله الكاتب وحدة ، أما إذا كان الغموض يرجع إلى التركيب، ويدل على إهمال واضح من الكاتب، فلن يغفر القارئ للمترجم غموضه. . وثالث هذه العيوب هو ما يسميه هندل بالحشد Cramming، أى محاولة إدراج أكبر قدر من الأفكار فى جملة واحدة أو فقرة واحدة. . ». (عنانى: ١٣٢ ـ ١٤٤) وهذه من الأسباب التى أدت إلى نقل بعض من الرطانة الإنجليزية إلى اللغة العربية المعاصرة وذلك مما يؤثر سلبًا على العربية. إن معالجة د. عنانى لهذه القضية معالجة فريدة من نوعها ودفاع قوى عن عربيتنا يعكس حرصًا قويًا على لغتنا القومية ولست أدرى سببًا لتبنيه العامية الدارجة وسطًا للترجمة كما ناقشنا منذ قليل.

٨ ـ ثمة خلط كثير للأوراق فى عالمنا الثقافى بدأ منذ زمن طويل يقول إن المترجمين يقسمون إلى مترجم أدبى واقتصادى وثالث عسكرى ورابع فنى وخامس سينمائى إلى آخر القائمة مما يوسع رقعة الخلط التى نتكلم عنها . ولقد تعرضت لمساوئ هذا الخلط عندما ترجمت لشركة فورد، فقيل لى أنت مترجم أدبى؛ وعندما عملت فى الترجمة فى المجال الطبى قيل لى أنت مترجم أدبى وفنى ولن تفلح فى المجال الطبى، وكانت تلك أوهامًا تعشش فى رأس قائلها. فالمترجم الكفء هو الذى يجيد الإنجليزية والعربية معًا ويستطيع بعد ذلك أن يوسع دائرة معارفة من الطب إلى الهندسة والتكنولوجيا مرورًا بالسياسة والفكر



والاقتصاد. لذا أجـدنى أتفق قلبًا وقالبًا مع الدكتور عنانى فيـما ذهب إليه من عدم وجود لغة أدبيـة وأخرى سياسيـة وثالثة اقتصادية، وينتـهى إلى القول " بأن تصور وجود لغـة خاصة بالأدب وهم كـبير؛ فـاللغة واحدة، ولكن الأديب يسـتخدمـها بطرائق وأساليب خـاصة؛ ممـا يلقى بأعباء إضافـية على كاهل المـترجم وأوضح مجال أدبى تتبدى فيه هذه الأعباء هو الشعر؛ . . ". (عنانى : ١٤٥).

٩ـ أجد الفصل السادس: ترجمة الشعر، هو أكـثر الفصول حيوية فى كتاب د. عنانى. فقد أبدع فـعلاً فى هذا الفصل. فنحن أمام شاعر جيـد القريحة له باع طويل فى قرض وترجـمة الشعر مـوزونًا ومرسلاً. ويسـتعرض فى بداية مناقشـته لترجـمة الشعر آراء جـون درايدن (١٦٣١ ـ ١٧٠٠) فى الترجمـة الأدبية وهى فى ثلاثة مـذاهب" الأول هو النقل الحـرفى للألـفاظ فى سـيـاقـهـا الأصلى؛ meta phrase, أى الترجمة الحرفية. والثـانى هو نقل المعانى فحسب؛ بغض النظر عن نسق الجملة أو انتظام الكلمـات فى العبارة، وما لهذا من دلالات؛ وهو ما يسـميه Paraphrase والثالث هو إعادة سـبك العبارات بل القصيدة كلهـا إذا اقتضى الأمر بحيث يستطيع تقديم المثيل أو البديل لـلعمل الأصلى بالـلغة المترجم إليها. وهو يطلق على هذا الاصطلاح imitation أو المحاكـاة، أى محاكاة الشاعر فيـما فعل من وزن وقواف وصور ومـعان. وهذا فى رأيى أصلح المناهج للترجـمة الأدبية". (عنانى: ١٤٧) ولست أدرى لماذا لـم يتعرض عنانى لآراء مـاثيو أرنولد (١٨٢٢ ـ ١٨٨٨) فى مناقشتـه الشهيرة لترجمـة هوميرو *On Translaing Homer* ففيها عن الترجمة والمترجم فى هذا الصـدد ما يكفى ويزيد. وقد يكون ذلك موضوع حديث لاحق. ومن أهم ما ينتهى إليه د. عنانى أن المـترجم الصادق هو الأديب الصادق أيضًا". (عـنانى: ١٥٢) وهذا ما يبـرر قبول ترجـمة فطينة الـنائب للسونيـتة ١٨ لشكسبيـر كأحسن ترجمة مـفضلاً إياها عن ترجمتـه هو شخصيًا وترجمـة حسين دباغ. وهذا الحكم فى حد ذاته يعطى الأمل فى ترجمة جـميع الأشعار من اللغات الأخـرى الى العربيـة بنفس الروح المـوجودة فى تلـك اللغات. وأظن أن تجـربة الشاعر أحمـد رامى فى ترجمة رباعيات الخـيام (عن الفارسية) شعـرًا كانت مثالاً أكثر وضـوحًا ودلالة على ما ذهب إليه عنانى من أن المـترجم الصادق هو الأديب الصادق أيضًا.



١٠ ـ وإذا كانت اللغة الحية هى التى تكتسب مفردات جديدة لتحيا، فإن اللغة العربية فى أيدى أبنائها مطالبة ببذل الجهد لكسب مفردات جديدة تضاف اليها. ولقد أثار د. عنانى هذه القضية فى كتابه موضحًا أن القرآن الكريم، وهو أقدس وعاء للغة العربية، قد أعطانا الرخصة فى أن نعرب من اللغات الأخرى، "فاللغة العربية ذات قدرة فائقة على تطويع الغريب وقبوله وإحلاله محلاً عربيًا لا شك فيه. ويكفى أن ننظر إلى الكلمات الفارسية التى استخدمها القرآن الكريم نفسه، مثل السندس والإستبرق والسرادق والنمارق ،وما إليها. إن وجود هذه الكلمات تصريح ربانى لنا بتعريب الكلمات التى نحتاج إليها فى لغتنا العربية، أو قل هى الرخصة التى لا ينبغى أن يجادل فيها أحد. وكثيرًا ما أعجب للذى ينفر من كلمة "الميدان" باعتبارها فارسية الأصل مفضلاً عليها كلمة "الحقل" على حين يكتب فى آخر كتابة "فهرسًا" وهى أيضًا فارسية الأصل .(عنانى : ١٧٩) وزاد عجبى شخصيًا أستاذ فاضل مهتم بالترجمة يعتب على العربية أنها لم تجد ترجمات للأوكسجين والهيدروجين والكربون، وجادلته يومها أن هذه الكلمات وجدت فى جميع لغات العالم كما هى فى الأصل الإغريقى والفرنسى واللاتينى بالترتيب فلماذا تكون العربية فقط مطالبة بأن توجد لها ترجمة عربية مقابلة؟.

١١ ـ ويقدم د. عنانى مناقشة جريئة لقضية الخيانة والأمانة فى الترجمة؛ فهو يرى أن مقاييس العصر وأطره ومفاهيمه هى التى تتحكم فى مفهوم النص المترجم وليس دقة اللفظة التى يأتى بها المترجم ليقدم بها النص العربى إلى قارئه. "...فالذى يلتزم بالعرف فى عصر ما أو ما اصطلح عليه من أعراف فى عصر ما يعتبر أمينًا. ولكن أمانته محكومة بعصره؛ إذ قد تتغير الأعراف فى عصر لاحق فتصبح ترجمته غير مفهومة للجمهور، ويعتبر خائنًا للنص بمقياس العصر الجديد. ولذلك فنحن نقرأ ترجمات السلف عن اليونانية مثلاً فنرى بعضها خائنًا وقد كان أمينًا فى عصره. بل أننا نقرأ ترجمات لرواد الأدب فى الجيل الماضى، فنعتبر بعضها خائنًا، وقد كان ناجحًا وأمينًا على النص فى أيامه. وإنى لأعجب ما يقول أولئك المترجمون الأوائل إذا بعث أحد منهم وقرأ فى صحفنا عن الأمن الغذائى، أو عن سياسة الانفتاح، أو عن التوسع الأفقى فى الزراعة والتوسع الرأسى،...".(عنانى : ١٨١).



إن هذه الملاحظات مـجرد خلاف أو اتفاق فى الرأى فـقط، لكنها لا تقلل من قيمة هذا العمل شيئًا. فكتاب الأستاذ الدكتور محمد عنانى مرجع قيم لدارس الترجمة وكذلك لمـحترف العمل فيها أيًا كان "ميدان" الترجـمة الذى يعمل فيه. وإن جرأة الأداء التى قدمهـا المؤلف تجعل من هذا العمل مرجـعًا فريدًا فى حقل الترجمة التى يعتبر عدد الكتب المرجعية فيها قليل.

وظيفة الترجمة(*)

لن نختلف كثيراً حول تحديد وظائف الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وقد نجمل فنقول إن وظيفة الترجمة الرئيسية هى نقل ما لدى الآخرين إلينا كى نستطيع الاستفادة من تجربتهم، وبذا نستطيع تحديث ما لدينا من خلال عملية المعاصرة التى تلعب الترجمة الدور الرئيس فيها. لذا وجب أن تتوفر فى النصوص المترجمة إلى العربية بعض العناصر التى تؤدى الى تحديث ما لدينا، وأن يكون فى تلك النصوص، وبنفس القدر مسحة من المعاصرة.

وأمامى خمسة كتب مترجمة كلها من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، وأقدمها للقارئ حسب ظهور طبعتها الأولى فى اللغة الإنجليزية **الأول:** هو «التميز: الموهبة والقيادة *Excellence : Talent and Leadership* تأليف جون دبليو جاردنر، وترجمة د. محمد محمود رضوان (القاهرة الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٨٩) وظهرت طبعته الأولى بالانجليزية عام ١٩٦١م. **الثانى:** «بلاغة الفن القصصى *The Rhetoric of Fiction* تأليف بروفيسور وين بوث، ترجمة د. أحمد خليل عرادات ود على الغامدى (الرياض: مركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٩٩٤)، وظهرت طبعته الأولى بالانجليزية عام ١٩٦١. **الثالث:** التعليم العالى فى مجتمع متعلم-*Higher Education in a Learning Society : Meeting Demands for Education and Training* تأليف جيرولد آبسن، وترجمة د. شحده فارع (عَمّان: دار البشير ١٩٩١) وظهرت طبعته الأولى بالإنجليزية عام ١٩٨٨. **الرابع:** «معاونة الكبار على التعلم: تخطيط البرامج وتطبيقها وإدارتها *Helping Adults Learn : A guide to Planning , Implementing , and Conducting Programs* تأليف آلان نوكس، ترجمة د. محمود رضوان (القاهرة: الجمعية المصرية لنشر لمعرفة والثقافة العالمية ١٩٩٣) وظهرت طبعته الأولى بالإنجليزية عام ١٩٨٦. أما الكتاب **الخامس:** فهو «إسكالنتى: أفضل المعلمين فى أمريكا *Escalante : The Best Teacher in America* تأليف جاى مائيوز، تدقيق وتحرير د. فاروق منصور (عَمّانْ: مركز الكتب الاردنى ١٩٩٠) وظهرت طبعته الأولى باللغة الإنجليزية عام ١٩٨٨.

(*) نشر بالملحق الأدبى لجريدة الرياض، عدد ٩٧٠٥، ١٩ يناير ١٩٩٥.



ومن مقارنة تاريخى الطبعة الأولى فى الإنجليزية وظهور تلك الكتب مترجمة إلى العربية، يمكننا القول إن الكتابين الأولين وهما "التميز: الموهبة والقيادة؛ وكذلك «بلاغة الفن القصصى» - رغم اختلاف الحقلين اللذين يتناولاهما - قد أخلا بالفرضية الأساسية التى ينبنى عليها هذا المقال وهى تحديث الموجود العربى من خلال ربطة بما هو معاصر لدى الفكر الأجنبى، ونحن نطمح إلى معاصرة مماثلة وليس تحديثًا فقط، ولكن الظاهر لابد أن نتخلف بعض الوقت أو حتى العقود عما لدى الغرب لذا يكون ما لديهم معاصراً بينما هو جديد حديث لدينا، والمعاصر بن اليوم، أما الحديث الجديد الذى نقصده فهو بين عشرين أو أربعين سنة مضت، لذا أرانى أعجب من الدهشة التى استولت على مترجم كتاب "التميز: الموهبة والقيادة" عند شروعه فى ترجمة هذا الكتاب "... ولم أكد أشرع فى قراءته، وأمضى بين سطوره حتى أخذتنى الدهشة... أترانى أقرأ كتابًا عن المجتمع المصرى كتب باللغة الإنجليزية؟" (جاردنر: ١٣). نعم، إن مشاكل الشباب الأمريكى عام ١٩٦١ م وقت صدور الكتاب فى طبعته الإنجليزية، هى نفس مشاكل المجتمع المصرى عند صدور الكتاب باللغة العربية عام ١٩٨٩. ولايتنبه المترجم إلى تلك الهوة الزمنية التى تفصل بين الكتاب وترجمته، وتغير نوعية المشاكل فى مجتمع دائم التقلب والتغير مثل المجتمع الأمريكى، وهو لا يرى أى غضاضة أن تكون أحوالنا اليوم هى أحوالهم منذ سبع وعشرين سنة مضت. ويستمر د. رضوان فى دهشته ليقول «قد يبدو هذا القول غريبًا، ولكنها الحقيقة التى لا مبالغة فيها، فالقضايا والمشكلات الاجتماعية والإدارية والتعليمية المثارة - وكلها مستقاة من المجتمع الأمريكى - هى هى - تقريبًا القضايا والمشكلات التى نواجهها فى مجتمعنا المصرى» (المرجع السابق، نفس الصفحة) وهذا صحيح، ولكن هل مشاكل الشباب الأمريكى مازالت هى نفسها مشاكله عام ١٩٦١؟ وأظن الإجابة لا. وهذا ما ينفى عن هذا الكتاب صفة أن يسهم فى تحديث ومعاصرة الفكر الاجتماعى والتعليمى والإدارى فى مصر، وعلى العكس فإنه يضعنا تحت تأثير وهم وهو أن الشباب الأمريكى اليوم هم الذين نراهم فى صفحات هذا الكتاب، الذى لا نقلل من علميته أو موثوقيته، لكن قياسنا هنا: إلى أى مدى يمكن أن يوجد هذا العمل



تفاعـلاً تحديثـيًا بين مـا يقع فى أمريكا وما يـقع مصر؟ لكن أن يتنـاول الكتاب مشاكل الشباب الأمريكى عام ١٩٦١ فهذا جزء من تاريخ علم الاجتماع أو الإدارة أو التعليم وليس عـاملاً حافزًا لحل مشـاكلنا اليوم. إن مشاكل الشبـاب المصرى اليوم تكاد تكون فى معظمهـا هى نفسها مشاكل الشبـاب الأمريكى اليوم أيضًا فى نهاية عـام١٩٩٤: البطالة؛ تدهور القيم الأخلاقيـة؛ تدهور المستوى التـعليمى؛ غياب القـدوة؛ عدم الثقة فى المستـقبل؛ التطرف الدينى وليس أدل من ذلك على وجود ١٦٠٠ محطة إذاعة وتلـيفزيون مخصصة لبث البـرامج الدينية التى تتراوح فى جدها وهزلها، ومـا ظهور أدعياء النبوة مثل قـورش إلا مثال ثان على التطرف الدينى. وكان أجدى بالمترجم والدار الدولية للنشر والتوزيع لو تناولا أحد الكتب التى تتناول التطرف الدينى فى أمريكا مثلاً، أو أحد الكتب التى تتكلم عن الإدمان والإنحراف عمومًا. أما الإيهام بأن مشاكل الشباب الأمريكى عام ١٩٦١ هى نفس مشاكلنا اليوم فهذا غير مقبول وإن كان درس التاريخ يسوغ المعرفة به. إن الفصل السابع عشر من كتاب "التميز: الموهـبة والقيادة" هو إعادة صياغة لأفكار ماثيو آرنولد (١٨٢٢ ـ ١٨٨٨) فى رائعتـه "الثقافة والفـوضى" (١٨٦٩) الذى خصص فيها فـصلاً تحت عنوان "أن نفعل كما نحب" ويخلص فيـه أن للحرية ضابطًا وقوانينًا إن لم نلتزم بها أصـبحت كعدمها. يقول جاردنر، مؤلف كـتاب "التميز" فى الفصـل السابع عشـر "إن علينا أن نَهِبَ ـ فى حـرية ـ ولاءنا إلى المجـتمع الأمريكى الذى يَهِبُ لنا الحرية، ولقد قال مونتـسكيو إن الجمهورية لا يمكنها أن تبقى إلا إذا كـان مواطنوها يحـبونهـا. حرية والتزام، حـرية وواجب: تلك هى الصفقة، وعلينا ألا ننسـاها أبدًا، وعلينا ألا نخدع أنفسنا أبدًا. . فليس من المنطق الصائب أو الـخطة الرشيدة أن يـتاح لنا الحصـول على الحرية دون الـتزام. . لن يستمـر ذلك طويلاً. ." (جاردنر: ٢٢٣) ذلك جزء من كل التفكيـر المثالى الذى لن يفيد مصر أو شبابها شيئًا فى عام ١٩٩٤م.

ونفس المفارقة موجودة، نقديًا هذه المرة، عند استعراض الوظيفة الترجمية لكتاب "بلاغة الفن القصـصى" فرغم أن الدكتور محمد سلـيمان القويلفى يعى تمامًا أن كتاب "بلاغة الفن القصصى" قد تأخر على الأقل عقدين من الزمن إلا أنه يعلن سروره بهـذا الكتاب رغم تأخره، ويضيف "صـحيح أننا دخلنا منذ ذلك



الحين (بعض الدخول)، فى سياق نظريات وطرائق نقدية مختلفة شيئًا، ولاحقة لما فى الكتاب، ولكن ذلك لم يكن ليغنى عن ترجمته، فهو فى ظنى (جسر) من الجسور التى لابد من عبورها للعبور (بسلاسة) ـ وبدون أوهام أفلاطونية ـ من (هنرى جيمس) و (بيرس لوبوك) و (فورستر) وغيرهم إلى إبارت، وأندوروف وجيراد جينييت ومن نحى نحوهم من نقاد المدرسة الفرنسية بتياراتها المختلفة ومعهم أفكار نقاد ما سمى خطأ مقصوداً ـ المدرسة الشكلية؛ . . . وهذه ليست محاولة لتعيين موقع (بلاغة الفن القصصى) تعيينًا دقيقًا من حيث موقعه فى سياق طروحات الحقل وإنما هى إشارة إلى جانب واحد من طبيعه طروحاته وعلاقته بسابقيه" (الرياض: العدد ٩٦٦٣)ونحن نتفق تمامًا مع الدكتور القويفلى فى أهمية عبور تلك الجسور النقدية بسلاسة، ولكن ألا يرى معى الدكتور القويفلى أن هذه العملية ستكون عبوراً إلى الخلف؟ فأين "بلاغة الفن القصصى" من كتابات ديفيد لودج الذى ختم به شهادته خول كتاب وين بوث؟ وإذا كان الدكتور القويفلى قد استهل استعراضه للترجمة بالاستشهاد بكلمات جون كرو رانسوم، فهل يقبل الدكتور القويفلى أن يستشهد طالب النقد فى نهاية ١٩٩٥ بما قال جون كرو رانسوم (١٨٨٨ ـ ١٩٧٤) فى عام ١٩٣٤حول الشعر الفيزيقى والأفلاطونى، وكذلك الشعر الميتافيزيقى؟ أظنه لا يقبل بذلك حيث إن الستين سنة التى تفصل بيننا وبين رانسوم وجيله من أمثال ت. إس. إليوت (١٨٨٨ ـ ١٩٦٥) تجعل ما قالوه من التراث النقدى مع نهاية ١٩٩٤م. ولقد كان إليوت ناقداً نافذ البصر والبصيرة عندما أعلن أن ذكراه المئوية ستمر دون أن يتذكره أحد رغم علمنا تمامًا بما أحدثه إليوت من تطورات هائلة فى النقد ووظيفته ومسمياته. ولا أظن أحداً اليوم يهتم بآراء تى. إس إليوت إلا على أساس كونها جزءاً من كلاسيكيات النقد، ونجد الدكتور القويفلى يعترف بأن " بلاغه الفن القصصى" قد أصبح "(كلاسيكيًا) على حد تعبير اللغة الإنجليزية فى وصفها الكتب (الرئيسة) فى حقل معرفى ما " (المرجع السابق) رغم كل ذلك فإن الدكتور القويفلى لا يرى ضررا فى تأخر ظهور «بلاغة الفن القصصى»، بل ويرى أنه قصر عن مثيلاته الكلاسيكية بست سنوات " وأكاد أشبهه من حيث كلاسيكيته، لا مبحثه الدقيق بكتاب



"نورثروب فراى" (تشريح النقد) الذى ترجم (أخيراً) إلى العربية، بعد أكثر من أربعين سنة من صدوره، وكتاب (نظرية الأوب) لـ "أوستن وارين" و "دينيه ويليك"، الذى ظهرت ترجمته إلى العربية فى أواخر السبعينيات الميلادية بعد أربعين سنة من ظهوره هو أيضا. على أن كتاب "بلاغة الفن القصصى" تخلص من تلك الأربعينية بقصوره عنها بست سنوات " (المرجع السابق).

إننى مسرور مثل الدكتور القويفلى بهذه الترجمة لكن سرورى سيكون اعظم لو أنفق المترجمان وقتهما فى ترجمة آداء ديفيد لودج، أو كى. إم. نيوتن، أو إدودار سعيد، أو حاتم، أو أيًا من الأسماء التى تلمع فى أيامنا هذه، وخصوصًا أن بينها عربى هو إدوارد سعيد، لا يخلو كتاب فى النقد المعاصر من فصل أو جزء من فصل عن اتجاهه النقدى. لذا فإن ترجمة "بلاغة الفن القصصى" تبتعد كثيراً عن الفرضية التى سبقت فى بداية هذه الدراسة وهى أن وظيفة الترجمة التحديث حتمًا والمعاصرة إن أمكن.

أما الكتب الثلاثة الأخرى، وإن كان يجمعها حقل التعليم فإنها صدرت حديثًا باللغة الإنجليزية، وكذلك صدرت ترجمتها بعد سنتين أو ثلاث سنوات، وقد نقول أن هذا هو الوقت المستغرق فى الترجمة والمراجعة حتى النشر. فكتاب "التعليم فى مجتمع متعلم" صدرت طبعته الإنجليزية عام ١٩٨٨ وترجم فى عام ١٩٩١ إلى العربية؛ وكتاب "إسكالنتى: أفضل المعلمين فى أمريكا" صدرت طبعته الإنجليزية عام ١٩٨٨ وترجم إلى العربية عام ١٩٩٠. إلا أن كتاب " معاونة الكبار على التعلم: تخطيط البرامج وتطبيقتها وإدارتها "صدرت طبعته الإنجليزية عام ١٩٨٦ وترجم إلى العربية فى عام ١٩٩٣، أى أن سبع سنوات فصلت بين الطبعة الإنجليزية والطبعة العربية. ومن ثم فإنه لا توجد هوة زمنية كبيرة تفصلنا عنهم.

وكتاب "التعليم العالى فى مجتمع متعلم " يناقش منذ البداية الأسباب التى أدت إلى وجوب حدوث تغيير فى نظرة الأفراد والمجتمعات إلى التعليم العالى، وأظن أن البلاد العربية تمر بنفس الظروف. فنظرتنا اليوم الى الجامعة لم تكن كما



كانت عليه منذ خمسين أو حتى عشرين عامًا مضت، ولوعاد التاريخ ببعضنا إلى الوراء لاخترنا أن ندرس إدارة الأعمال مثلاً، أو علوم الحاسب الآلى، ولكن لكل زمان أحكامه التى نجد أنفسنا - شئنا أو لم نشأ - محكومين بها. ونعود إلى الأسباب التى يلخصها جيرولد أبس فى كتاب " التعلم العلمى فى مجتمع متعلم «وهى» ظهور تغيرات بنيوية". ظهور مؤسسات تعليمية بديلة. تلاشى الحواجز بين ما هو أكاديمى وغير أكاديمى. تلاشى الفروق التقليدية بين التدريس فى الحرم الجامعى وخارجه. تبنى عدة استراتيجيات للتغيير. تطوير أساليب جديدة للتعليم والتعلم. استخدام مصادر جديدة وخلاقة للتمويل. تطوير برامج خاصة لفئات معينة من المجتمع. ظهور لغة جديدة". (أبس: ٩) وأظن هذه بحق بعض الأسباب التى حذت بكثير من الدول العربية، وخصوصًا مصر والأردن إلى التوجه إلى التعليم الخاص فى المرحلة الجامعية، والاتجاه عمومًا نحو التعليم الفنى، وفتح الفرصة للكبار لدخول الجامعة إما عن طريق الانتساب الكامل أو الموجه، وقد كان للإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية تجربة رائدة فى هذا المجال. وأظن هذا الكتاب بما فيه من دراسات معاصرة سيفيد الكثير من القائمين على التعليم العالى فى أى دولة عربية. وينقل لنا المؤلف تجربة فشل ونجاح التعليم العالى فى أمريكا، فيقول: "لقد وضعت أسس التعليم العالى الحالى فى أواخر القرن التاسع عشر. وقد أوجدت الاضطربات الطلابية فى الستينات من هذا القرن صورة سلبية للجامعات الأمريكية على الأقل فى بعض الأوساط الأمريكية، ولكن التعليم العالى ازدهر فى السبعينيات، وتشمل المؤثرات على التعليم العالى ما يلى:

١ - التغير فى إعداد الطلبة المسجلين وازدياد عدد الطلبة الكبار فى الكليات.

٢ - تغيير فى المناهج لصالح المناهج المهنية.

٣ - التنافس بين الجامعات والكليات ومؤسسات التعليم العالى البديلة.

٤ - التعاون بين الجامعات والكليات والمؤسسات الأخرى.

٥ - تطور وسائل وأساليب تدريس جديدة.

٦ - ازدياد المشاكل المالية التى تواجه عدداً كبيراً من المؤسسات.



ويشهد التاريخ أن مؤسسات التعليم كانت تستجيب للقوى الاجتماعية بشكل مستمر. ونادراً ما كانت المؤسسات ترفض التغيير، إلا أنها كانت تستجيب. وتطور نفسها وتعدل من برامجها بالرغم من أنها تفضل البقاء على ما كانت عليه أكثر من إنصياعها للتجديد والتغيير" (أبس: ٣٧). كما أن آراء فى مناقشة تعليم الكبار وما يجب عمله نحو تعليم أفضل، هو ما تتطلبه مجتمعاتنا. يتخبط البعض فى توفير فرص التعليم للكبار، فيحولون فصول تعليم الكبار الى دروس تقليدية كما لو كانوا يخاطبون طلاباً منتظمين بالجامعة.

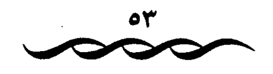
إن الكتاب ـ فى مجمله ـ تجربة معاصرة ودسمة لتعليم الكبار فى المجتمع الأمريكى، وقد نقلت هذه التجربة إلى اللغة العربية فى وقت مناسب بعد صدورها فى طبعتها الإنجليزية بثلاث سنوات، وما على المهتمين بتعليم الكبار إلا اقتناؤه والاستفادة قدر المستطاع بما فيه.

أما الكتاب الرابع "إسكالنتى: أفضل المعلمين فى أمريكا" فنحن بحاجة الى هذا النوع منه ليرافق جميع مدرسينا الذين قد يصابون بخيبة أمل عند دخولهم أحد الفصول التى أفسدتها " مدرسة المشاغبين " وناظرها ومخرجها ومؤلفها وممثلوها. إن جيم إسكالنتى يقدم تجربته بين طلاب جاءوا الولايات المتحدة من دول أمريكا اللاتينية. وتجربة إسكالنتى تقع فى مدرسة جارفيلد فى لوس أنجيلوس الشرقية. إن أكثر من ٩٥٪ من الطلاب فى مدرسة جارفيلد ينحدرون من عائلات من أمريكا اللاتينية، كما أن بعض تلك العائلات قد جاءت إلى الولايات المتحدة من المكسيك بطريقة غير شرعية فى الغالب. وحتى من مضى على إقامتهم فترة طويلة مازالوا يتكلمون الأسبانية فى بيوتهم. وقليل من البيوت تحوى كتباً بغض النظر عن اللغة المكتوبة فيها، أو شهادات من أى من المعاهد معلقة على الجدران" (ماثيوز: ٦) ومجتمع الأمريكيين الذين يأتون من أمريكا اللاتينية ذو طبيعة تعليمية سلبية خاصة " وحسب ما تقول الهيئة الوطنية الخاصة بالتعليم الثانوى للأسبان، فإن ٤٠٪ من الشباب من الأصل اللاتينى فى الولايات المتحدة والذين يتركون المدارس قبل التخرج يفعلون ذلك قبل إتمام الصف العاشر. كما أن ٤٥٪ من الطلبة من الأصل المكسيكى والبورتوريكى لا ينهون دراستهم الثانوية أبداً، و ٧٦٪ من جميع الطلاب من الأصل اللاتينى لا يحققون إلا أدنى النتائج



فى الامتحانات الوطنيـة الموحدة. ففى كاليفورينا وحدها أكـثر من ١٣٪ من جميع خريجى المدارس الثانوية و ٥ ٪ فقط من الخريجين من أصل لاتينى كانوا مؤهلين للقبول فى جامعة كاليـفورنيا عام ١٩٨٣" (ماثيوز: ٨ ـ ٩) إن نجاح إسكالنتى فى مدرسة جارفيلد الثانوية "غير المتوقع والمنقطع النظير نشأ من معتقدات وطموحات رجل واحد بمسـاعدة بعض الأشخاص الذين شاركـوه بعضًا من آرائه وإن لم يكن كلها. لم يقـدم أى منهم نظريات عظيمة عندما بدأوا فى مـبادراتهم، والقليل منهم حلم بالنتـائج المذهلة التى تحـققت " (مـاثيوز: ٣٧٥). ومن المـهم أن نعلم أن تجربة إسكالنتى قد وقعت بين الطلاب الأمريكين الذيـن يمضون أمام التليفزيون " وقتًا يزيد ألفى سـاعة عن الوقت الذى يقضونه فى المدرسـة " (ماثيوز: ٣٥٥) فى حين أن الطالب فى اليابان ومـا عرف بالاتحاد السوفيتى سابقًـا يقضى فى المدرسة ستة أيام أسبوعيًا إضافة إلى الدروس المسائية.

وكما قلت عن تـجربة إسكالنتى فى بداية تناولى لهذا الكتاب، نـحن بحاجة إلى قصة رائعـة كهذه تتداخل فـيها الأرقام مع السرد القـصصى البسيط والتـرجمة الموفقـة، لتقدم لنا واحدة من التـجارب التعليمـية التى تضيف زخمًـا الى تجربتنا التعليمية. صـحيح أنه لا يوجد بيننا مهاجرون من بوليفيـا أو أسبانيا أو بورتوريكو كى نتبنى تجربة إسكالنتى، ولكن تجربته مورد جد مرن تطبيقيًا، فكم من قرانا فى الريف والبدو نجد فيها نفس الظروف والأسباب التى توجد غالبية من الأميين الذين يطحنهم الفقر والجهل والمرض. وكم من ضواحى مدننًا يسكنها أناس بلامأوى أو مسكن، وإن توفر فهو الصفيح أو الخشب، كما كانت عشش الإنجليز فى ضواحى المدن الإنجليزية بداية القرن العشرين. إن إسكالنتى مطلوب عربيًا كما هو مطلوب أمريكيًا، فـقد حاول تدريس مادة صـعبة على ذهن الطالب الأمريـكى المرفه، ألا وهى مادة التـفاضل والتكامل، وبفضل جهـده جاء ترتيب تلك المادة الثـالث بعد التاريخ الأمريكى والإنجليزى فى امتحان عام، وكان عدد الطلاب المتقدمين لذلك الامـتحـان ٨١٠ ,٢٦٢ طالبًـا وذلك فى يونيو ١٩٨٧ (مـاثيـوز: ٣٨٩). إننا نريد لترجمـة هذا الكتاب الفريد من نوعه أن يكون مرجـعًا لأصحاب الهمـة العالية من مدرسينا الذين يجدون مشقة فى تدريس أى مادة لأبنائنا ـ وبذا تتحقق المعاصرة لما يحـدث لدى الآخر. وصـحيح أن تجـربة إسكالنتى لم تكن وليـدة تسعـينات هذا القرن. لقد بدأت فى أربعـيناته، لكنها لم تظهر فى كتـاب إلا عام ١٩٨٨، وسارع مركز الكتب الأردنى إلى ترجمتها إلى العربية ليكون من ورائها بعض المنفعة.



أما آخر كتاب وهو "معاونة الكبار على التعلم" فقد ظهرت طبعته الإنجليزية الأولى عام ١٩٨٦ وطبعته المترجمة الى العربية عام ١٩٩٣. ونحن إذ نستكثر السبع سنوات التى تفصل بين ظهور الكتاب لأول مرة فى أمريكا ونقله إلى العربية فى القاهرة، فإننا نثنى على جهد الترجمة الذى قامت به الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية لإيصالنا بما يدور لدى الآخر فى هذا المجال الذى تحتاجه مجتماتنا فى مراحلها التنموية المختلفة، "كما أن المشرفين على برامج تعليم الكبار ومنسقى هذه البرامج يستطيعون أن يستخدموا الأفكار والأمثلة التى يقدمها الكتاب فى مساعدة المعلمين على تحسين أساليبهم. وفوق هذا فإن معاونة الكبار على التعلم، يعتبر مصدراً لقراءات مفيدة لورش الزمالة الدراسية وللبرامج الجامعية فى تعليم الكبار. ثم إن معالجاته الشاملة، وأمثلته العملية المتنوعة، وأسئلة الحوار به، واستشهاداته فى الكتابات العلمية والعملية سوف تكون مفيدة بصفة خاصة فى مثل هذا السياق " (نوكس : ٨). والكتاب فى فصوله الإثنى عشر يجيب على أسئلة تتعلق بكيفية: معاونة الكبار على التعلم؛ تفهم الدارسين الكبار ؛ تعزيز التعلم من قبل المعلمين؛ تقدير حاجات الدارسين ووضع أهداف البرامج؛ أنشطة التعلم الفعالة، إختيارها وتطبيقها؛ إختيار المواد التعليمية وإعدادها؛ تهيئة ظروف مساندة لعملية التعلم ؛ توفير تفاعلات متحدية بين التعليم والتعلم؛ إستخدام معلومات تقييم البرنامج بصورة فعالة؛ معاونة الكبار على تطبيق ما يتعلمونه؛ توفير موارد إضافية لنجاح البرنامج؛ وأخيراً استراتيجيات لتحسين التدريس.

من استعراض تلك الأمثلة المعاصرة لخمس كتب مترجمة مؤخراً نخلص إلى أن الترجمة يجب أن توظف لتكون جهداً موجهًا لوصلنا بما لدى الآخر ـ قد يكون الغرب وقد يكون أمريكا أو غيرهما ـ فى كافة العلوم والمعارف وما هى عليه اليوم ومن خلال ذلك الوصل تتحقق صفة معاصرة ما لدى الآخر الذى أصبح لا يفصلنا عنه سوى أجزاء من الدقيقة هى المدة المستغرقة فى بث الخبر عبر الأقمار الصناعية.



صمدت اللغة العربية فى وجه موجات طويلة الأجل من الغزو العسكرى والمعرفى من الدول المجاورة التى لا ينطق أهلها العربية. كما أنها لم تستسلم كما فعلت مثيلاتها من اللغات الأوربية لتأثير الاحتلال والارتماء فى أحضان الاستعمار فترات طويلة. وإذا كانت نسبة لا تقل عن ستين بالمئة من اللغة الإنجليزية قد أخذت عن الفرنسية فإن النسبة تنعدم فى حال اللغة العربية فى مصر التى احتلها الفرنسيون قرابة مئة عام وتبعها الانجليز الذين احتلوها أربعًا وسبعين عامًا. فبقيت العربية فى مصر سليمة لم يدخلها ما دخل الإنجليزية حينما احتلها الفرنسيون لمئتى عام فقط. وصحيح أن اللغة العربية فى المغرب العربى قد دخلتها الفرنسية بشكل ملحوظ، لكن ذلك الغزو اللغوى كان بتأثير مادية اللغة الفرنسية فاستخدمها الناس للتعبير عن أنفسهم أمام الحاكم الفرنسى، ولتداول معاملاتهم وأغراض البيع والشراء. وصحيح أن نسبة من أهل المغرب العربى لا يتكلمون العربية إطلاقًا، لكن مجهودات التعريب والترجمة قد أثمرت كثيرًا لدرجة أن أصبح للمغرب العربى مدرسته الرائدة فى مجالى الترجمة والتعريب. لذا لم تكن الفرنسية فى المغرب عوضًا عن العربية، أو بدلاً عنها، فكان حال تلك البلاد كمن يمتلك سيارتين يستخدم الأولى للذهاب الى عمله والثانية عند التنزه مع أسرته.

إن صمود اللغة العربية فى وجه اللغات الأخرى إما تحت تأثير الغزو العسكرى أو المعرفى قد أخذ أشكالاً عدة منها، إختزال اللغة الأجنبية فى العربية وإخضاعها للنماذج اللفظية العربية ومن ثم إدراجها ضمن معجم العربية وإضافة النهايات العربية فى الجمع والتذكير والتأنيث والتثنية والإفراد، فنحن نقول: برنامجٌ، برنامجًا، برنامجان، برنامجين، وبرامج، ومبرمجة، ومبرمج، وأصل الكلمة Program. ونقول: تلفاز، وتليفزيون وتلفزة، ومتلفز، وأصل الكلمة Tel-evision منطوقة فرنسية وانجليزية. وتشمل تلك القائمة فيديو وكاميرا وإستريو وميكروفون وراديو وتمتد لستوعب من صنوف المأكل والمشرب وذلك كله يندرج تحت ما يعرف فى الانجليزية assimilation. وليس مما يقلق الغيورين على اللغة العربية أن المترجمين لم يجدوا مقابلات لهذه الكلمات. فإن مادية الموقف لها إملاءات معينة، فحين دخل جهاز الفيديو لأول مرة إلى السوق العربية لم يكن



أول من اشتراه مترجمًا ليفكر فى بديل له، لذا تداول الناس كلمة فيديو وأصبحت واحدة ليست فى العربية فقط ولكن فى معظم اللغات الحية فى العالم، وإن كان أصلها لاتينيًا من vide. وعلى العكس، فإن استيعاب العربية لمثل تلك الكلمات يعكس قدراً كبيراً من قدرتها على الحركة والنشاط الذى يتحدث عنه الدكتور أحمد علبى فيقول " تحتضن اللغة كل جديد يطرأ على الحياة، واللغة الحية هى التى تفتح صدرها لتلقى هذا الجديد الدائم، سواء نزل ساحتها فى لبوسه الأصلى أو المعدل، أم ارتدى لباس تلك اللغة المستقلة. وفى الحالتين فان اللغة، ذات الدينامية، لا تضيق بأى مصطلح أو لفظ أو عبارة، لأن اللغة وسيلة وليست غاية فى حد ذاتها. إنها وسيلة للإتصال، وللإفهام، وللتواصل الفكرى والوجدانى "[1]

وقد يصطدم هذا القول مع بعض الآراء التى تقول بحتمية ترجمة كل مفردة ترد إلينا وهذا أمر نتمناه لكن تحقيقه يتزايد صعوبة يومًا بعد يوم فاللغة لها عرفها وهى " لا تخضع لمشية هذا أو ذاك، مهما علت رتبته وبلغت سطوته، لأنها، تاريخيًا وعبر مئات السنين من التطور الداخلى، استقامت لها صيغ وقوانين ينبغى مراعاتها والأخذ بها. أما التطور فمحتوم، ولكنه حاصل من داخل اللغة ووفق ما انتهت اليه من آلية "[2] فنحن أمام وضعية سياسية قبل كل شئ. حيث ارتباط اللغة والشعب الذى يتكلمها يكون عاملاً مهمًا فى هذه الوضعية، وليس الموضوع ما نريد أومانتمنى، ولكن ما هو صائر و ما هو واقع وغير ذلك يعتبر تملصًا من مواجهة ما يصير، ما يقع حولنا، لذا "تكون اللغة مهمة إذا كان الشعب الذى يتكلمها مهمًا سياسيًا، واقتصاديًا، وتجاريًا، واجتماعيًا، وثقافيًا. فالانجليزية والفرنسية والألمانية لغات هامة لكون شعوبها هامة، ولذا فإنها تدرس على نطاق واسع خارج البلاد التى تستخدمها "[3].

ومن الثابت أن اللغة العربية ذات حضور وفاعلية مكناها من تقبل كثير من الوافد عليها رغم اختلافه لغويًا عن جذور لغتنا العربية ومن ثم فقد استوعبت كثيراً من مستحدثات العصر اللغوية بسهولة ويسر وتلك سمة هامة فى اللغات الحية ذات الحضور والفاعلية التى "تقبل كل وافد جديد عليها وتهضمه، وذلك حسب طبيعتها وقوانينها المتواترة، لأن لكل لغة خصائص تكوينيه لامفر من مراعاتها. وما قد يصح على لغة، من حيث النحو وتركيب الجملة والكلام، قد



لايتلاءم مع «سـانتكس» لغة أخـرى، . فكما أن لكل إنسـان إطلالة متـفردة ولون عـينين ونبـرة صـوت نعرفـه بهـا، هكذا اللغـة تتـمـايز عن غـيرهـا بإيقاعـهـا وجمالاتها»[٤] فصحيح أن الكلمات ذات الاستخدام الحديث فى الإنجليزية تمثل مشكلة كبرى عند نقلها إلى العربية. ورغم حداثتها فى الانجليزية، مثلاً، الا أنها استطاعت أن تتكيـف بشكل واضح لتقابل الاسـتخدام الحـديث فى الإنجليزية. ولكن عند نقل تلك المفردة إلى الـعربية تظهر الصعوبة لأن تلك المـفردة لم تمر بمرحلة ما يعـرف بالتصعيد فى اللغة، وهـو مايستدعى مرورها بالمرحلة الحـسية المـادية وصولاً إلى مـرحلة التجـريد المـعنوى"وكيف لا تكون اللغـة فى أصل منشـها، مادية الجـذور، وقد انطلقت من المحـسوسات المتـوافرة فى محـيطها الطبيعى، ثم جدت عليها، مع الزمن، عملية تصاعدية، فتجردت معانيها وداخلها المجاز وهذا أمـر نتبينه بوضوح من خـلال الكثير من مفردات لـغتنا، ذات النشأة البدوية. . . وهذه العمـلية الانتقالية من المـحسوس المادى إلى التـجريد المعنوى يدعوها المشتغلون باللغة "التصعيد" وهى سمة اللغات المكتملة الراقية"[٥]. فلو لم تكن فى اللاتينية كلمة vide ما استطاع متكلمو الإنجليـزية إيجاد كلمة فيديو، فقد أضـافوا الزائدة O -، كما فى إسـتريو Stereo الإغريقيـة والتى هى الأخرى أُستوعبت إسـتيعابًا كاملاً فى الإنجليـزية وساد استخدامهـا فى عدد من الكلمات الإنجليزية مثل Stereo نفسها وتعنى جهاز استـعادة الصوت عن طريق السماعات المكبـرة، وهى زائدة فى أول الكلمة تـعنى "صلب" وهى تشيـر إلى التمـاسك والصلابة وثلاثية البعد فى تكوين الكلمات المركبة مثل Stereo Chemistry كيمياء المواد الصلبة، Stereo gram الرسم المجسمى، Stereo Scope الإسْتريوسكوب وهو أداة بصرية تبـدى الصور للعين مـجسمـة، ونستطيع أن نعد بعـد ذلك أربعة وثلاثين كلمة مـركبة كلها تبـدأ بهذه الزائدة فى قاموس وبسـتر الموسوعى طـبعة ١٩٨٩ . لذا بقيت الكلمـات التى استعرناها من الانجليـزية أو الفرنسيـة كما هى لعدم مرورها بالمرحلة الإنتقالية من المـحسوس المادى إلى التجريد المعنوى التى يتكلم عنها الدكتـور عُلَبى على رغم تمتع لغتنا بالديناميكية والحـضور وذلك مما يميزها كلغة مـكتملة وراقية. لذلك أيضًا، فإنه لاضرر مـن دخول المفردات التى هى اخـتصـارات acronyms لأول أسـماء الهـيئـات والمنظمـات الدولية مـثل: اليونـسكو، واليونيـسيف، والأورنروا، والأوبك، والناتو، ومـا شابههـا. وتلك



مفردات جديدة فى اللغة العربية تضاف إليها فتكسبها حيوية وديمومة على التغيير إلى الأفضل، ذلك أنه "عندما تتوقف لغة عن التغيير فنحن نسميها لغة ميته. فاللغة اللاتينية الكلاسيكية لغة ميتة لأنها لم تتغير طوال مدة قاربت ألفى عام. أما القول بأن لغة ما لها صفة الحيوية الدائمة فإنه يمكن الاستدلال على ذلك بسهولة عند النظر فى مفرداتها. فالكلمات القديمة تموت، الكلمات الموجودة يتغير معناها"(٦).

أما الشكل الثانى من أشكال صمود اللغة العربية فى وجه الغزو المعرفى والعسكرى فقد كان الترجمة. وتمثل ذلك فى جهد دؤوب لنقل مالدى الموجود المعرفى الغربى إلى لغتنا. وكان هذا شغلا شاغلاً لجميع مفكرينا وحتى شعرائنا الذين تزعمهم حافظ ابراهيم (١٨٧٢؟ ـ ١٩٣٢) عندما كتب تائيته " اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها"(٧) عام ١٩٠٣ والتى بدأها بقوله:

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى	وناديت قومى فاحتسبت حياتى

إن اللغة العربية عنده قد "وسعت كتاب الله لفظًا وغاية" وما ضاقت" عن آى به وعظات" فلذا هو يستغرب أن تضيق اليوم عن وصف آلة/ وتنسيق اسماء لمخترعات" وفاخر بعد ذلك بعربيته وخلد صوته فى مسامعنا منبهًا ومحفزاً للهمم أن تترجم وأن تأتى فى لغتنا ما يواكب مخترعات الغرب ومسمياته:

أنا البحر فى أحشائه الدر كامنٌ	فهل سألوا الغواص عن صدفاتى
فياو يحكم أبلى وتبلى محاسنى	ومنكم وإن عز الدواء أساتى



الأساة فى قصيدة حافظ ليسوا الأطباء، فذلك معنى أساة فى القاموس، ولكن ما أراده هو المترجمون واللغوين الذين فى يدهم فقط معالجة ما يطرأ على اللغة من جمود يؤدى بها إلى الموت أو البلى كما أشار إلى ذلك بو وكيبل منذ قليل. ويستمر حافظ فيقول:

فلا تكلونى للزمان فإننى	أخاف عليكم أن تحين وفاتى
أرى لرجال الغرب عزة ومنعة	وكم عز قوم بعز لغات

ولا يغيب عن ذهن دراسى التاريخ الأمريكى نوح وبستر (١٧٨٥ ـ ١٨٤٣) وهو معجمى أمريكى كان من رواد تكوين الوعى الامريكى، ولا يوجد لغوى أمريكى لا يستند إلى آراء وبستر فى كتاباته أو أسانيده. كما أن طبعات وبستر تفوق الحصر: من الموسوعى الى المكتبى إلى الجامعى الى العالمى. وتتعدد طبعاته من الرخيص جداً حتى يتيسر للعامة غير القادرين إلى الذى يتعدى مئات الدولارات.

ولقد كانت نغمة عجز اللغة العربية عن مواكبة المخترعات الحديثة فى العلوم والفنون موجودة منذ القديم وتناولها حافظ فى قصيدته برجاء حزين:

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادى بوأدى فى ربيع حياتى
أيهجرنى قومى ـ عفا الله عنهم ـ ... إلى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثه الأفرنج كما سرى ... لعاب الأفاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مشكلة الألوان مختلفات
إلى معشر الكتاب والجمع حاصل ... بسطت رجائى بعد بسط شكاتى
فإما حياة تبعث الميت فى البلى ... وتنبت فى تلك الرموس رفاتى
وإما ممات لاقيامة بعده ... ممات لعمرى لم يقس بممات

إن من بيننا اليوم من يقول بعجز اللغة العربية التام عن مجاراة ما يدور بالخارج وهؤلاء محسوبون علينا، وهم يستندون فى ذلك الى حجج واهية ضعيفة. ولقد سرت تلك "اللوثة" مع لوثة "الفرنجة" ـ أى جعل حياتنا صورة طبق الأصل من حياة الأفرنج، غير العرب ـ وقد بدأت الفرنجة أول ما بدأت باللغة. فليس مهمّا إلى أى طبقة ينتسب شخص ما، المهم هو ما يتشدق به مفردات أجنبية كانت يومًا فى مصر من الفرنسية وهى تخص المأكل والملبس وبعض المناحى الثقافية. ولقد كانت الفرنسية فى بعض الأحيان هى جواز المرور إلى الوظائف العليا دون النظر إلى المؤهل أو الخبرة. لذا كانت لغة هؤلاء الناس، كما وصفهم حافظ، "كثوب ضم سبعين رقعة" ـ خليط من عربية غير مهضومة، وفرنسية مستعارة لتوها.



ومما يوسع انتشار تلك اللوثة أن بعض لغوينيا يرون ضرورة نقاء العربية من اللغات الأجنبية، وهذا فى حد فهمهم يضمن خلو العربية من الألفاظ غير العربية. ولو فعلت الانجليزية ذلك لما ضمت إليها الأرقام العربية ولما ضمت اليها علوم الجبر والكيمياء والهندسة والحساب أثناء عملية نقل الموجود العربى. وفى حوار متميز مع مجلةالمستقبل العربى، يتناول المفكر الدكتور غانم هنا، هذه القضية مفنداً مذهب الدعوة إلى نقاء العربية من المصطلح الأجنبى، حيث يقول: "عجز اللغة العربية فى تأدية متطلبات العلوم فى واقعنا المعاصر، هذه التغطية فى عجز علمائنا اللغويين أوفى تعصب بعض العلماء الآخرين، فى تطوير اللغة العربية وهى قادرة فى منطقها، فى صرفها وفى نحوها على استيعاب جميع العلوم، يرى هؤلاء أن الحفاظ على الماضى وعدم إدخال اشتقاقات إليها، مثلاً، تتماشى مع اشتقاقات اللغة العربية، يقتضى التمسك بطهارة ونقاء اللغة العربية، فى حين أن الطرف الآخر يلجأ إلى استيراد تلك المفاهيم والمصطلحات من اللغة الأخرى دون أى مبرر. فبدل أن نجابه اللغة العربية ككائن حى نفرض عليها ونستنتج من امكاناتها ما يتلاءم مع متطلبات عصرنا، ننادى بنقاء اللغة العربية أو ننادى باستخدام لغات أوروبية أو لغات أخرى فى مجال العلوم. المشكلة ليست إذاً فى اللغة العربية، كما أنها ليست مشكلة الإنسان العربى وإنما هى مشكلة أولئك الذين ينصبون أنفسهم حكامًا على حرية وحياة اللغة العربية، كما ينصبون أنفسهم حكامًا على حياة الإنسان"(٨).

إن غيرتنا على اللغة العربية، وغيره حافظ، لاتقل شأنًا عن غيرة الإنجليز على لغتهم، فقد كره الانجليز الأمير ألبرت زوج الملكة فيكتوريا التى حكمت بريطانيا فى الفترة من ١٨٣٧ إلى ١٩٠١ لكونه ألمانيًا واعتبره الانجليز وزوجته عملاء لبروسيا رغم علمنا جميعًا بما قدمت فيكتوريا للتاريخ الإنجليزى علمًا وأدبًا وثقافة عمومًا، وما تزال قلعة ونزود حتى اليوم تقيم متحف التاريخ الدائم احتفالاً بملكيتهم وتخليداً لتاريخها. ولقد كان حدثًا فريداً فى القصر أن يتكلم ألبرت الإنجليزية كما يتكلم الألمانية. وكان الأمير ألبرت يكتب يومياته باللغة الألمانية رغم تمكنه بعض الشئ من الإنجليزية. وكان يحيل جميع مخاطباته إلى السكرتارية أو إلى المكلة فيكتوريا نفسها لتنقيحها وتصحيحها (٩). إن إتهام فيكتوريا بالعمالة لبروسيا نبع من استخدام ألبرت للألمانية فقط، رغم ماربطه



بفيكتوريا من حب عـارم وزواج. لكن الشعب الغيور رأى فـيه وفى الملكة رموز العمالة لأن ألبرت تكلم بلغة أعدائهم. ولم تشفع مشاركات فيكتوريا الجمة لعصر سمي بإسمها - فيما بعد - فى منع لعنات معاصريها من بنى جلدتها.

وليست الترجمة جهداً منفصلاً عن التأليف، إنهما رافدان للمعرفة فى عالمنا العربى أو غيره. فلا توجد عصر ازدهرت فـيه الدولة إلا وكانت الترجمة والتاليف جناحى الطائر الملحق. فلقـد قام الاتحـاد السوفيـتى (١٩٤٥ - ١٩٩١) على يد زمرة عسكرين بزعامـة ستالين، ولم يصبح قوة نووية تخضـع الغرب وأمريكا لما يدور فى الكرملين إلا من خلال الثـورة المعرفية، والإنفجـار المعرفى الذى وقع فى الاتحاد السوفيتى بعد ذلك. والشاهد، إن الاتحاد السوفيتى أنشا ما يشبه وزارة للترجمة كان همها أن تقوم بترجـمة كل مايدور فى انحاء العالم إلى اللغة الروسية - التى اصطبغت بها جميع جمهوريـات الاتحاد السوفيتى السابق - سواء كان ذلك مذاعـًا أو مكتوبًا. وبعد ذلك تحـال الترجمات إلـى جهات الاختـصاص. وتلك الجهات تبـدأ من الكى جى بى والكرملين وتنتهى بأصغـر معمل لتصنيـع الفودكا والكافيار مـروراً بمصانع الفراء الروسى الذى يذهب بعقول النسـاء. إذن فالتأليف والترجـمة صنوان لا يفترقـان، بل إن الترجمـة حافز للتـأليف والابتكار. وتجربة الاتحاد السوفيتى لم تكن تعنى وقوفهم عند الترجمة فقط لكنها تطرقت إلى وضع مؤلفـات جديدة ونظريات جديدة سبـقوا بها الغـرب فى رحلات الفضاء وصـعود القمـر فى وقت واحد مـع الأمريكين، وصنع سـبعة وعـشرين الفًا من الرؤوس النووية التى تعيد العالم - إن اطلقت - إلى عصر حياة الغابة والحجر.

كما أن التأليف والترجمة عند الاستاذ أحمد لطفى السيد (١٨٧٢ - ١٩٦٣) تياران مـتوازيان لا يجب أن نفصل أحـدهما على الآخر، فـهو يقول " الترجـمة عندى ضرورية فى هذا العصر إلى حد أنى لا أظن أنه تصح المعارضة بينهما وبين التأليف"(١٠). وحينمـا سئل "أيهـما أولى بالتقـديم - عند الترجـمة - الآداب أو العلوم؟" أجاب ؛الواقع أن الحـركة الأدبية تتقـدم الحركة العلميـة دائمًا. كذلك كـانت سنة الأولين. فان الآداب الـيونانيـة قد تقـدمت العلم اليـونانى. والآداب العربيـة تقدمت العلم العربى. والنـهضة الحديثـة فى أوربا بدأت بالآداب ثم ثنت بالعلوم. فلسنا إذن مخـتارين فى أن نبدأ بأيهمـا شئنا"(١١). والمهم عند الأستاذ



أحمد لطفى السيد رحمه الله كما هو بنفس القدر عند أى من الأحياء المهتمين بحركة الترجمة، أن نبدأ الآن وألا نتأخر، " لأن كل يوم من أيام التأخير فى الابتداء يؤخر فى النتيجة لاأيامًا فقط، بل سنوات طوالاً"(١٢).

يبقى سؤال ذو علاقة فى دراستنا هذه: من أى لغة نترجم إلى العربية؟ ولقد درج الكثيرون على الترجمة من الفرنسية فترة ما حين كانت مصر قريبة من فرنسا فكريًا وثقافيًا، وحين كان زمن الاحتلال غير بعيد. كما أن دول المغرب العربى تترجم عن الفرنسية لقربها هى الأخرى من فرنسا فكرًا وثقافة، وأيضًا لقصر المسافة بين أيام الاستعمار ونيل الحرية. وفى فترات سابقة كانت حركة الترجمة من التركية والفارسية على أشدها، إضافة إلى اللاتينية واليونانية فى فترات أبعد. ولسنا فى حاجة إلى تكرار ماقاله بو وكايبل فى بداية هذه المقالة من أن اللغة تكون مهمة إذا كان الشعب الذى يتكلمها مهمًا سياسيًا واقتصاديًا وتجاريًا واجتماعيًا وثقافيًا. وعند ترجمة الآداب الأجنبية فنحن لا نستفيد فقط إطلاعًا على مالديهم، أو معرفة بموجودهم فقط، ولكننا نستفيد طرائق التفكير وأنماط الكتابة كما يقول الأستاذ أحمد لطفى السيد " وأهم ما ننتفع به من الآداب الأوربية هو أنماط الكتابة وطرائق ترتيب الفكر. فترجموا من أى لغة شئتم، فما ترجمتموه سيأخذ الطابع العربى بعد ذلك أيًا كان مصدره. لكل أمة أدب خاص يأتلفه وتقاليدها القومية واعتقاداتها الدينية وعاداتها وأخلاقها ومركزها الجغرافى "(١٣).

وخلاصة القول، أن اللغة العربية، بخلاف كثير من اللغات الحية الأخرى قد صمدت فى وجه كل محتل لكل أرض عربية، وإن تغيرت لغة التعامل فى بعض الدول العربية إلى لغة المحتل، فإن التعبير عن الأحاسيس والمشاعر وما بين الأفراد كان عربيًا كل حسب لهجته. ولم تذب العربية. فى غيرها تحت تأثير الاحتلال، كما أنها لن تذوب إنشاء الله بفعل الانفجار المعلوماتى الذى نشهده هذه الأيام. وقد يرى البعض أن العربية مقصرة عن الوفاء ببعض المتطلبات الحضارية المعاصرة ولكن ذلك ليس بسبب عيب فى العربية. هو بسبب خلل معرفى أصابنا فنتج عنه التكاسل والخمول الذى ينعكس سلبًا على لغتنا، وصدق حافظ أذ قال «وكم عز قوم بعز لغات». لذا، فإن «العربية مقتدرة، ولكن أهلها فى زمننا، غير مقتدرين، بسبب عوارض التخلف، والتبعية، واستسهال الأمور،



وتخلخل الحس القومى السليم. إن تاريخ العربيــة من تاريخ العرب أنفسهم، وإن كان هناك، فى يومنا، من مــشككين فى أهليتها فـإن شكهم يصب، بالتالى، فى قومهم المتفرقين وفى تاريخهم المعاصر المتفسخ"(١٤).



الهوامش:

١ ـ د. أحمد علبى، «الأسـاس الإجتماعى للغة»، مجلة العـربى الكويتية العدد ٤٠٢، مايو ١٩٩٢، ص ٣١.

٢ ـ المرجع السابق، ص ٣٢.

٣ ـ Albert C. Baugh and Thamas Cable, A Histoy of the English Language (Routeledge and Kegan Paul, 3 rd edn., 1981), p. 3.

٤ ـ العربى ٤٠٢ : ٣١.

٥ ـ المرجع السابق: ٣٤.

٦ ـ Baugh and Cable: 2

٧ ـ أحمد أمين وآخرون، "ديوان حافظ ابراهيم" (بيروت: دار العودة، د. ت، صورة عن طبعة ١٩٣٢ لمصرية)، ص ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥.

٨ ـ " تساؤلات حول مشكلات الثقافة العربية: حوار مع غانم هنا"، مجلة المستقبل العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٣١، يناير ١٩٩٠، ص ١٤٩. والدكتور غانم هنا استاذ علم الاجتماع فى جامعـة دمشق وسبق له أن قام بالتدريس فى جامعـتى جو يتنغن وبريمن فى ألمانيا الغربية. ومن كتـبه: "فلسفة الحضارة"، "بناء المجتمع" و"الفلسفة الاجتماعية".

٩ ـ Stanley Weintraub, Victoria : Bioraphy of a Qeen (Unwin, 1987), p. 230.

١٠ ـ العربى، العدد ٣٧٢، نوفـمبر ١٩٨٩، ص ص ١٠٤ ـ ١٠٥. سبق أن نشر هذا المـقال فى مـجلة الهلال المصـرية عدد ٣ مـجلد ٣٣ عام ١٩٢٤. وأعادت العربى نشرة فى العدد المذكور تحت عنوان "أفكار لا تموت".

١١ ـ المرجع السابق.

١٢ ـ المرجع السابق.

١٣ ـ المرجع السابق.

١٤ ـ العربى، ٤٠٢: ٣٣ .



القويفلى وأدوات النقد(*)

يعقب الاستاذ الدكتور محمد القويفلى فى جريدة الرياض (عدد ٩٧١٩) على مقالتى "وظيفة الترجمة" التى سبق أن نشرت فى نفس الجريدة بعددها ٩٧٠٥. وأجد أن من واجبى أن أرد على ما قاله الدكتور القويفلى، لأن تجاهل الرأى الآخر لا يكون إلا جبنًا أو استخفافًا، وحاشاء لله أن يكون أى منهما من صفاتى. وأقسم ردى على تعقيب الدكتور القويفلى إلى قسمين: الأول: وهو شخصى، لن أرد عليه من قريب أو بعيد ولكن سأسرده حسب وروده فى تعقيبه. والثانى: يتعلق بجوهر "وظيفة الترجمة" وقد حصرته فى إحدى عشر نقطة.

فى الجزء الأول، وهو ما يتعلق بشخصى: يلتبس الأمر على الدكتور القويفلى فى تقدير عمرى فهو إما أربعون سنة، أو ستون؛ يستخدم الكلمات غبش عبسى / هواجس / خطل / عند الحديث عن اسلوبى يقول أنه يتسم بالضعف والتداخل / التناقص / الأحكام العاطفية الجاهزة وأننى الجأ أخيرًا إلى السخرية. وأن مقالتى فى «غنى عن تناقص يتحشرج فى حلقها قبل أن تقف على قدميها» (الرياض: ٩٧١٩). ويتهكم على مقالتى بعد أن أدخل فيها المسطرة والمقص والمنقلة بقوله "يظهر أن أصحابنا الخواجات لم يكتشفوا بعد تلك المسطرة السحرية؟" (المرجع السابق) وأخيرًا، فيما يتعلق بالنقد الشخصى فإننى لا أعرف حكم صيد البحر وخصوصًا السمك منه.

وكما أعلنت فى البداية فإننى لن أرد بكلمة على ما جاء فى الجزء الأول.

ولندخل فى نقاط الجزء الثانى وهى النقاط المتعلقة بجوهر مقالتى وتعقيب الدكتور القويفلى:

١ - يظن د. القويفلى خطأ أننى ممن يتخذون من مدارس النقد الأدبى أحد "موقفين: إما رفضها دون أسباب سوى كونها أجنبية، أو تبنيها تبنيًا كرنفاليًا" (المرجع السابق) واعتقد أنه وضع هذين الخيارين وأنا فى نظره إما رافض لمدارس النقد الأجنبى وهذه لا أرجحها، لكننى أرجح الثانية، وهى أننى أدعو إلى تبنيها تبنيًا كرنفاليًا. إن المدارس النقدية الأجنبية تنقل إلى عالمنا الثقافى نقلاً

(*) نشرت بالملحق الثقافى لجريدة الرياض "ثقافة اليوم"، الرياض: عدد ٩٧٢٦، فى ٩/ ٢/ ١٩٩٥.

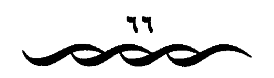


أعمى يجعلهـا تبدو كرنفالية لا أكـثر عند استخـدامها أو تطبيقـها. وهذه المشكلة ناجمة عن عدم فـهم من يترجمونها فهمًـا كاملاً ولا يهضمونها فكريًا هضـمًا جيداً فيميلون إلى العجمة والإبهام، وأجـدنى أتفق تمامًا مع ما ذهب إليه الصديق الناقد د. حامد أبو أحمد فى كتابة «نقد الحداثة» عند مناقشته لهذه القضية الخطيرة. كما أننى أناقشها فى ترجـمة أقوم بها حاليًا لكتاب صـدر حديثًا وهو «النقد من النظرية إلى التطبـيق» (١٩٩٢) حيث يناقش المـؤلف كى. إم. نيوتن نفـس القضيـة التى يناقشها د. حامد أبو أحمـد لكنها هذه المرة إنجليزية. بعد ذلك لا أظننى من دعاة كرنفاليـة المدارس النقدية الأجنبية وأجـد الشجاعة الأدبية أن أنفى هذه التـهمة عن نفسى.

٢ ـ يعـتب علىّ الدكـتـور القـويفلى أننى لم أشـرح مـعنى «التـحـديث»، «المعاصرة» فى مقالتى. واعتقادى أن قراء جريدة الرياض، وخصوصًا ملحق "ثقافة اليوم"، هم الصفوة. وهم يعـرفون أكثر مما أعرف عن التحـديث والمعاصرة. لذا فقـد وجدت أن ذلك إضـاعة للوقت والجـهد ومـساحـة المطبوعـة فى أن أشرح أبجديات المصطلح النقدى، إلا إذا كان الدكتـور القويفلى يتحرى الدقة فى تعريف كل مـصطلح من مصطلحـات المقـالة وكـذلك كل إسم يرد فيـها. وعليـه يجب تخصيص مساحة إضافية للهوامش التى تجعل الكتابة الصحفية كتابة أكاديمية بحته، فالمقال فى ملحق أسبوعى وليس فى دورية.

٣ ـ المماحكة اللفظية فى «مسحة العصر». فـقد استخدمت «مسحة العصر» عن قصـد لأننى أريد بعض الطموح وليس كله، لأن "كل المعـاصر" التى يذهب إليها د. القويفلى سـتكون وباستخدام كلماته فى التعقيب مـساوية "لوهم التماهى الحضارى" الذى وبكل أسف ـ مستخدمًا مقاييسه وأدواته ـ تركه مبهمًا فى ذيل رده المفعم بالحرارة والحيوية.

٤ ـ المماحكة اللفظيـة مرة أخرى: المعاصرة/ التـحديث. لا أتصور أن تتم عمليـة المعاصـرة دون أن تسبقهـا عملية تحـديث. إن المشكلة فى الترجـمة إلى العربية أننا لا نتـواصل وليس لدينا خطة ثقافية مـوحدة. فإذا كان المتـرجمون فى ١٩٩٥ يترجمون ما صدر هذا العام أو منذ عامين مضيا، فلابد أن آخرين يترجمون ما صدر قـبل ذلك التاريخ ـ وهكذا تتواصل التـرجمة إلى العربيـة، كل يترجم فى وقته مـا يصدر فى وقته، أمـا أن نترجم فى ١٩٩٥ ما صدر فـى ١٩٦١ فذلك أمر



يستحق التوقف والتأمل. وهل تأكد لنا أن "بلاغة الفن القصصى" لم يترجم فى سوريا أو لبنان أو مصر. وأرجو ألا ينزعج د. القويفلى، فلى مقالة فى «عكاظ» ناقشت هذه القضية، فقد ترجمت رواية "١٩٨٤" لجورج أورويل (١٩٠٣ - ١٩٥٠) فى النصف الثانى من عام ١٩٨٣، وظهرت فى السوق المصرى بداية عام ١٩٨٤م. وكانت نفس الرواية تترجم فى السعودية فى عام ١٩٨٣ أيضًا. وقد علق د. رمسيس عوض الذى اشرف على ترجمتها فى مصر، أنها تترجم لأول مرة إلى العربية. كما أعلن الاستاذ عزيز ضياء أن هذه القصة ترى النور لأول مرة فى عالمنا العربى ويستغرب لماذا لم تترجم من قبل. ولم يدر رمسيس عوض بترجمة عزيز ضياء، ولا عزيز ضياء درى بترجمة رمسيس عوض لافى اثناء الترجمة ولا بعدها وربما إلى اليوم (عكاظ: ١٠١١٧). ،ثبت من البحث أن "١٩٨٤" قد ترجمت قبل ذلك التاريخ بثلاثين عامًا فى سوريا لأول مرة إلى العربية، ولم يدر عنها رمسيس عوض ولا عزيز ضياء شيئًا. والفاجعة أن النص ترجم فى سوريا نفسها مرة ثانية عام ١٩٨٦ وأعلن المترجم السورى أنه يقدم للقارئ العربى "١٩٨٤" مترجمة إلى العربية - وبالطبع كما فعل رمسيس عوض وعزيز ضياء - لأول مرة.

٥ - يبتسر الدكتور القويفلى حكمى على كتاب "التميز: الموهبة والقيادة" ويزج به كحكم نهائى على كتاب «بلاغة الفن القصصى». وكان أملى فى حمية المعركة التى بدأها ألا يوقع نفسه فى هذا الخطأ. وما قصدته بعيدًا عن الفرضيات والسفسطات أنه بأى حال من الأحوال لن تكون مشاكل الشباب الأمريكى عام ١٩٦١ هى نفس مشاكل الشباب المصرى عام ١٩٩١ السنة التى ترجم فيها الكتاب. وقد كان رأيى هذا مخالفًا لرأى المترجم د. محمود رضوان فى مقدمة "التمييز" حيث يقول: "...أتراني أقرأ كتابًا عن المجتمع المصرى كتب باللغة الإنجليزية؛ قد يبدو هذا القول غريبًا، ولكنها الحقيقة التى لا مبالغة فيها، فالقضايا والمشكلات الاجتماعية والادارية والتعليمية المثارة وكلها مستقاة من المجتمع الأمريكى - هى هى - تقريبًا القضايا والمشكلات التى نواجهها فى مجتمعنا المصرى" (رضوان: ١٣) ومازالت أصر أن رأى د. رضوان يعتبر حكمًا نهائيًا بأن نكون خلف العالم الأول حتى فى مشاكله وليس لنا الحق فى معاصرته حتى فى خيبته.



٦ ـ لا أرى ماذا أسمى هذا؟ فى مقالتى تقرأ "إلا أن كتاب معاونة الكبار على التعلم: تخطيط البرامج وتطبيقها وإدارتها، صدرت طبعته الإنجليزية عام ١٩٨٦ وترجم إلى العربية فى عام ١٩٩٣، أى أن سبع سنوات فصلت بين الطبعة الإنجليزية والطبعة العربية ومن ثم فإنه لاتوجد مدة زمنية كبيرة تفصلنا عنهم "(الرياض: ٩٧٠٥) وأرجو أن ينتبه القارئ إلى الكلمات التى تحتها خط. أقول لا أدرى كيف تأتى للدكتور القويفلى أن ينقلها كما يلى: "نستكثر السبع سنوات التى تفصل بين ظهور الكتاب ونقله إلى العربية" (الرياض: ٩٧١٩). أذكر بأن الموقف الساخن الذى خلقه د. القويلفى هو الذى جعله لايتأتى فى الإقتطاف. وحيث إنه يدافع عن وجهة نظر معينة فإن عليه تحرى الدقة فى نقل كلمات لم يمضى على نشرها ـ وقت الرد ـ أسبوعان. ومن هذه النقطة الساخنة الملتهبة يبنى الدكتور القويفلى جميع أحكامه، فى بقية رده، على خطأ فادح فى الحكم على مقالتى وعلى شخصيًا، لأن مابعد هذه الفقرة هو نتيجة لهذه الفرضية. وزيادة على ذلك يسبق هذا الإعلان الخاطئ إستنباط أكثر خطأ حيث يقول: "إن (فرضية؛؛) المقالة ـ مقالتى ـ هى أنه لا ينبغى ألا نترجم من المؤلفات سوى الكتب (الساخنة) التى لم يمض على خروجها من المطابع سوى (سبع سنوات، أو أقل من سبع سنوات)، و(السبع كثير) يقول الدكتور الفاضل (نستكثر السبع سنوات التى تفصل بين ظهو الكتاب ونقله إلى العربية، وذلك تعقيبًا على ملاحظته على كتاب (معاونة الكبار على التعلم ظهر فى ١٩٨٦ وترجم ١٩٩٣" (الرياض: ٩٧١٩) وتأسيسًا على ذلك فإن حكم القويفلى يكون "حكمًا عاطفيًا جاهزًا ـ بنص حكمه على مقالى.

ويستمر د. القويفلى مستطردًا فى هذا الخطأ فيقول: "إن سألنا: ما معنى الكتب المعاصرة؟ جاء الجواب: أى تلك التى لم يمض على صدورها أكثر من سبع سنوات. وإن سألنا لم ينبغى أن نقتصر على ترجمتها؟ جاء الرد لأنها معاصرة، وإن استفهمنا عن الذى يعطيها قيمة؟ ردت المقالة كونها معاصرة، وإن قلنا مايدرينا أنها معاصرة فعلاً؟ أتى الجواب لأنه لم يمض على صدورها أكثر من سبع سنوات" (المرجع السابق).



هذا مونولوج شكسبيرى استنطقنى إياه د. القويفلى ليجسم صورة التخبط - لدى - والهواجس والغبش والخطل والرأى المحلق والتداخل والتناقص والتحشرج - لكنه، والحكم للقارئ، نابع من خطأ فى الاستنتاج، وإلا فماذا يكون؟

٧ - بقية المقال - رد القويفلى - كلمة كلمة تدعيم ومساندة للفكرة الرئيسية وهى أن ما نترجمه لا يجب أن يزيد عمره عن سبع سنوات - حسبما استنطقنى د. القويفلى. لذا فهو يخترع المسطرة والمقص وهى أدوات هندسية على حد علمى وليست أدوات نقدية. ورغم خلفيتى العلمية المتواضعة إلا أننى لا أدرى كيف نقرأ "قياس سبع سنوات" إلا أن تكون تلك المسطرة عيسوية صنعتها بنفسى لقياس عمر الترجمات كما يرى الدكتور الفاضل.

٨ - أطلب من الدكتور القويفلى أن يقتطف من مقالى ما يبرر قوله "عندما أتى الدكتور الفاضل إلى كتاب "بلاغة الفن القصصى" حكم عليه بسخرية لا تخفى بأن ترجمته ليست سوى تعلق بماض زال بزوال أهله، وكاد أستاذنا الفاضل أن يحيى تصنيفًا مات بعد ١٩٦٧، ليحكم (برجعيتى) أما مترجمو الكتاب فرجعيتهما أعظم؛ هذا كله تأسيس على تاريخ صدور الكتاب (١٩٦١) فحسب، أى أن الدكتور الفاضل لم يشر سوى إلى عنوان الكتاب وتاريخ صدوره وعام ترجمته". (المرجع السابق) مرة ثانية أريد دليلاً ولوبكلمة واحدة يضعها الدكتور القويفلى بين قوسين واضحين من كلامى، وإلا فإن ما حوته علامات التنصيص فى هذه الفقرة من كلامه ستكون مقدمة جيدة فى علم المنطق التوليدى.

٩ - يوقعنى د. القويفلى فى خطأ سبقه ولحقه شرك متدرج من الحديث عن النقد وحركته الدائرية وليست المرحلية، حيث يقول «أما مايحويه الكتاب - «بلاغة الفن القصصى» - فلم يحظ من الدكتور الفاضل ولو بإشارة يتيمة، أو كلمة مفردة. وكان المتوقع لسلامة إجراء إختيار (الفرضية؛؛) على الأقل - أن يقارن محتوى الكتاب بواقع النقد الآن، ليحكم بقدمه وأن الترحيب بترجمته بعد كل هذه السنين ليس سوى «مفارقة» على حد تعبيره». (المرجع السابق) إن هذه إتهامات باطلة، بدءًا بجهلى بحركة التطور الأدبى وإنتهاءًا بأننى لم أعرف عن



الكتــاب سوى عنوانه وتاريخ صــدوره مروراً بعــدم الإشارة ولوبكلمــة يتيــمة إلى محــتواه، وإن لم تكن كــذلك فهى نصــر عظيم للدكتــور القويفلى علــى شخص ضعــيف مثلى، ويحق فى صــاحب هذه الانتصارات مــا قبل فى حق أبى ســفانة "كــان مظفراً، إذا قــاتل غلب. وإذا غنم أنهــب. وإذا سئل وهب. وإذا ضــرب بالقداح فإز. وإذا ســابق سبق. وإذا أسر أطلق. وكان يقســم بالله ألا يقتل واحد أمه" . (لويس شيــخو: ٩٩) لقد قتلنى د. القــويفلى ثلاث قتلات متتــاليات وقد يكون عذره أننى لست واحد أمى. ولأطمئن الدكتور القويفلى فإن تطور النقد أمر لانجادل فيه كما أن طبيعة تدريسه هى كذلك، فعلى جميع طلاب اللغةالإنجليزية - فى حد علمى - أن يدرسوا النقد الأدبى تدريجيًــا حسب سنوات دراستهم إبتداءً من أرسطو وصولاً إلــى المعاصــرين الأحياء. وأجــدنى أدخل فى التهــمة الثــانية مبــاشرة، لأقــول أننى - وآسف لهذا الحــديث البيــوغرافى المطــول - قد درست كغيرى من ألاف الطلاب النقــد فى حركته التى يسميها ويعينهــا الدكتور القويفلى حتى وصلت إلى ليفيــز وكان استاذى وقتها من أوائل خــريجى جامعة لندن الذين حصلوا على الــدكتوراه فى مــدرسة ليفــيز النقدية إربان حــياته. أمــا عدم علمى عن"بلاغة الفن القصصى" سوى عنوانه فكيف توصل إليه د. القويفلى. أقول أن وين بوث كان ضمن أعلام مقرر النقد الذين درســتهم إبان التلمذة بالجامعة وليس أمامى دليل سوى دفاترى أيامها وأظننى أحتــفظ بها حتى اليوم. أما ثالثة الأثافى: أننى لم أتعرض لمــحتوى الكتاب، فــقد كانت طبــيعة المقــال تفرض ذلك.ولم أطعن لافى الكتاب ولافــى المترجــمين ولافى المؤلف ولست فى حــاجة لتأكــيد ذلك. وليطمــئن الدكتــور القويفلى فــإننى قرأت التــرجمــة ووجدت أنهــا لاتنقل مفردات النص الإنجليزى إلى اللغة العربيــة فى لغة سهلة سلسلة جزلة لكنها أيضًا تنقل روح ذلك النص كمــا تحوم حوله فــى الإنجليزية وقد يكون ذلك مــوضوع مقــال لاحق أظهر فيه أن ترجــمة "بلاغة الفن القــصصى" واحدة من الترجــمات الفذة التى لابد أن يتداولها قــارئ العربية. فالجهد الذى بذله فيــه الدكتور عرادات والدكتور الغــامدى جهد عظيم يشكران عــليه، ولا يستطيع إنسان مــهما أوتى من شــأن أن يقلل منه، إلا مــتــغرض، أو صــاحب رأى مــسبق. إن "بلاغــة الفن القصصى" حدث ترجمى هائل، ولوصدر منذ ثلاثين عامًا لكان دويه عربيًا كدوى



الكتاب. فى اللغة الإنجليزية التى كتب بها. وعلى أية حال فإن العشرات من الكتب مضى على ظهورها عشرات السنين ولم تترجم، وسأفرح بترجمتها كما فرحت بترجمة "بلاغة الفن القصصى". بعد ذلك أرى أن المسطرة والمقص والمنقلة ليسوا سوى أدوات أخطأت طريقها إلى مجال النقد.

١٠ ـ حين طرحت سؤالى: هل يقبل د. القويفلى من طالب النقد الأدبى فى نهاية ١٩٩٤ أن يستشهد بآراء إليوت ورانسوم؟ نسيت أن أضيف كلمة "فقط". وبذا يتغير معنى السؤال تمامًا. فلو اعتبرنا أن ما يصلنا من النقد فى أوروبا وأمريكا يتوقف عند الستينات لكان ذلك غير لائق. أتفق مع د. القويفلى أن الاستشهاد يتكيف حسب النص وحسب المكان والزمان وحسب الحاجة. ولكن مرة أخرى ألا يرى الدكتور القويفلى أن الاستشهاد بما فى حفريات الفراعنة. . . أوجدران الكهوف"أمر غريب فى حين أن نصف أساتذة النقد واللغات فى بلادنا من أتباع البنيوية وما بعدها وأن ملاحقة المدارس النقدية ومحاولة حصرها "يؤدى إلى الإصابة بالانهيار العصبى " كما يقول كى. إم. نيوتن، وذلك لكثرتها وعمليات تولدها التى لا تتوقف. وبالطبع ليست هناك نصوص مقدسه وأخرى غير مقدسة. ألمهم هو مايفيد موجودنا النقدى.

١١ ـ يعتبر الدكتور القويفلى أن التماهى الحضارى وهم. ذلك أنه يضع على لسانى ـ مرة أخرى ـ أننى أفترض أن "بامكاننا أن نساوق الغرب بمجرد ترجمة كتب صدرت عنهم حديثًا؛ لنحقق على حدتعبير الكاتب ـ "معاصرة مماثلة". (الرياض: ٩٧١٩) لم أقل أبدًا أن عملية المعاصرة أو المساوقة تتحقق بكتاب أو كتابين، ولم أنته إلى أن الكتب الخمسة التى سقتها كأمثلة حققت المعاصرة، والإ فإن ذلك يعتبر طوباوية أخدع بها نفسى والآخرين. لكننى أدعو أن تكون الترجمة عملاً أساسيًا فى حياتنا وأن تكون جهدًا وطنيًا منظمًا وأن تكون هناك هيئات ترجمة تستخدم مالدى الآخرين من قدرات ترجمية عظيمة. ولسنا شواذًا فى هذا ولن نكون. فاليابان بنت حضارتها العلمية على الترجمة من الغرب ومن أمريكا. وقد كانت مصر أيام محمد على مثلاً يحتذى فى الحضارة فى نظر اليابانيين، إلا أن اليابانيين تحركوا ونحن توقفنا. وماحادثة التجسس على مصانع



الساعات السـويسرية من قبل اليابانين إلا دليل على أن الترجـمة خطوة نحو الرقى العلمى. ولا أمل تكرار تجربة روسيـة فريدة فى الترجمة، فـقد كان لديهم - إبان وجود الاتحـاد السوفيتى - شئ يشـبه وزارة الترجـمة، تقوم على ترجمـة كل ما يصدد من مطبوعات كتبًا كانت أو مجلات أو جرائد يقومون بترجمتها إلى الروسية والاستفادة منها. وكان لذلك الجهد أن حـول الاتحاد السوفيتى من بلاد زراعية - فى غضون عشرين سنة - إلى دولة تغزو الفضاء وتمتلك بعدها سبعًا وعشرين ألف رأس نووى كـانت أساس مـرحلة الردع النووى التى واكـبت الحرب البـاردة. إن الترجمة تستطيع أن تفعل الكثير فى حياتنا، لكن نظرتنا إليها وتناولنا لها ما يزلان قاصرين عن تأطيرها وتوظيفها، ولذا فـإن للدكتور القويفلى الحق فى أن يستغرب قولى بأن الترجمـة تحقق التحديث والمعاصرة أو التسـاوق كما يقول هو. وإننى سعيـد سعادة عظيمة بتـوجه كلية اللغات والترجـمة، بجامعة الملك سـعود نحو إنشاء هيئـة وطنية للترجمـة يكون هدفها تأطير عـملية الترجمة وتقنيـنها وتأصيل وسائلها وأساليبها، وإعطائها صفة العمل المنظم لا الفردى المبعثر.

وبعد، فإن هذا التعقيب منى على رد الدكتور القويفلى وإن كان فيه اختلاف وتعارض، إلا أنه لا يفسر للود قضيـة. فالهدف عندى وعنده واحد، وهو محاولة التقدم نحو المستقبل بخطى قوية ثابتـة ومواجهة العصر بأدواته وبحضارته العددية المفزعة.



المراجع:

١ ـ د. حـامد أبو أحـمد، "نقـد الحداثـة" (الرياض: مؤسـسة اليـمامـة الصحفية، كتاب الرياض(٨)، ١٩٩٤).

٢ ـ جون و. جـاردنر، "التميز: المـوهبة والقيـادة"، ترجمة د. محـمد محمود رضوان (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٨٩).

٣ ـ لويس شيخو، "شعراء النصرانية قبل الإسلام" (بيروت: دار المشرق، ١٩٦٧).

٤ ـ K. M. Newton, Therory into Practice : A Reader in Modern Literary Criticism (Macmillan, 1992).



الترجمة الإبداعية (*)

كثيراً مانتحدث عن وظيفة الترجمة فى حياتنا الثقافية؛ فمن قائل إن وظيفتها هى نقل مالدى الآخر إلى موجودنا الثقافى، ومن قائل إن هدفها المماهاة مع الآخر، ومن قائل إنها تطلعنا على مالدى الآخر من جديد نتفرج عليه فقط، ومن قائل إن الترجمة ترف وعلينا أن نعود إلى الأصل الأجنبى وأن ننسى موضوع الترجمة جملة وتفصيلاً. إلا أننا فى هذا المقال، نتحدث عن وظيفة تختلف بعض الشئ عن تلك الوظائف السابقة ألا وهى وظيفة الترجمة بوصفها حافزاً للإبداع الحضارى. ولقد دأب البعض على ربط الإبداع بأمور الأدب والفنون فقط، إلا أن ماندرسه هنا - إضافة إلى الفنون والآداب - دور الترجمة فى العلوم والمعارف التى أثرت وأضافت إلى العلوم البحتة بنفس القدر الذى أثرت وأضافت فيه إلى الفنون والآداب.

ولقد شعر الإنسان بأهمية الترجمة عن الآخر، فأخذ يجيل بصره فى موجوده الثقافى. وكانت مشكلة الاختيار من الأمور الصعاب التى تواجه المترجمين. فمنذ "تاريخ الترجمة، نعرف أن الاختيار فى معظم الحالات، خصوصًا ما يقوم به المترجمون الإبداعيون، يتحدد بصفة رئيسية بالحاجة الداخلية لأدب المتلقى، وبقدرته على استيعاب الظاهرية الأدبية لأدب قوميّ اخر، أو عمل، إلخ. وكذا يتحدد بقدرته على التفاعل بطريقة محددة (تساوقًا أو تباينًا) مع السمات الجمالية لأدب المتلقى"[1]. والمترجم الإبداعى هنا هو الذى ينقل عملاً من لغة الآخر إلى لغته فتكون نتيجة ذلك النقل عملاً إبداعيًا فى اللغة المنقول إليها، وقد تناقش دراسات الأدب المقارن ذلك الموضوع بإسهاب أكثر مما نحن بصدده هنا. فمثلاً كان لتناول فرانسوا فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) لمسرحيات وليم شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦) ونقده اللاذع إياه أثر كبير فى معرفة أوروبا بذلك العلم الإنجليزى الكبير الذى كانت تجهله، وحيث إن اللغة الفرنسية كانت لغة ثقافة العصر، فقد اهتم الأوروبيون بما كتب فولتير وأخذوا يتعرفون شكسبير. وإن كان

(*) أجيزت للنشر فى مجلة "الفيصل"، عدد جمادى الأولى ١٤١٦ هـ الموافق أكتوبر ١٩٩٥ م.



كتاب فولتير "رسائل فلسفية" يمثل عرضًا للثقافة الإنجليزية كما رآها عند زيارته التى قام بها إلى انجلترا فى المدة من ١٧٢٦ إلى ١٧٢٩ [٢] فإن ما يعنينا هو مساهمة ذلك الكتاب فى خروج شكسبير من دائرته الإنجليزية المحلية إلى دائرته الأوروبية الأوسع. وخلاصة القول إن "شكسبير لم يلق نجاحًا لدى معاصرية من الأوروبين ولا لدى من جاء بعدهم، بقدر ما لاقى فى القرن الثامن عشر بعد أن اكتشفه فولتير[٣]. وثمة مثال آخر نجده فى ترجمة "رباعيات الخيام" إلى اللغة الإنجليزية. فلم يكن متيسرًا لتلك الرباعيات أن تصل إلى الثقافة الأوروبية لو بقيت محصورة فى فارسيتها. إلا أنه عندما قام إدوارد فتيز جيرالد (١٨٠٩ - ١٨٨٣) بترجمتها فى أربع طبعات فى المدة من ١٨٥٩ إلى ١٨٧٩ حوَتْ كل واحدة مئة بيت وواحدًا[٤] أمكن للإنجليز أن يعرفوا تلك الرباعيات وعند مقارنة ترجمة فيتز جيرالد إلى لإنجليزية مع ترجمة الشاعر أحمد رامى إلى العربية نجد أن المحافظة على المعنى فى الترجمتين كبيرة جدًا، ومعلوم أن الاثنين ترجماها عن الفارسية. وإننى اختلف مع الأستاذ الدكتور محمد غنيمى فى أن فيتزجيرالد كان يعبر عن "أفكاره هو وعن روح القرن التاسع عشر الإنجليزى والأوربى" وإن كنت أتفق معه فى فضل هذه الترجمة التى بسببها "راجت هذه الرباعيات فى آداب أوروبا وأمريكا"[٥] وليس أدل على الاعتراف بقيمة هذه الرباعيات من إدخالها ضمن مختارات الشعر الإنجليزى الخالدة فى كتاب *The English Parnassus*.

ونحن لا نقر أن جميع الأعمال المترجمة، على الإطلاق، لها وظيفة إبداعية فى جميع الأحوال. فهناك أعمال تترجم إلى العربية مثلاً، ولا يكون لها أى أثر يذكر. إن الخواص النوعية وكذا الخواص الكمية لأدب المتلقى والتى تشتمل قدرته على تقبل الوارد واستيعابه، وكذا دينامية ذلك الأدب، والحالة الحضارية لأدب المتلقى ومفادها: هل هو قادر على التعامل مع الآخر "تساوقًا أو تباينًا" كما يقول دورسين، وكذا القدرة الاستيعابية لأدب المتلقى بمعنى هل إن ذلك الأدب تشبع بمالديه من مخزون فكرى ولم يعد قادرًا على استيعاب المزيد من الآخر؟ أم إن مداراته ماتزال تحمل إلكترونًا مفردًا لديه القدرة للتزاوج مع وارد عليه من الخارج، وينتج عن ذلك ما اصطلحنا على تسميته بالإبداع الذى تكون



الترجمة حافزه الأول؟ وكانت تلك الخواص - كما سنرى بعد قليل - فى أوج إيجابيتها فى العصرين العباسيين الأول والثانى. إلا أنه تبقى الحقيقة القائمة أن "...حالات غير قليلة تلك التى تتحول فيها الترجمة - إما بفضل اختيار النص أو لطريقة الأداء، فى سياق الأدب المتلقى - إلى ظاهرة غير مواتيه التطور وغير مستجيبة للاتجاهات التطبيقية فى أدب المتلقى أو إنها مفارقة تاريخية فى مرحلة التطور. وفى هذه الحالة فهى تميل لأن تكون تعبيراً خارجيًا عن العلاقة، وكذا تكون فرص إظهارها لـلتلقى المتبادل للأدب ضئيلة جداً، وحتى لا وجود لها"(٦).

ويرى دورسين أن الوظيفة العلاقية للترجمة مسئولة مسؤولية مباشرة فى أن يصبح الأدب المترجم جزءاً عضويًا من أدب المتلقى، وهى من وجهة نظرما تكون مسؤولة عن تهميش تلك الترجمات ومن ثم وضعها فى مجموع ما طبع بالحروف العربية فقط. ويشترط دورسين - ابتداءاً - حالة خاصة لاستيعاب تلك الأعمال المترجمة فى أدب المتلقى، هى أقرب ما تكون إلى حالة الكائن الحى عند مروره بفترة الخصوبة التناسلية. تلك الحالة هى تنامى الأدب، أى أن يكون فى مرحلة التطور والنمو، لا مرحلة الجمود أو التشبع أو الانكفاء على الذات، وهو ما أشرنا إليه منذ قليل بأحادية أحد المدارات الإلكترونية القادرة على الاتحاد مع الكترون وارد من الخارج، والتى بموجبها؛ يصبح الأدب المترجم جزءاً عضويًا من النسق المتطور لأدب، المتلقى وبطريقة محددة يقلل من مقاومة الأدب المتلقى للتطور، ومن ثم يمارس الأدب المترجم بشكل صارخ ما يسمى بالوظيفة العلاقية لـلترجمة»(٧). وإلى جانب ذلك، يناقش دورسين إشكالية أخرى لاتقل أهمية عن «الوظيفة العلاقية للترجمة» ألا وهى «الوظيفية الأدبية والتاريخية للترجمة». وعلاقة ذلك بالخطوات الإجرائية للترجمة، ودور كل ذلك فى الجانب التجريبى الترجمى. والجانب التجريبى تحكمه أربعة أسئلة هامة هى: ماذا نترجم؟ ماذا ننقل بحروف لغتنا من اللغات الأخرى transliterate ؟ ماذا نستبدل sub-stiute؟ وأخيراً ماذا نهائى adapt ؟ ولقد أصبحت تلك الأسئلة مكونات أساسية لنظرية الترجمة التى كان نايدا ضمن من تكلموا عليها عام ١٩٦٤ والتى تعتمد على "إنجازات العلوم اللغوية والأنثروبولوجيا وعلم النفس، ويحدد العلاقة بين



النص الأصلى وترجمته من خلال نظريات المعنى والاتصال Communication والعلاقات الاجتماعية بين الفئات. ففى إطار نظرية الاتصال يرى يوجين نايدا فى الترجمة عملية لغوية تعتمد على فك رموز decoding النص الأصلى وإعادة تشفيرها recoding فالمترجم يتلقى الرسالة ويقوم بتحليل مكوناتها الأساسية ثم ينقلها إلى لغة الترجمة من خلال عملية إعادة بنائها فى لغة الترجمة للتطابق مع النص الأصلى»(٨). وبذا نكون قد وصلنا إلى الجانب المعيارى عند دورسين الذى يسأل: هل الترجمة ضمن علم اللسانيات أم إنها ضمن الدراسات الأدبية؟ حيث ينتهى دورسين إلى أن «الاهتمام بالجانب التجريبى والجانب المعيارى لعمل المترجم تحدده أيضًا إشكالية أخرى مهمة، والتى نسميها الوظيفية الأدبية والتاريخية للترجمة والخطوات الإجرائية للترجمة»(٩). لقد كانت دراسة دورسين تنصب على الترجمة فى الدول الاشتراكية السابقة وهى تجربة فريدة من نوعها، قامت أسبانيا مؤخراً بتقليد بعض منها وذلك بإحياء دار طليطلة للترجمة(١٠).

ويطرح دورسين قضية هامة للمناقشة، تلك القضية تخص التأثير الثقافى للنص فى أصله، وكذا تأثيره فى النص المترجم، وهنا يناقش أطروحه كى. هوداليك التى تقول «إن للترجمة والأصل قيمًا ثقافية نافذة كلاهما مختلف فيها ومستقل عن الآخر»(١١) وهو يرى أن عكس هذه الأطروحه يأتى عند تطبيق «المقاييس اللغوية البحتة»(١٢) عند دراستنا للعمل المترجم، وهو بهذا يتفق مع د. فوزى عطية عند استعراضه لنظرية يوجين نايدا فى تطابق النصين حيث لابد من وجود أحكام عامة توضع فى الإعتبار عند تناول تأثير الترجمة والنص الأصلى. «فلا يمكن القول بوجود لغتين متطابقتين من حيث المعنى الذى تجسده الرموز أو من حيث أصول وقواعد تنظيم هذه الرموز فى سلاسل كلامية. ويضيف يوجين نايدا إلى أحكام التطابق هذه عناصر جديدة ترتبط بخصائص الأداء فى الترجمة هى: طبيعة الرسالة، قصد مؤلف الرسالة، ومن ثم قصد المترجم، نوعية متلقى الرسالة، وتؤدى هذه العناصر دوراً كبيراً فى تحديد نوع الترجمة وما يقتضيه ذلك من ضرورة الاختيار السليم للمقابلات المتطابقة أثناء الترجمة. فالرسائل الكلامية تختلف بعضها عن بعض وفق ظهور الشكل أو المضمون فى النص. وإذا كان من



غير الممكن الفصل بين الشكل والمضمون، إلا أن المضمون فى بعض النصوص يبرز كهدف أساسى للنص، وفى البعض الآخر نجد التركيز على الشكل واضحًا إلى حد بعيد (كما هو الحال بالنسبة لعنصر الشكل فى الشعر). أما فيما يتعلق بالقصد، فمن المفروض أن يتفق قصد المترجم وقصد مؤلف الرسالة، أو على الأقل ألا يختلفا. وقد يكون القصد نقل معلومات عن المضمون والشكل، وقد يكون الإعلام مع خلق تأثير انفعالى لدى القارئ أو السامع، وقد يكون القصد إثارة نوع من السلوك لدى القارئ أو السامع، الأمر الذى يدعو المترجم إلى إستخدام الأدوات الكفيلة بتحقيق الغرض من الاتصال. ثم يتطرق يوجين نايدا إلى العنصر المكمل لعملية الاتصال من خلال الترجمة، فيشير إلى اختلاف نوعية المتلقى من حيث القدرة على الفهم وإمكانية الاهتمام بالرسالة"[١٣].

وقد شهد العصر العباسى الأول وكذلك العصر العباسىّ الثانى تطبيقًا عمليًا متميزًا للتلقى المتميز الذى كان له الأثر الأكبر فى إعادة الترجمة إلى اللغات الأجنبية ما نُقِلَ سابقًا إلى اللغة العربية. ففى العصر العباسى الأول ترجم البرامكة الثقافة الفارسية إلى العربية، ومن بين ما نقلوا كتاب "هزار أفسانة" وهو أصل "ألف ليلة وليلة". وترجم أبان بن عبد الحميد بن لاحق (ت: ٢٠٠هـ) كتاب "كليلة ودمنة" إلى الشعر وأهداه إلى جعفر بن يحيى البرمكى (ت: ١٨٧هـ)[١٤]". وبدأ النثر الفارسى الفنى بترجمة كتاب "كليلة ودمنة" إلى الفارسية الحديثة فترجمة إليها أبو المعالى نصر الله بن محمد"[١٥] وهذا يوضح مدى التفاعل الترجمى ودوره فى عملية الإبداع التى لا تتوقف حركتها جيئة وذهابًا بين الشعوب عند اتصالها ثقافيًا. وقد ظهر أثر ترجمة "ألف ليلة وليلة" ظهورًا لافتًا فى قصة عبد الرحمن جبير "شهر زاد ملكة" التى استعان فيها أيضًا بكليلة ودمنة "ليكتب قصة الصراع العنيف الذى يدور فى كل عصر حول طرائق الحكم"[١٦] وإلى عصر صدور "تراث الإسلام"[١٧] جاوزت ترجمات "الليالى" فى أوربا الثلاثمئة، منها ثلاثون بالفرنسية ومثلها بالإنجليزية، وصارت أحد مكونات الرومانسية التى أخذ بها البورجوازيون قبل أن تصبح مذهبًا فلسفيًا، ويستجيب أدبها لهذه الفلسفة، أو فلنقل أدق ما يمثلها عاطفيًا[١٨] وقد كان



المستشرق الفرنسى أنطوان جالان (١٦٤٦ ـ ١٧١٥) أول من ترجم "ألف ليلة وليلة" إلى الفرنسية "ومنها ترجمت إلى الإنجليزية وغيرها من لغات أوربا فى الفترة من ١٧٠٤ إلى ١٧١٢"[١٩]. وقد ترجمت إلى الإنجليزية تسع عشره مرة حتى نهاية القرن الثامن عشر وذلك من واقع المخطوطات الموجودة فى المتحف البريطانى.

وتظهر الوظيفة العلاقية الإبداعية لألف ليلة وليلة فى فعلها فى الخيال العربى ثم فعلها فى الخيال الأوروبى عندما نقلت إلى اللغات الأوروبية. ورغم بعض عمليات التحريف والتصرف فإن النص المترجم يبقى إبداعًا فى حد ذاته[٢٠] وإن اختلف الأكاديميون والفلكلوريون فى تصنيف "ألف ليلة وليلة" كجنس أدبى. فالفلكلوريون يقبلون بالتحريف والتصرف ولايهمهم النص، أما الأكاديميون فيرفضون من منطلق أمانة النص. ورغم أن النقاد العرب لم يعترفوا بمكانة "ألف ليلة وليلة" فلم توضع كنص أدبى مستقل، ولم توضع ضمن القصة، فإن طه حسين وظف موضوعات "ألف ليلة ليلة" توظيفًا لافتًا. "وليست "أحلام شهرزاد" التى أصدرها طه حسين فى الأربعينيات بعيدة عنا، ولاغابت عنا فاتنة بطلتها التى جعلت طه حسين يتخذها نقطة لانطلاقه نحو العمل من أجل تأمين مصير الإنسان أمام قوى الظلم ومؤامرات الأعداء"[٢١]. وكان لترجمة "ألف ليلة وليلة" إلى اللغات الأوربية أثرها فى كثير من الأدباء، وكان جوهان فلفلنج فون جوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) أكثرهم تأثراً بالشرق عمومًا وبألف ليلة وليلة خصوصًا. «لقد كان جوته يقارن نفسه، بوصفه شاعراً روائيًا، بشهرزاد، وكان يقوم بهذا بوعى تام، وبصورة مستمرة. وتكشف هذه المقارنة عن جوانب شاعريته التى كانت تبدو لدارسيه والمعجبين به غاية فى التعقيد، كما يفسر لنا هذا الأمر ولعه بنوع معين من أنواع التركيب المرن أو الرخو، شغفه باستخدامه فى بعض مؤلفاته»[٢٢]. وتستطرد كاتارينا مومزن فى رائعتها النقدية «جوته والعالم العربى» فى تتبع آثار «ألف ليلة وليلة» فى أعمال جوته فتقول «ويعثر فى حكاياته الفنية على وفرة من السمات المستقاة من» ألف ليلة وليلة، . وينطبق هذا على حكاية «باريس الجديدة»(Der Neue Paris) و«ميلوسينه الجديدة» (Der Neue Melusine)



مثلما ينطبق على الحكاية الخرافية التى وردت فى قصته «أحاديث مهاجرين ألمان» أما فى «سنوات تجوال فلهم ماستر» فإن الشاعر يلمح بصورة جليلة إلى قصتى علاء الدين والمصباح السحرى وحلاق بغداد، كما استعان فى الجزء الأخير من روايته «الأنساب المختارة» بقصة: «أبو الحسن وشمس النهار» من «ألف ليلة وليلة» بينما نجد أنه استفاد فى «الأقصوصة» (Novelle) من حكاية الأمير أحمد والجنية باريبانو» [٢٣].

وينتهى العصر العباسى الأول ببزوغ اسم حنين بن إسحق كألمع مترجم فى عهد الخليفة المأمون "وكان دقيقًا فى ترجمته حتى قالوا إن المأمون رسم له أن يأخذ وزن ما يترجمه ذهبًا. وقد عاش إلى سنة ٢٦٤هـ" [٢٤]. ويأتى العصرالعباسىّ الثانى فنجد حركة الترجمة تزداد حدة وقوة وتنمو الترجمة عن اليونانية نموًا عظيمًا، ويتم لها الانتقال من الترجمة الحرفية التى تمتلئ بالعثرات والصعوبات اللفظية إلى ترجمة الفقر والعبارات بالمعنى ترجمة دقيقة. وهذا هو السر فى أننا نجد كثيرًا من المترجمين أعادوا ترجمة هذا الكتاب أو ذاك مما ترجمه الحجاج بن مطر وغيره من مترجمى العصر العباسى الأول فى عهد المأمون. ويخيل إلى الأنسان أنهم لم يتركوا حينئذ كتابًا يونانيًا فى أصله اليونانى أو فى ترجمته السريانية إلا ترجموه إلى العربية. وكان الذى أذكى الترجمة والنقل حينئذ الأموال الضخمة التى كان يغدقها المتوكل وغيره من الخلفاء على المترجمين، . . . " [٢٥].

وإذا كنا قد مثلنا للترجمات الإبداعية فى الآداب بالتركيز على «ألف ليلة وليلة» عند تناولنا للعصر العباسى الأول، فإن العصر العباسى الثانى قد شهد حركة علمية، هى بدون شك أساس نهضة العلوم العربية والاسلامية، وهى كذلك عند ترجمتها إلى اللغات الأوربية أرست الأساس الحقيقى للنهضة الأوربية. ويستمر حنين بن إسحق فى العصر العباسى الثانى فى تقديم ترجماته من الكتب الطبية إلى العربية "وقد ترجم لجالينوس منها عشرات إلى العربية والسريانية، غير ما أصلحه لتلاميذه من آثار ما ترجموه إلى اللغتين. . . وكان إبنه إسحق (ت: ٢٩٨هـ) يُعنى بترجمة الكتب الحكمية والفلسفية. . . ولذلك كثرت ترجماته



لأرسطو وإقليدس وأرشميدس وبطليموس. أما حبيش فعنى مثل خاله بترجمة الكتب الطبية، وأشتهر أصطفن بأنه أول من ترجم كتاب دبوسقريدس فى النبات وكتاب أوديبا سيوس فى الأدوية المفردة"(٢٦) إلى جانب حنين وابنه وابن أخته كان هناك ثابت بن قره المتوفى سنة ٢٨٨هـ "ومن أهم ما ترجمه كتاب الأصول" لإقليدس، ويقول ألدوميلى إن النص العربى يصلح النص الإغريقى فى مواضع مختلفة، وترجم كتاب أرسطو فى النبات تفسير نيقولاوس، وله كتاب قرسطون فى نظرية الميزان واعتدال الأجسام الميكانيكية، وكان له أثر كبير فى لاتينية العصور الوسطى كما يقول ألدوميلى ومن مصنفاته "الذخيرة فى الطب" ألفه لابن سنان"(٢٧).

ونتوقف فى العصر العباسى الثانى عند أسماء تسعة أعلام ضخمة نقلت إلى العربية كل الموجود العلمى لدى اليونان والإغريق وكل من جاور بلاد المسلمين وقتها. ولقد لعبت العقلية النقدية لبعض هؤلاء المترجمين - إن لم يكن معظمهم - دورها فى الإضافة والتهذيب لما يترجمون والمشاركة بجديد، لذا لم يقتصر دورهم على الترجمة فقط. فقد كانوا علماء وباحثين يدرون تمامًا مايفعلون، لذا كانت الإضافة أمرًا طبيعيًا بل متوقعًا. وهذا مانفتقده الآن فى ترجمة العلوم، فنحن نوكل الأمر إلى مترجم لاعلاقة له بالعلوم فتأتى ترجمته مجرد حروف عربية لامعنى علميًا لها، أو أن نوكل الأمر إلى العلماء على اعتقاد أنهم متخصصون فتأتى ترجماتهم جامدة ذوت فيها حلاوة اللغة العربية. وما ينقصنا هو نوعية هؤلاء المترجمين الذين جاؤوا فى العصرين العباسيين الأول والثانى، فإلى أدبهم الجم و لغتهم الجزلة كان لديهم دقة العالم وإلمامه بالموضوع الذى يترجم فيه.

أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى (ت بعد: ٢٣٢هـ)، عبد الله بن خُردازبة (ت: ٢٨٠)، أحمد بن محمد بن كثير الفرغانى، جعفر بن محمد أبو معشر البلخى (ت: ٢٧٢هـ)، الفضل بن حاتم النيريزى (ت: ٣١٠هـ)، محمد بن جابر بن سنان الشهير بالبتّانى (ت:٣١٧هـ)، أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (ت: ٣١١هـ)، الكندى يعقوب بن إسحق (ت:نحو ٢٦٠ هـ)، الفارابى أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان (ت:٣٣٩ هـ) - أسماء لا يمكن الحديث عن



الترجمة الإبداعية، بمفهومنا الذى قدمناه فى صدر هذه الدراسة، دون التوقف عندها والإشارة إلى دورها الإبداعى فى مجال العلوم.

لقد قدم الخوارزمى شروحًا على كتاب إقليدس فى الهندسة وكتاب بطليموس فى الجغرافيا. وبن خردزابه وضع كتاب "المسالك والممالك" المعتمد على كتاب بطليموس فى الجغرافيا. أما الفرغانى فقد وضع "أصول الفلك" الذى ترجم إلى اللاتينية أكثر من مرة حتى عصر كوبرنيكوس والبلخى الذى "كان له تأثير واسع فى العرب ومسيحى العصور الوسطى، وترجمت له كتب كثيرة إلى اللغة اللاتينية"(٢٨). والنيريزى الذى كان "متقدمًا فى علم الهندسة وهيئة الأفلاك وحركات النجوم وله شروح على أصول إقليدس ترجمها جيرادو دى كريمونا ونشرها كورتزه فى ليبنزج سنة ١٨٩٩"(٢٩). وقد كان لمحمد بن جابر سنان الشهير بالبتانى "زيج ضمنة أرصاد النيرين وإصلاح الحركات المثبتة لهما فى كتاب المجسطى لبطليموس. وترجم زيجة إلى اللاتينية، وقد لخص نلّينو أهمية مباحثة الفكرية وتصحيحه لبطليموس كثيراً من أخطائه فى دراسته القيمة عنه بدائرة المعارف الإسلامية"(٣٠). وترجم كتاب "الحيوان" لأرسطو الذى ألف الجاحظ كتابه "الحيوان" على نمطه.

إلا أن الرازى والكندى والفارابى يقفون بنتاجهم الفكرى المتميز مثلاً أكثر قوة وتأييداً لما ذهبنا إليه من وظيفةالترجمة ودورها الإبداعى، فقد ترجمت كثير من كتب الرازى إلى اللاتينية "وظل حجة الطب غير مدافع حتى القرن السابع عشر... وترجم له أيضًا إلى اللاتينية مراراً كتابه فى الجدرى والحصبة، وهو بحث طبى رائع فى الوبائيات. وله ترجمات حديثة إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية. ولم يعن بالطب الجسمى وحده فقد عنى أيضًا بالطب النفسى، إذ ألف كتابًا فى الطب الرومانى نشرته جامعة القاهرة"(٣١).

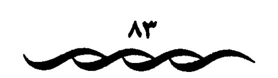
ولقد أثر الكندى فى أسلوب روجر بيكون (١٢١٤ - ١٢٩٤) وهو فيلسوف وعالم إنجليزى له دوره الثورى فى تطوير الفكر الإنجليزى وإخراجه عن تقليديته الكنسية فى ذلك الوقت إلى نهضة يدين لفضلها حتى يومنا هذا. ويذكرنا برتراند



راسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠) بفضل العرب على روجر بيكون، وأنه إلى جانب كون الأخير «خريج أكسفورد وأنه درس فى باريس، وأنه اكتسب معرفة موسوعية فى كل أنحاء المعرفة، تشبه طريقة الفلاسفة العرب فى الماضى»(٣٢). إلا أنه يشكك فى موثوقية الترجمات من العربية مما جعل بيكون يعود لقراءة الأصول. والواقع أن كثيراً من أعمال الكندى ترجم إلى اللاتينية "وقد يفهم من بعض ما كتبه ابن أبى أصيبعه وغيره أنه كان يترجم عن اليونانية والسريانية، ويرى الباحثون أنه لم يكن يعرفها، إنما كان يصلح ويصحح بعض ما ترجم عنهما، وله تهذيبات لكثير مما ترجم وله أيضًا شروح وتعليقات(٣٣)وهذا مما يفسر ما ذهب اليه برترانددراسيل من تشكيك فى «عدم موثوقية» الترجمات التى وقع عليها روجر بيكون مما اضطره إلى العودة إلى الأصول. لكن راسيل لم يوضح إلى أى أصل، وأى لغة رجع بيكون، هل كان كافيًا لإثارته فكريًا أم لا؟ ونحن نميل إلى أن بيكون لم يجد ضالته فى الأصول اللاتينية واليونانية - التى نرجح أنه رجع إليها حيث هما لغة العلماء فى ذلك الوقت - إنما وجدها عند الكندى، لأنه كان يضيف ويصحح وينقح لما وصله مترجمًا، فهو مبدع ولذا كان أثره قويًا فى روجر بيكون.

والفارابى - آخر من نعتبر فكره، فى هذه الدراسة، نتاجًا للترجمة الإبداعية - يمثل الإتجاه العقلى فى الفلسفة. وهو قد وقع تحت تأثير أرسطو وأفلاطون وقد كتب " آراء أهل المدينة الفاضلة" على غرار "الجمهورية" لأفلاطون. إلا أن كتاب الفارابى جاء نسخة إسلامية واعية تدل على حس المتلقى ومعرفته بما يريد من العمل المنقول. ويعلن الفارابى فى كتابه "أن الحاكم ينبغى أن يكون متحليًا بكل الفضائل الإسلامية والفلسفية متجنبًا اللذات الجسمية، إذ فيه تتمثل المدينة بخيرها وشرها، فإذا كان خيّرًا فاضلاً كانت المدينة فاضلة، وإذا كان شريرًا فاسقًا انهارت المدينة وفسد الحكم فيها فسادًا شديدًا... ونحن إنما لمسنا السطح فقط لتّصور فلسفة الفارابى، وهى فلسفة إسلامية عقلية استمدت من روحانية الإسلام ومن نظريات العقل ومن أفكار الفلاسفة وخاصة أرسطو وأفلاطون مازجة بين هذه العناصر جميعًا مستخلصة منها فلسفتنا الإسلامية الوسيطة وأصولها السديدة"(٣٤).

إن الترجمة الإبداعية لاتكون لها تلك الصفة إلابتوافر ظروف معينة حددناها فى قدرة الأدب المتلقى على استيعاب ما يرد إليه، مع ملاحظة أن وجود هوة



حضـارية بين المنقول والـمتلقى قد تـؤثر سلبًا فنهـز أكتافنا قـائلين "مالنـا ولهذه الحضارة المتقدمة جدًا"، وقد تؤثر إيجـابًا فنستجيب بشحذ الهمم والعمل جادين فلا نلم بمالدى الآخر فقط ولكن، أيضًـا، نبدع ونضيف وهذا ما رأيناه فى أعلام العصر العباسى الثانى الذين أطلنا الحديث عنهم وعن أعمالهم. الترجمة الإبداعية فى الحالة العربية ظاهرة فريدة تستحق مزيدًا من التوقف أمام مراحل ثلاث: عمل متـرجم إلى العربية خـضع للخواص النوعيـة والكمية للأدب العـربى، والمرحلة الثانية التى أندمج فيها المترجم فى الـموجود العربى وهو ما أسميناه أدب المتلقى وكان العـصر العـباسى الأول مثـالاً له، ومنه امتـد إلى علوم العرب فى العـصر العبـاسى الثانى ليشمل بذلك العـلوم والآدب ؛ والمرحلة الثالثة حـيث أخذ هذا الموجود العربى الترجـمات وهضمها واستوعبهـا وبعدها نُقِلَ إلى اللغات الأوربية مترجمًا لتنهل منه أوربا. فالترجـمة الإبداعية فى هذه المراحل الثلاث تمثل إطارًا فريدًا لتلاقى الفكر الإنسـانى واستفاد الجنس البشـرى؛ من خلال اللغة، من علم وفن الآخر.

هوامش:

١ ـ Dionyz Dorsin, *Theory of Literary Comparatistics* (Bartislava : Publishing House of the Slovak Academy of Sciences, 1984), p.136.

٢ ـ د. مراد وهبة، "فولتير ثمرة عصره"، مجلة إبداع (العدد ٨، أغسطس ١٩٩٤)، ص ٢٧ ـ ٣٠.

٣ ـ د. محمد غنيمى هلال، "الأدب المقـارن" (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧)، ص ١٢٧.

٤ ـ W. Macneile &H. J. C. Grierson, *The English Parnassus* (London : Oxford University Press , 1952), p. 748.

٥ ـ د. غنيمى هلال، "الأدب المقارن"، ص ١٣١.

٦ ـ Dionyz Dorsin, *Theory of Literary Compartistics*, p. 134.

٧ ـ *Ibid.* , p. 137.

٨ ـ د. فوزى عطية محمد، "علم الترجمة: مدخل لغوى" (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٨٩)، ص ٦٢.

٩ ـ Dionys Dorsin, *Theory of Leiteary Comparatistics, PP.130-133.*

١٠ ـ جريدة "الشرق الأوسط"، العدد ٥٩٧٣: ٤ إبريل ١٩٩٥.

١١ ـ Op. Cit., Dionyz Dorsin, p. 142.

١٢ ـ *Ibid.* , P. 142.

١٣ ـ د. فوزى عطيه، "علم الترجمة"، ص ٦٢.

١٤ ـ د. شوقى ضيف، "تاريخ الأدب العربى ٣: العـصر العباسى الأول" (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦)، ص ١١٣.

١٥ ـ د. غنيمى هلال، "الأدب المقارن"، ص ١٢٧.

١٦ ـ د. أحمـد زكى، عن «ألف ليلة وليلة»، «فـصول» (شـتاء ١٩٩٤)، ص ٢٣.



١٧ ـ المؤلف: فرانس روزنتال، ترجمة حسين مؤنس وإحسان العمد (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٨٨).

١٨ ـ د. أحمد زكى، "فصول"، (شتاء ١٩٩٤)، ص ١٤.

١٩ ـ د. فاطمة موسى، "مخطوطات ألف ليلة وليلة فى مكتبات أوربا: مخطوطات متتاجو بأكسفورد"، "فصول" (شتاء ١٩٩٤)، ص ٥٠.

٢٠ ـ د. أحمد كمال زكى، فصول (شتاء ١٩٩٤)، ص ١٥.

٢١ ـ السابق: ٢٢ ـ ٢٣.

٢٢ ـ كاتارينا مومزن، "جوته والعالم العربى"، ترجمة د. عدنان عباس على ومراجعة د. عبد الغفار مكاوى (الكويت: عالم المعرفة ١٩٤، ١٩٩٥)، ص ٢٥.

٢٣ ـ السابق: ٢٧.

٢٤ ـ د. شوقى ضيف، "العصر العباسى الأول"، ص ١١٣ ـ ١١٤.

٢٥ ـ د. شوقى ضيف، "تاريخ الأدب العربى ٤: العصر العباسى الثانى" (القاهرة: دار المعرف، ١٩٧٣)، ص ١٣١.

٢٦ ـ السابق: ١٣٣.

٢٧ ـ السابق: ١٣٣ ـ ١٣٤.

٢٨ ـ السابق: ١٣٦.

٢٩ ـ ٣٠ ـ السابق: ١٣٦.

٣١ ـ السابق: ١٣٨.

٣٢ ـ Bertrand Russell, *Wisdom of the West* (London : Fawcett World Library, 1966), p. 207.

٣٣ ـ شوقى ضيف، "العصر العباسى الثانى"، ص ١٣٩.

٣٤ ـ السابق: ١٤١ ـ ١٤٢.



ترجمة المصطلح النقدى

ترجمة المصطلح النقدى إحدى إشكاليات الترجمة إلى العربية. وهى تشغل بال المهتمين بإيجاد معادل عربى لمصطلحات النقد فى اللغات الأخرى، وأقربهما إلينا الإنجليزية والفرنسية. ولقد كان للأستاذ الدكتور مجدى وهبة محاولة فريدة فى هذا الصدد، فقد أصدر فى عام ١٩٧٤ "معجم مصطلحات الأدب" وهو باللغتين الإنجليزية والفرنسية إضافة إلى العربية. ولم يتوقف مجدى وهبة عند حد المصطلح النقدى فقط، إنما تعداه إلى ما هو أبعد منه بكثير، فجاء معجمة شاملاً لكل مصطلحات الأدب فى الإنجليزية ومقابلها الفرنسى ثم ما يمكن أن يقابله فى العربية، وذلك مايعلنه وهبة فى تمهيده حيث يقول: "برغم أن هذا المعجم قد عنى أساسًا بالمصطلحات الأدبية الخالصة إلا أن الباحث سيعثر فى ثناياه على مصطلحات فلسفية أو اجتماعية أو دينية أو فنية، وذلك لأن المعارف الإنسانية قد اتخذت فى بدء أمرها شكلاً موسوعيًا قبل أن تنمو وتتفرع إلى فروع. على أننا لانستطيع أن نضع حدًا فاصلاً بين ألوان المعرفة بعضها وبعض. فأرسطو فيلسوف وأديب، وابن جرير الطبرى مؤرخ وأديب، وعمر بن الفارض متصوف وشاعر، وللخوارج والشيعة والمعتزلة والمتصوفة فى الإسلام أدب، والبلاغة العربية، قبل أن تحجرها قواعد أرسطو بصيرورتها علمًا من العلوم، كانت من صميم الأدب، بل كانت هى الأدب بعينه وهكذا الحال عند جميع الأمم والشعوب مهما اختلفت أجناسها وأسراتها اللغوية"[١]. وقد التزم وهبة فى ترتيب معجمه بالأبجدية الإنجليزية والفرنسية، معطيًا شروحًا وافية بالإنجليزية والفرنسية والعربية.

وبعد ذلك قدم الأستاذ جبور عبد النور «المعجم الأدبى» فى عام ١٩٧٩ وهو يقدم المصطلح الأدبى والنقدى مرتبًا حسب الحروف الأبجدية العربية ثم يعطى مقابل المفردة الفرنسية فقط ولا يعطى شرحًا بالفرنسية ولكن يعطى شرحًا بالعربية يتراوح بين الموجز والوافى. وينقسم معجم عبد النور إلى جزئين رئيسيين: **الأول:** «مصطلحات الأدب»، **والثانى:** «آداب ومؤلفون وكتب». فى الجزء الأول "يسوق المصطلحات الأدبية، أو بالأحرى ما اخترناه منها، ويجلو أبعادها المعنوية ضمن اختصاص معين، مع الإشارة إلى ما قد تتضمنه من مدلولات أخرى واقعة خارج نطاقها الأصلى فتتلاقى على صفحاته ألفاظ ماتيسر لها، من قبل، المثول فى



المعاجم التقليدية، إما لأنها معربة حديثًا، وإما لأن اشتقاقها القياسى لم يسبغ عليها هوية معترفًا بها. وأوردنا فيه مفردات لها مفهوم أدبى ضعيف الصلة بالمفهوم المعجمى العام بعد أن تطورت عبر الأيام فى أقلام الكتاب، فنصل معناها القديم، نجد معناها الجديد طاغيًا على ماسبقه، وحاولنا قدر إستطاعتنا، وضمن النطاق الضيق الذى جلنا فيه، الكشف عن أشهر المذاهب والمدارس، والتيارات الأوروبية، والإلماح العابر إلى ارتباطها بخلفيات فلسفية أو فنية شاملة"[2]. أما الجزء الثانى فهو، كما يقول المؤلف "نظرة بانورامية وخاطفة على مجموعة من الآداب العالمية فى تطورها المتنامى من جاهلية الشعوب إلى أوج تحضرها، مهيئًا ذهن القارئ من خلال المقدمات ونماذج الآثار والشخصيات، لانطباع محسوس، ولاستشفاف فيض الآداب وغناها وتناضحها وتفاعلها. . ."[3] والجزء الثانى يخلو من المصطلح النقدى المعرف إلا أنه يأتى عرضًا عند الحديث عن إحدى المدارس الفنية أو النقدية ضمن الحديث العام عن أدب أمة أو فكر كاتب، أو عند استعراض أحد الكتب أو ما هو من طبيعة الجزء الثانى من هذا المعجم.

وهذان العملان يتميزان بأنهما معجمان شاملان لمصطلحات الأدب والفكر عمومًا، ويأتى المصطلح النقدى ضمن الجزئيات الأخرى التى يغطيانها. إلا أن هذين المعجمين، نظراً للفاصل الزمنى الذى يفصلنا عنهما، لايفيا بحاجة الناقد العربى أو حتى القارئ العربى فيما يخص النقد المعاصر وما تموج به مدارسه من مصطلحات ومسميات. ونظراً لأن مؤلفاتنا النادرة، مثل هذين المؤلفين، لانوليها أى رعاية بعد وفاة مؤلفيها، أو حتى بعد صدور الطبعة الأولى، فإن مافيها يتوقف عند ستينات القرن الحالى ولايتعداه ليشمل مصطلحات النقد المعاصر. ونأمل أن يأتى اليوم الذى يتبع فيه ناشرونا أسلوب النشر فى الغرب من حيث تطوير الطبعات الأولى لمثل تلك المعاجم فيضيفون عليها كل ما يستحدث، ولا حرج أن يذكر اسم محررى المواد الحديثة والمعاصرة التى تضاف إلى تلك المعاجم. فلو اتبع الغرب أسلوبنا فى التعامل مع المعاجم، لتوقف قاموس وبستر ***Webster*** وأكسفورد ***Oxford*** مثلاً عند طبعاتهما الأولى ولواجها مصير المعاجم العربية فى الماضى والحاضر.



ولقد جاءت ترجمة «موسوعة المصطلح النقدى» التى قام بها الأستاذ الدكتور عبد الواحد لؤلؤة محاولة جادة فى سبيل وصلنا بالمصطلح النقدى المعاصر فى الأدب الإنجليزى(٤)، وهذه الموسوعة تنقسم إلى ثلاثة مجلدات. **الأول:** المأساة، الجمالية، الرومانسية، المجاز الذهنى. **الثانى:** اللامعقول، الهجاء، التصور الخيال، الوزن والقافية والشعر الحر. **الثالث:** الواقعية، الرومانسية، الدرامة، الدرامى والحبكة. وتلك الموسوعة كما يتضح من موضوعاتها لاتصل بنا إلى المصطلح النقدى المعاصر الذى هو موضوع هذه الدراسة وهمها الرئيسان.

لذا تجئ ترجمة الأستاذ الكتور جابر عصفور لكتاب رامان سلدن "النظرية الأدبية المعاصرة"(١٩٩١) وكذلك كتاب الدكتور سعد البازعى والدكتور ميجان الرويلى "دليل الناقد الأدبى" (١٩٩٥) محاولتين جادتين لملء الفراغ الذى لم يتمكن معجما مجدى وهبة وجبور عبد النور من ملئهما.

والدراسة هنا لاتنوى المقارنة الكلية بين المساهمات الأربع التى بين أيدينا (وهبة ـ عبد النور ـ عصفور ـ البازعى/ الرويلى)، لكنها تهدف إلى مقارنة جزئية بسيطة ألا وهى تناول المصطلح النقدى المعاصر فقط. وسيكون من الظلم أن نقارن بين معجمى وهبة وعبد النور من جهة وترجمة عصفور ودليل البازعى/ الرويلى من جهة أخرى. فالمقارنة لا تكون صحيحة إلا عند توحد الأعمال موضوع المقارنة من حيث المحتوى والشكل. يقول دكتور جابر عصفور فى مقدمة ترجمته لرامان سلدن: "وعنوان الكتاب الأصلى، دليل القارئ إلى النظرية المعاصرة، وهو دليل جيد بالفعل. فبعد المدخل النظرى الذى يطرح فيه المؤلف تأسيسًا لكيفية تصنيف النظريات المعاصرة، معتمدًا فى ذلك على النموذج المنهجى الذى تقوم عليه دراسة رومان ياكبسون لما أسماه «الحدث الكلامى»، يتوجه المؤلف إلى النظريات المعاصرة نفسها، فيعرض للشكلية الروسية بوصفها "معطف جوجول" الذى تتابعت منه أحلام البحث عن منهج علمى، أو عند تأسيس علم لدراسة الأدب. وتتلاحق النظريات والمداخل، من النظريات الماركسية القديمة قدم «رأس المال» والجديدة جدة كتابات إيجلتون وفردريك



جيـمسون. والنـظريات البنيوية التى تحـتل مكانة متواضـعة فى الكتـاب بعد أن تصاعد موج نظريات ما بعد البنيوية منذ أوائل السبعينيات، والنظريات التى تتوجه إلى القارئ وأخيـراً النقد النسائى"[٥]. هذا، ويورد رامان سلدن سـبعًا وتسـعين مصطلحًـا نقديًا وُفِقَ الدكـتور عصـفور فى ترجمـتها أيـما توفيق، وكـان الشرح والتعـريف المرافـقان لكل مـصطلح كافـيين لإبعـاد الغموض أو الإبـهام عن أى منهما. ورغم أن الأمـثلة التى استخدمها سلدن تخـدم النص الإنجليزى إلى أبعد حد إلا أن ترجمتها إلى العربية كانت لاتعنى كثيراً لقارئ لا يعرف الإنجليزية. لذا اضطر عصفور فى أكـثر من مرة إلى استخدام مقابلات عـربية للأمثلة اللغوية فى نص رامان سلدن ـ والمصطلحات التى وردت فى ترجمة عصفور هى كالتالى:

- التشييديون.
- البنيويون.
- النقد الجديد.
- اللغة العملية.
- التغريب.
- آلية الوقع.
- إماطة اللثام.
- القص.
- الحبكة.
- التحفيز.
- الواقعية.
- تطبيع النص.
- أدبية الرواية.
- العنصر المهيمن.
- الشكلية.
- النقد الماركسى.
- الخطاب.
- النمط المونولوجى.
"الوحيد الصوت" للرواية.
- النمط الديـالوجى "مـتـعـدد الأصوات" للرواية.
- الكرنفال.
- محاورات سقراط.
- الأهجية الملينبية.
- العالم العلوى (الأولمبى).
- العالم السفلى.
- الأرضى.
- الوظيفة الجمالية.



- المتتالية الأدبية (النسق).
- المتتالية التاريخية.
- الواقعية الاشتراكية السوفيتية.
- نبذ الولاء للحزب.
- خاصية الشعبية.
- الانعكاس.
- تيار الوعى.
- علم الجمال الماركسى.
- مدرسة فرانكفورت.
- الماركسية البنيوية.
- البنيوية التوليدية.
- الحركة الجنسينية.
- نظريات التفكيك (ديريدا - بول دى مان).
- الصوفية المادية.
- النظريات الفرويدية (لاكان).
- النقد الجدلى الماركس (جيمسون).
- المستطيل السيميوطبقى (جريماس).
- التفسير المتجاوز للنص.
- التفسير المحايث.
- العملية الأوديبية.
- اللاوعى السياسى.
- المهاد اللغوى (دى سوسير)
- السيميوطيقا.
- التحليل الفونيمى - الصوتى (مارى دوجلاس وكلود ليفى شتراوس).
- النظرية البنيوية للنص (تودورف وبروب).
- ميثمات mythemes (شتراوس).
- الإدماج.
- الحُبْسَة: اعتلال المجاورة واعتلال المشابهة (ياكوبسون).
- القطب الإستعارى.
- القطب الكنائى.
- الشعرية البنيوية (جوناثان كوللر).
- الشفرة الدلالية (رولان بارت).
- الشفرة الرمزية (رولان بارت).
- الفعل المشفر (رولان بارت).
- الذات القائلة (جاك لاكان).
- التكثيف.
- الاستعارة.

- الإحلال.
- الكناية (جاك لاكان).
- النسق المفهومى (جاك ديريدا).
- نزعة مركزية اللوجوس (جاك ديريدا).
- نزعة مركزية. الصوت (جاك ديريدا).
- التراتب القهرى (جاك ديريدا).
- تكمله (ديريدا).
- الإبعاد (جاك ديريدا).
- نقص التراتب (بول دى مان).
- الخاصية النصية(بول دى مان).
- المجازات الرئيسية الأربعة (كينيث بيرك - هارولد بلوم).
- التقيد، الاستبدال، التمثيل (هارولد بلوم).
- قلق التأثير (هارولد بلوم).
- التواطؤ الشعرى (هارولد بلوم).
- معدلات المراجعة: المخالفة: التفصيص، الهجر، حسن الإتباع المران.
- النظام الأبوى (كيت ميلليت).
- مركزية القضيب (إرنست جونز).
- الاختلاف الجنسى (لاكان - جين جالوب).
- إعادة التجسيم (جيفرى هارتمان).
- عمى البصيرة النقدية(بول دى مان).
- الخطاب والقوة (ميشيل فوكو، إدوارد سعيد.
- نظرية الخطاب (إدوارد سعيد).
- نظرية استجابة القارئ (أمبرتوإيكو).
- المروى عليه (جيرالد برنس).
- الفينومينولوجيا، فلسفة الظواهر (هوسرل).
- قارئ مضمر.
- قارئ فعلى (آيزر).
- آفاق التوقعات (ياوس).
- نظرية التأويل، الهرمينوطيقا (جادامر).
- أسلوبيات العاطفة (فيش).
- المقدرة الأدبية (ميشيل ديفاتير).
- أعراف القراءة (جوناثان كوللر)
- علم نفس القارئ (هولاند/ بلايخ).
- منطق خطاب القضيب (جوليا كرستيفا - هيلين سيكسوس).
- اللاوعى الأنثوى المتدفق (هيلين سيكسوس).



ولا تتوقف عمليـة تحديث الموجود النقـدى عند محاولة عصـفور، لكنها تستمـر إلى أن تصل إلى "دليل الناقـد الأدبى"(١٩٩٥م) الذى يعلن مؤلفـاه فى مقـدمته، بتـواضع العلماء، أن ثمة وجـه اختلاف بين كـتابهمـا ومعجـمى وهبة وعبدالنـور "ويكمن وجه الاختلاف فى أن ما نضعه بين يدى القارئ ليس قاموسًا أدبيًـا كمـا هو الحال فى مـا ألفه مـجدى وهبـة فى عمله التـأسيـسى. «معـجم مـصطلحـات الأدب» (١٩٧٤م) أوجـيـود عـبـد النـور فى "المـعـجم الأدبى"(١٩٧٩م). فطمـوحنا فى هذا الكتاب مـحدود جـدًا بالقيـاس إلى ذينك العلمين الضخمين"(٦).

أما عن منهج البازعى/الرويلى فى هذا الدليل فهو تقديم "مجموعة من أبرز المصطلحات والمفاهيم والاتجاهات الشـائعة فى النقد الأدبى المعاصر فى عرض متوسط الحجم يفوق العرض المعجمى أو القاموس المقتصد فى تفاصيله ولكنه لا يصل إلى مستوى المناقـشة المستفيضة التى تتسم بهـا المقالات التحليلة"(٧). أما الجانب الثانى من منهجهما، وهذا مايعطى ذلك الدليل شـخصيته "المميزة" فهو الاتجاه نحو التفسير والتقويم "بعيدًا عن وهم الموضوعية من ناحية، وبعيدًا ـ قدر الإمكان أيضًا ـ عن المعالجة الأيديولوجية الفجة"(٨).

ويقـدم جدول (أ) فى هذه الدراسـة مـجمل أعـداد المصـطلحات النقـدية المستخدمة فى المؤلفـات الأربعة (وهبة ـ عبد النور ـ سلدن ـ البازعى/الرويلى). والأرقام قـد تثير الفزع عند مـقارنتهـا. ولكن لذلك تبريره، فوهبـة قدم معجـمًا لايشمل المصطلح النقدى أو الأدبى فقط كمـا يعلن فى تمهيده الذى اقتطفناه منذ قليل، ولكن يتعـداه ليشمل كافـة المصطلحات الفنية والفلـسفية والجمـالية التى يمكن أن يقع عليهـا كل من القارئ والأديب والناقد، لذا قارب عـدد مصطلحاته الألفين. أما جبـور عبد النور فقد أورد فى الجزء الأول "مـصطلحات الأدب" ما يقارب التسعـمائه مصطلحًا، وفى الجزء الثانى "آداب ومؤلفـون وكتب" فلا ذكر



للمصطلح النقدى إلا عرضًا، كحديثه مثلاً عن مدارس النقد المختلفة فهو يستعرضها استعراضًا سريعًا دون التوقف عند مفاهيمها أو أقطابها أو كتبهم التى تنظر لتوجهاتهم النقدية. ووصولاً إلى عصفور نجد عدد المصطلحات النقدية يقل بعض الشئ فيصل إلى سبع وتسعين وذلك لأن مجال كتاب عصفور يغطى فقط النظرية الأدبية المعاصرة، وهو بذا يحدد لنفسه رقعة لايتعداها ليشمل مصطلحات أو مفاهيم تخرج عن هذا النطاق ثم يجئ كتاب البازعى/ الرويلى وفيه خمسة وأربعون مصطلحًا نقديًا فى معظمها مصطلحات معاصرة، لم يرد منها إلاسبع فى معجم وهبة، كما أن أربعة فقط منها ترد فى معجم عبد النور[٩]. كما أن اثنين وعشرين مصطلحًا منها موجودة فى ترجمة سلدن[١٠].

وهبة	عبد النور		عصفور	البازعى/ الرويلى
	ج١: مصطلحات الأدب	ج٢: آداب ومؤلفون وكتب		
١٩٢٧	٨٦٤	—	٩٧	٤٥

جدول (أ): إجمالى عدد المصطلحات النقدية المستخدمة فى المؤلفات الأربع.



جدول (ب)

مقارنة ترجمة المصطلح النقدى

م	المصطلح	وهبة	عبد النور		عصفور	البازعى/ الرويلى
			جـ١	جـ٢		
١	Comparative li-	الأدب المقارن	—	الأدب المقارن	—	الأدب المقارن
٢	Orientalism	—	الاستشراق	—	الاستشراق	الاستشراق
٣	Structuralism	التركيبة/ البنيوية	البنيوية	—	البنيوية	البنيوية
٤	Srructural criti-cism	—	النقد البنائى	—	النقد البنيوى	النقد البنيوى
٥	New Histori-cism	—	—	—	—	التاريخانية الجديدة
٦	Cultural Analy-sis	—	—	—	—	التحليل الثقافى
٧	Interpretatio	التأويل	—	—	—	التأويل
٨	Hermeneutics	علم التأويل/ علم التخريج	—	—	نظرية التأويل/ التأويلية	الهيرمنيوطيقا
٩	Deconstruction	—	—	—	التفكيك	التقويضية
١٠	Trace	—	الأصل	—	—	الأثر الأصل
١١	Differ(A)nce	—	—	—	الاختلاف/ الإرجاء	الإخـ(ت)ـلاف
١٢	Dissemination	—	—	—	—	الانتشار أو التشتيت
١٣	Interabity	—	—	—	—	التكرارية
١٤	Supplemet	—	—	—	تكملة (إضافة/ استبدال)	الملحق/ الإضافة



(تابع) جدول (ب)

مقارنة ترجمة المصطلح النقدى

م	المصطلح	وهبة	عبد النور		عصفور	البازعى/ الرويلى
			جـ١	جـ٢		
١٥	Discourse	الحديث/ الكلام الصحيح / البحث / الأطروحة	—	—	نظرية الخطاب	خطاب
١٦	Discourse analysis	—	—	—	—	تحليل الخطاب
١٧	Colonial Dis-course	—	—	—	—	الخطاب الاستعمارى
١٨	Post-Colonial theory	—	—	—	—	النظرية ما بعد الاستعمارية
١٩	Translation Studies	—	—	—	—	الدراسات الترجمية
٢٠	Intercultural Studies	—	—	—	—	الدراسات العبر ثقافية
٢١	New Pragma-tism	—	—	—	—	الذرائعية الجديدة
٢٢	Competence	—	—	—	المقدرة	القدرة/ الكفاءة
٢٣	Literary Com-petence	—	—	—	المقدرة الأدبية	القدرة الأدبية/ الكفاءة الأدبية
٢٤	the axiety of Influence	—	—	—	قلق التأثير	قلق التأثير
٢٥	Aporia	—	—	—	—	اللغزية/ العماية
٢٦	Post Modernity	—	—	—	—	ما بعد الحداثية
٢٧	Post Modern-ism	—	—	—	—	ما بعد الحداثة
٢٨	Effeceive Fal-lacy	—	—	—	—	المغالطة التأثيرية



(تابع) جدول (ب)

مقارنة ترجمة المصطلح النقدى

م	المصطلح	وهبة	عبد النور		عصفور	البازعى/ الرويلى
			جـ1	جـ2		
٢٩	Intentional fallacy	—	—	—	—	المغالطة القصدية
٣٠	Death of Author	—	—	—	موت المؤلف	موت المؤلف
٣١	Ecriture	—	—	—	—	النص أو الكتابة
٣٢	Lisible	—	—	—	نص القراءة	النص المقروء
٣٣	Scriptible	—	—	—	النص المكتوب	النص المكتوب
٣٤	Reader Response Reception Theory	—	—	—	نظرية استجابة القارئ	نظرية الاستقبال (أو استجابة القارئ)
٣٥	New Criticism	—	—	—	النقد الجديد	النقد الجديد
٣٦	Dialogical Criticism	—	—	—	—	النقد الحوارى
٣٧	Contextual Criticism	—	—	—	—	النقد السياقى
٣٨	Phenomenological Criticism	—	—	—	النقد لفينومينولوجى/ الفينومى نولوجيا فلسفة الظواهر	النقد الظاهرى/ الفينومينولوجى
٣٩	Marxist Criticism	—	—	—	النقد الماركسى	النقد الماركسى
٤٠	Feminist Criticism	—	—	—	النقد النسائى	النقد النسوى/ النسائى
٤١	Psychological Criticism	—	—	—	النقد النفسى	النقد النفسانى
٤٢	Psychoanalysis	التحليل النفسى	—	—	التحليل النفسى	التحليل النفسى



٤٣	Archetypal Criticism	ــــ	ــ	ــ	ــــ	نقد النماذج العليا
٤٤	Mythic Criticism	ــــ	ــ	ــ	نقد الأسطورة[١١]	النقد الأسطورى
٤٥	Magic Realism	ــــ	ــ	ــ	ــــ	الواقعية السحرية

جدول (ب) مقارنة ترجمة المصطلح النقدى



وعند مقارنة ترجمة المصطلح النقدى فى الأعمال الأربعة موضوع الدراسة نجد مايلى:

(أ) ـ بعض المصطلحات موجودة عند عصفور فى ترجمته لرامان سلدن ولايوجد أى منها عند وهبة أو عبد النور أو البازعى/ الرويلى. ومنها الوظيفة الجمالية[١٢]، التشييديون[١٣]، التغريب[١٤]، إماطه اللثام[١٥]، القص[١٦]، التحضير[١٧]، العنصر المهمين[١٨]، والأهجية المينبية[١٩] عند باختين لايذكر البازعى/ الرويلى أى شئ عنها كذلك لايذكر أى شئ عن مصطلح آخر وهو الكرنفالية[٢٠] وهما من أسس مدرسة باختين.

(ب) ـ بعض المصطلحات توجد عند البازعى/ الرويلى فقط، ولاتوجد عند وهبة أو جبور عبد النور أو عصفور ومنها: التاريخانية الجديدة، التحليل الثقافى، الانتشار أو التشتت، التكرارية، تحليل الخطاب الاستعمارى، النظرية مابعد الاستعمارية، الدراسات الترجمية، الدراسات عبر الثقافية، الذرائعية الجديدة، اللغزية/ العماية، مابعد الحداثية، ما بعد الحداثة، المغالطة التأثيرية، النص أو الكتابة، النقد الحوارى، النقد السياقى، نقد النماذج العليا، والواقعية السحرية. ونحن نفسر ذلك بأن عدم ذكرها لدى وهبة وعبد النور وكذلك عند عصفور يرجع إلى دخول تلك المصطلحات للتو إلى الساحة النقدية. ولوكانت موجودة سابقًا لما تقاعس أى من هؤلاء الأعلام عن إيرادها ضمن معاجمهم.

(جـ) ـ تناولت الأعمال الأربعة بعض المصطلحات متفاوتة فى شرحها وتحليلها والتمثيل لها. ونذكر هنا مثالين:

١ـ الأدب المقارن. فى حوالى عمود وربع من الصفحة ٨٠ يعرف الأستاذ الدكتور مجدى وهبة الأدب المقارن على أنه "١ ـ المقارنة بين آداب أو مجموعات لغوية واحدة، أو مجموعة لغوية مختلفة. ٢ ـ دراسة التأثيرات الأدبية التى تتعدى الحدود اللغوية والجنسية والسياسية مثال ذلك: دراسة الرومانتيكية فى آداب مختلفة. . . وتشمل هذه الدراسة متابعة أساطير أو موضوعات معينة عبر العصور وفى بيئات مختلفة. وهذه الدراسة هى ما أسماه العلماء الألمان بتاريخ



الموضوعاتStoffgesghichte . ومثال ذلك أسطورة "فاوست" أو "أوزريس" أو "قصة شهرزاد" فى آداب مختلفة. ويتعرض الأدب المقارن أيضًا لدراسة الشهرة الأدبية لأحد كبار الأدباء فى بيئة غير بيئته وتأثير الآداب بعضها فى بعض عن طريق حركة الترجمة، وتفاعل الأدباء مع المذاهب الأدبية المختلفة التى لايمكن اعتبارها وليدة مجتمع واحد بالذات وذلك كالنزعة الواقعية أو الرومانتيكية أو غيرهما". ويتعرض بعد ذلك لتعريف بول فان تيجم للأدب المقارن على أنه "ذلك الفرع من الأدب الذى يعنى بدراسة تأثير أدب فى آخر أو تأثره به فهو يتناول النتائج التى انتهت إليها تواريخ الآداب القومية فيكملها وينسقها ويضم بعضها إلى بعض فى تاريخ أدبى أعم".

أما جبور عبد النور فيخصص فقرة واحدة من الصفحة ٣٧ ٠ربع الصفحة تقريبًا) لتعريف الأدب المقارن "الأدب المقارن: قسم من تاريخ الأدب ظهر فى انكلترا وألمانيا فى أواخر القرن التاسع عشر، الغاية منه دراسة الروابط بين مختلف الآداب فى العالم والبحث فى التيارات الفنية وبروزها فى الآثار العالمية، وتعليل التشابه والتقارب بينها، على ضوء التاريخ والتحليل الأدبى والنفسى والاجتماعى والسياسى. ويفرض فى المتصدى لهذا العلم أن يتصف بميزات الناقد الناجح، وأن يكون ضليعًا فى اللغات التى يعنى بآدابها". و د. جابر عصفور لايذكر هذا المصطلح على الإطلاق.

أما دليل البازعى/ الرويلى فيخصص لهذا المصطلح سبع صفحات تقريبًا فيها الكثير من الشروح والأمثلة وكذلك تاريخ الأدب المقارن. "تعود نشأة الأدب المقارن إلى أواسط القرن التاسع عشر حين انتشرت المقارنة فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية كمنهج بحث معرفى فى كثير من العلوم وفى مقدمتها العلوم البحته. . .أما فيما يتصل بالدراسات الأدبية فيبدو أن الشعور بأهمية المقارنة أخذ يلح فى نهايات النصف الأول من القرن التاسع عشر فكان من دلائل ذلك أن ألف الفرنسيان أبيل فرانسوا فيلمان وجان ـ جاك أمبير كتابًا فى تاريخ الأدب تضمن بحثًا عن الروابط والتأثيرات بين الآداب الأوروبية. .الاعتقاد بكلية الظاهرة الأدبية



هو مايسم المدرسة الأمريكية فى الأدب المقارن، فى مقابل مدرسة أخرى هى المدرسة الفرنسية. . وتشترك المدرسة الروسية فى نقد القيود المنهجية على الدراسة المقارنة، خاصة وأنها تنطلق من أسس ماركسية أممية التوجة. . . على أن الاختلاف بين المدارس الأوروبية لم يلغ التقاءها فى السنوات الأخيرة خاصة عند جملة من القواسم المشتركة، وفى طليعتها ميادين البحث الرئيسية، وهى التأثر والتأثير والتناظر (بين الأعمال أو الكتاب) ومايتصل بذلك من دراسة للمصادر وأنماط التلقى (أى الكيفية التى يُتلقى بها كاتب أو عمل ما فى بيئة مغايرة)، والترجمة، والأنواع الأدبية، والتيارات، والحركات، والموضوعات، والأشكال، والخيوط الناظمة (الموتيفات). . . لقد ظلت المؤلفات العربية فى هذا الحقل، وطوال العقدين أو الثلاثة الماضية، واقعة فى مجملها تحت طائلة التأثير الغربى سواء من الناحية المنهجية أو التطبيقية. . . ويتطرق بعد ذلك إلى دور الدراسات الترجمية ومابعد الاستعمارية "والمقصود بها الدراسات التى تبحث فى العلاقات الثقافية بين الغرب بوصفه مستعمراً ومايقع خارج الغرب من الدول وقعت تحت طائلة الاستعمار، مع ماتتضمنه تلك الدرسات من تحليل للنصوص الأدبية وغيرها للكشف عن استراتيجياتها الخطابية على النحو الذى يبرزه إدوارد سعيد فى كتابه "الاستشراق" (١٩٨٧)"[٢١].

٢ ـ الأثر الأصل. لم يرد هذا المصطلح عند وهبة أو عصفور على الإطلاق. أما عبد النور فيقول عنه "١ـ فنيًا: إنتاج صادر عن الذهن و الموهبة، مثل: الكتاب، اللوحة، الأنشودة، التمثال إلخ. . . ٢ ـ آثار الشاعر: كل ما ألفه، ونشط فى إبرازه إما فى مرحلة معينة، وإما طول حياته. ٣ ـ تتعاون عادة فى تكوين الأثر الأدبى عناصر عدة لايتيسر حصرها لتشعبها وارتدادها إلى الجذور العرقية، والأمالى المعاصرة، غير أن أهمها يتحدد مباشرة من الفكر المبتكر للمعانى، والمنسق والموضح لها، ومن الانفعال المتمثل فى المشاعر، ومن الخيال المولد للصور الجديدة والتشابيه والمقارنات ومن الأسلوب الذى يصوغ كل ذلك، ويبرزه فى أبرع عبارة وأبلغها. "إن عباقرة الفن ينتجون الآثار الفنية التى تنال إعجاب الجميع، على غير قاعدة أو مثال يقتفونه" (روز غريب، النقد الجمالى، ص ٧) ـ "إذا كان الأسلوب هو الذى ينم عن شخصية الخلاق ويعرف به، فليس هو فى الواقع الذى يضفى على الأثر الأدبى الروعة ويجعله مستساغًا



مـفهـومًـا من القراء" (الآداب، ١٩٧٢، ١، ٥٩) - " من أولى الـمسلمـات فى الحـياة الأدبيـة أن يكون الأثر الأدبى لدى الكاتب تعـبيـرًا عن رؤية متـميـزة إلى العالم" (المـوقف الأدبى، السنة الأولى، ١، ٦)"[٢٢]. وهذا مفهـوم عام بدائى بمقاييس النقـد فى تسعينات هذا القرن. إلا أن هذا المـصطلح يأخذ شكلاً أعمق عند البازعى والـرويلى اللذين يخصصـان له أربع صفحـات ونصف الصفـحة فى شرح عـميق كأحد مـصطلحات التقويضـية. "يرتبط مفـهوم الأثر فى التقويضـية بمفهوم "الحضور" و"الحضور الذاتى" وينبع منهما النظرية الماورائية؛ أما بالنسبة إلى دريدا فهو يـرى فى الأثر شيئًا يمحـو المفهوم المـيتافيزيقى لـلأثر والحضور (لايمكن أن يقوم أى مفـهوم سواء كان الأثر أو الحضور إلا على مـحو الأثر كما يصفه دريدا)... والأثر الأصل هو الإمكانية التكوينية للتلاعب المتبادل بين أطراف التضاد، بين الآن والآخـر؛ باختصار: إن الأثر الأصل هو الإمكانيـة التكوينية لما يعرف عادة بالاختلاف. والأثر الأصل هو أدنى أو أصغر مستويات البنية الضرورية لإيجاد مـا يمكن أن تحل هذه المصطلحات أو المـفردات مكانة وتنوب عنه (أى إيجاد أية علاقة مع "الخارج")... ولما كان الأثر الأصل (فى الفكر الميتافيزيقى) يعد ثانويًا ومشتـقًا من أصل ومضاد له، أى مضاد لمفهـوم الحضور الكامل، فإن الأثر الأصل الذى يسمى "الاختلاف" بينهمـا كان لابد أن يكون اختلافًا قادرًا فى هوية "الحضور الكامل" حتى يتيح لهذا الحضور تميزه كحضور وكمضاد لمفهوم الأثر... وهكذا فإن الأثر الأصل يوحد فى آن حـركة مزدوجة: حركة المـرجعية (سواء كانت مرجـعية إلى الذات أو إلى الآخر) وحركة انحـراف الذات وتحويلها عبر الآخر. إن الأثر لابد أن يفـهم على أنه "ثنية" الانعكاس أو الانكسار الراجع وغير القابل للاختزال، على أنه أقل وحـدة اختلاف (الذات) ضمن الهوية الذاتية، "الثنية" التى تجـعل الانعكاس يتحقق أو "يعود" إلى مـصدره حتى تدرك الذات "ذاتها". وبـدون وحدة البنية هـذه لا يمكن أبدًا، أن تتحـقق الذاتية والحـضور الذاتى من خلال تحويلة الذات كآخر نحو الذات"[٢٣].

من خلال الاستعـراض السابق لترجمة المصطلح النقـدى نستطيع القول أن محاولتى عصفور وكذلك البازعى/الرويلى رائدتان فى فك التـعقيد البالغ للمشهد النقدى المعاصر. ولهما الريادة كذلك فى تبسيط المعارف النقدية وتقديمها للقارئ العربى مجنبةً إياه الصدمة التى قد تصيـبه من التراكم المعرفى غيـر العادى الذى



تأتى به مئات الدوريات والمجلات الأدبية التى لاتكف عن الإتيان بالجديدمع كل عدد يصدر منها فى كافة أرجاء المعمورة.

لكن تبقى مشكلة المصطلح النقدى قائمة، طالما بقيت عملية تناوله قائمة على أكتاف وجهود أشخاص فرادى. ولنا أن نتخيل لو أن المواد التى فى الأعمال الأربعة موضوع هذه الدراسة تكاملت فى معجم واحد يخضع لعملية تطوير وتنقيح سنويًا (وبالطبع، نحن نستثنى ترجمة كتاب سلدن، وإلا فنحن ندعو إلى السرقة الأدبية) فالناتج سيكون معجمًا ضخمًا وافيًا شاملاً لايؤثر فيه تقادم الزمن أو موت مؤلفه. ذلك أمل ورجاء لدى دور النشر العربية، أن يقوم محرروها بذلك العمل الثقافى الرفيع، ولا أظن أن ضرراً من أى نوع سيلحق بحقوق التأليف والنشر. فبدل أن يصبح معجم مجدى وهبة كلاسيكيًا لتوقفه عند السبعينات، فإن عملية التنقيح والزيادة التى نقترحها ستجعل منه مرجعًا شاملاً متكاملاً، يغنينا كثيراً عن التأليف مرة تلو الأخرى. فالثابت أن كل فترة فى حياتنا النقدية تحتاج إلى معاجم بعينها، وعندما تنتهى تلك الفترة نكون بحاجة إلى معاجم جديدة، وتلك فى حد ذاتها عملية تراكمية تنتهى بفوضى استخدام المصطلح دون أى فرز أو انتقاء. ومما يزيد الأمر تعقيداً أن البعض يتبنى المعاجم التى تصدرها بلده، وذلك واضح من اختلاف المسميات والاصطلاحات النقدية بين المشرق والمغرب، وفى عقيدة البعض أن ما يقوله هو الصحيح فقط دون أى اعتبار للمعايير الموضوعية لاستخدام ذلك المصطلح والتى أولها أن يكون مقبولاً لدى الجماهير العريضة من المتلقين وألا يكون فيه غربة لغوية، فلماذا نقول هيرمنيوطيقا وفينومونولوجيا ولدينا التأويل وفلسفة الظواهر ؟ كما أن آخرها لن يكون التطبيق باستخدام أمثلة من أدبنا العربى، وذلك حديث آخر فالمنظرون والناقلون أكثر بكثير من الشارحين التطبيقيين، فالتنظير والنقل أسهل وأكثر أمنًا.



هوامش:

١ ـ د. مجدى وهبة، "معجم مـصطلحات الأدب" (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٤)، ص Xii.

٢ ـ جبـور عبد النور، "المـعجم الأدبى: (بيروت: دار العـلم للملايين، ١٩٧٩)، ص ٢.

٣ ـ السابق، نفس الصفحة.

٤ ـ جون جب، "موسوعة المصطلح النقـدى" (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣).

٥ ـ رامان سلدن، "النظرية الأدبية المـعاصرة"، ترجمة د. جابر عـصفور (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١)، ص ٦.

٦ ـ د. ميجان الرويلى و د. سـعد البازعى "دليل الناقد الأدبى" (الرياض: العبيكان، ١٩٩٥)، ص ١٠.

٧ ـ السابق، نفس الصفحة.

٨ ـ السابق، ص ١١.

٩، ١٠ ـ أنظر جـدول (ب) من هذه الدراسة. يـعتـمد جـدول (ب) على المصطلـحات التى وردت فى "دليل الناقـد الأدبى"، فيضـعها بالإنجلـيزية على اليمـين ثم يضع ترجمتهـا العربية كـما أوردها المؤلفان على يسـار الجدول، ثم مقـارنة ترجمـة ذلك المصطـلح ـ إن وجد ـ عند وهبـة وعبـد النور وعصـفور. فالأساس هو استخدام المصطلح عند البازعى والرويلى.

١١ ـ يورده المؤلف فى المقـدمة كمصطلح فقط ويعلن أنه قد اسـتبعده إذ يبدو له "أن نقد الأسطورة لم يقتحم التيار الأساسى للثقـافة الجامعية (الأكاديمية) أو الشعبية ولم يتخـذ المسميات القائمة بالدرجة نفسهـا من القوة التى تحدثها بها النظريات التى سوف نعرض لها" (عصفور: ١٨ ـ ١٩) وهناك إشارة عابرة له عند الحديث عن نزعة التفكيك فى أمريكا (عصفور: ١٥٤).



١٢ ـ السابق، عصفور، ص ٤٢.

١٣ ـ السابق، ص ٢٤.

١٤ ـ السابق، ص ٢٧.

١٥ ـ السابق، ص ٢٩.

١٦ ـ السابق، ص ٣٠.

١٧ ـ السابق، ص ٣١.

١٨ ـ السابق، ص ٣٣.

١٩ ـ السابق، ص ٤٠.

٢٠ ـ السابق، ص ٣٩.

٢١ ـ السابق، البازعى/ الرويلى، ص ١٤ ـ ٢٠.

٢٢ ـ السابق، جبور عبد النور، ص ٥.

٢٣ ـ السابق، البازعى/ الرويلى، ص ٥٥ ـ ٥٩.



يحل المهرجان السنوى للتراث والثقافة بالجنادرية فى ظروف جوية أهيم بها عشقًا، فالضباب ورذاذ المطر يحركان فى نفسى كل مشاعر الخوف والحزن والفرح الكامن منها والخامد والنشط. ويأتى ذلك المهرجان بظروف ثقافية لا يتوفر مثلها فى معظم بلدان العالم العربى. ففيه يجتمع القاصى والدانى، ويجتمع الفنانون والأدباء على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم. فبذا تكون فرحتى بهذا المهرجان فرحتين، ينسى الإنسان من خلالهما ضغوط العمل وتقليدية الحياة التى تعودنا عليها سنة كاملة. وما أن تودعنا الجنادرية هذه الأيام، حتى أظل انتظر الجنادرية العام التالى: الجنادرية الضباب، ورذاذ المطر؛ الجنادرية لقاء الأدباء و الأصدقاء ومحبى الثقافة والمعرفة.

إضافة إلى ذلك، فقد كانت الجنادرية هذا العام تجربة تضاف إلى ملف عملى الشخصى وأعتز بها. فقد كلفت ضمن عدد من أساتذة الترجمة وهيئة التدريس بكلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود، كلفت الترجمة الفورية لأعمال مهرجان الجنادرية ١٢. فقد دعى الحرس الوطنى عدداً ممن لا يتحدثون العربية، وكان طبيعيًا أن تقدم الترجمة الفورية حتى يستطيع الحضور منهم متابعة ومعرفة ما يدور، خصوصًا فى الندوات الثقافية التى عقدت بقاعة الملك فيصل بالرياض. ولقد كان عمل المترجم الفورى إسهاما كبيراً لا يمكن إغفاله فى توصيل صوتنا إلى نخبة المثقفين غير العرب الذين دعوا إلى هذا الحفل الثقافى العظيم.

وضمن اللقاءات الأخوية ابتدرنى الأستاذ الدكتور ناصر الرشيد سؤالاً ما كنت أتوقعه: «من الذى ترجم محاضرة الدكتور مراد وهبة؟». ولم أبادره الرد حتى استبنت رد فعله على تلك الترجمة. أبدى الرجل حماسًا منقطع النظير لنجاح تلك الترجمة، نظراً لما حوت ـ فى أصلها العربى ـ من مصطلح فلسفى معقد، متخصص لا يعرفه إلا خاصة الخاصة. إلا أن إعجاب الرشيد بترجمة وهبة لم يكن وحيداً فى نوعه، فلقد تلقيت إعجابًا مماثلاً من السيد مايكل توماس وهو أمريكى مسلم. وكانت ترجمة وهبة بالنسبة له مقدمة عظيمة لمعرفة دور



الفلاسفة المسلمين فى إثراء الحضارة الغربية التى لولاها لـما كانت على ما هى عليه اليـوم. ولأرد على سؤال الرشـيد «من الذى ترجم محـاضرة الدكتـور مراد وهبة؟» فـإننى أقول: إنه كاتب هذه السطور. ولقد سـعدت أيما سـعادة أن أكون متـرجم هذا الفيلسوف العلّم الذى تعـتز به الثقـافة المصـرية و العربية ومـجامع الفلسفة على مستوى العالم أجمع. سعـدت لأننى عرفت مراد وهبة أستاذًا جامعيًا تنويريًا منذ عـشرين عـامًا أو أكثـر، عرفـته أيام كان يكتـب فى مجلة «الطليـعة» المصرية قبل تحولها الجذرى إلى أقصى اليمين الفكرى.

كان مراد وهبة يؤثر السير بين الأشواك وحقول الألغام فى حين آثر الآخرون السكينة وركنوا إليـها. كـان مراد وهبة - ولا يزال - يـلعن كل من يحاول إخـماد جـذوة النشاط الفكرى، وكـان وما يزال يلعـن كل من يحاول تعطيل دور العـقل وإعماله فى حياتنا الفكرية. ومن ثم كنت على وعى تام بما قاله مراد وهبة وكنت مدركًا للجوانب المختلفة التى يمكن أن يـتطرق إليها فى محاضرته قبل أن يصلنى نصهـا المكتوب. لقد كان ذلك النص قـلادة، أحجارها كلمـات قطعت من جبل الماس وأحجار كريمة.كان نص مراد وهبة عـشر صفحات بخط اليد ومع مسافات كبـيرة بين السطر وتاليه، ولو طبع لمـا زاد عن ذلك. ومقارنة بنصـوص أخرى، نتذكر فورًا أن العبرة ليست بالكم لكنها بالكيف وأيضًا المحتوى.

والقاعـدة أن مهـرجانا كالجنادرية لا يـجب أن يكون مجالا لتـعليم الناس وإعطائهم دروسًا من معـاد القول. فجميع الحـاضرين من المثقفـين ويعرفون عن ظهر قلب كثـيرًا مما أعيد قـوله من قبل بعض المحاضرين الذين فاتهـم استغلال هذه الفرصة وهذه الكوكبة من الحضور لتقديم قضايا جريئة وجديدة وأصيلة. لذا فقد كانت ورقة مـراد وهبة فتحا فكريا، ابتدره برءوس أقلام حـول موضوعات ما نزال نواصل الغطس والسباحة فى بحورها حتى نصل إلى الشاطئ.

ومن الموضوعات التى تبناها «مهـرجان الجنادرية ١١» و«مهرجان الجنادرية ١٢» صدام الحضرات وخصوصا علاقة الإسلام والغرب.

كان مدخل مـعظم السابحين مع التيار أو ضـده هو أن الإسلام والغرب فى تصادم مستـمر، متبنيين فى ذلك فكر صامـويل هانتنجنون، وكان آخرون ينكرون



أى صدام بين الفكر الغربى والإسلام لأن الإسلام لا يقع ضمن المخاطر التى تهدد الأمان الأوربى. ولكن ما حجة الفريق الأخير فى قولهم إذا وضعنا فى الاعتبار المحاضرة القيمة للأستاذ عبد المجيد فريد مدير مركز الدراسات العربية فى لندن، حيث يقول: «أحد القيادات الكبرى فى حلف الناتو كان يحاضرنا فى أحد مراكز الدراسات الاستراتيجية الهامة فى لندن، وقال فى حديثه حول مستقبل الناتو وخططه القادمة: إننا فى شهر معين من كل عام تقوم سكرتارية الناتو بإعداد مذكرة رئيسية حول العدو المنتظر الذى يواجهه حلف الناتو والعوامل التى تشكل هذا الخطر وإعداد ملف للخطط اللازمة لمواجهته. فى هذا العام، واجهتنا صعوبة تحديد العدو الرئيسى لحلف الناتو بعد سقوط الكتلة الشرقية و اختفاء حلف وارسو. بحثنا عن العدو الجديد فوجدناه الإرهاب الدولى ووجدناه الإسلام المتطرف. وفى حديثه ـ للأسف ـ سقطت كلمة المتطرف وبقيت كلمة الإسلام» (عبد المجيد فريد، «مستقبل الإنسانية: عالم واحد وحضارات متعددة»، ورقة عمل مقدمة إلى الجنادرية ١٢). وبالطبع تناقلت وسائل الإعلام والصحف هذا الخطأ، الذى لا أظنه عفويًا. وأصبح الإسلام بعدها خطرًا يهدد الغرب ويهدد مصالحه. ومن ثم وجد من يتبنى فكرة الصدام بين الإسلام والغرب مبررًا قويًا لموقفهم.

إضافة إلى هذين الفريقين، هناك فريق ثالث يرى منطق المؤامرة قائمًا فى جميع تعاملات الغرب مع قضايا العرب والمسلمين. وهذا الفريق تغذيه من ناحية وجهة نظر من يتبنى صدام الحضارات، وتغذيه من ناحية ثالثة الحروب التى تدور فى بلدان إسلامية متعددة مثل أفغانستان والبوسنة والهرسك. ولقد كان سؤال الدكتور على المزروعى ماذا لو قتل الصرب يهودًا بوسنويين فى البوسنة؟ هل كانت الولايات المتحدة والمجتمع الدولى سيسكتان؟» (د. على المزروعى، «ندوة الأسس المعرفية والفلسفية للرؤيتين الإسلامية والليبرالية». ورقة عمل مقدمة إلى الجنادريه ١٢)، سندًا قويًا ومبررًا لموقف المؤامرة الذى لا نريد الدخول فى تفصيلاته لألا نخرج عن نطاق هذا المقال وسؤاله الهام: هل هناك صدام فعلاً أم أنه مجرد وهم؟



وهنا نتعرض لمحاضرة الأستاذ الدكتور مراد وهبة الذى يقطع بأن الصدام بين الفكر الإسلامى الذى أساسه الفلسفة الإسلامية، كأرقى مرحلة للنضج العقلى المنطق، والفكر الغربى - من ناحية أخرى - الذى يتمثل، أيضًا، فى مدارس الفلسفة الغربية وأعلامها، هو مجرد «وهم» فبعد أن أعطى مراد وهبة تفسيرات ثلاث للتأويل فى الفكر الإسلامى، استبعد الاثنين الأولين وأبقى على الثالث. وهذا التفسير مأخوذ عن ابن الأثير حيث يعرفه بقوله: «نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلى إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ» أو بمعنى آخر: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر يحتمله اللفظ» (د. مراد وهبة، الأسس المعرفية الفلسفية بين الإسلام والغرب»، ورقة عمل مقدمة إلى الجنادريه ١٢). ويدرك مراد وهبة أهمية التأويل كأساس للمعرفة الفلسفية فى الفكر الإسلامى ويؤكد أنه تراوح بين القبول والرفض. ويتخذ ابن رشد من كلام بن الأثير أساسًا لفهم التأويل: «التأويل بمفهوم ابن رشد هو الذى انتقل إلى أوروبا كأساس للمعرفة الفلسفية. ولم يكن هذا التأسيس بالأمر الميسور. فقد واجه مقاومة من السلطة الكنسية» (المرجع السابق). وهذه النتيجة الأولية تستحق منا التوقف لنرى ما كانت عليه حال المفكر المسلم سابقًا وما نحن عليه اليوم. لقد كان فكر ابن رشد خطرًا على الكنيسة الفرنسية و انبرى له عدد من القساوسة يردون على آرائه، يفندونها لأنهم عشقوا ظلمة الفكر وغطوا كل محاولة لتنويره. وهاهو ابن رشد قد فعلها فلا بد أن يُذبح فكره وأن يقاوم بجميع الوسائل. «ظهرت الأرسطالية الرشدية وقامت فى كلية الآداب الباريسية بين أولئك الذين يعتبرون تأويل ابن رشد لمذهب أرسطو أصدق صورة وأكمل لمظهر العقل. وأكبر اسم فيهم سيجيردى براابان الذى يقول عن ابن رشد إن فلسفته تمثل حكم العقل الطبيعى» (السابق). حُورب سيجيردى براابان وطُرد من منصبه كعميد عام ١٢٧٠م. ولم تقف مواجهة ابن رشد عند هذا الحد. «وفى مواجهة هذه الرشدية اللاتينية أصدر ألبرت الأكبر رسالة فى «وحدة العقل» يورد فيها ثلاثين دليلاً على رأى ابن رشد ويرد عليها واحدًا بعد آخر ثم يورد ستة وثلاثين دليلاً ضد الرأى. ثم أصدر توما الأكوينى رسالة «فى وحدة العقل ردًا على الرشديين». ودخل فى



صراع مع الرشديين وكانوا قد تكاثروا فى كلية الآداب بباريس. بيد أن جميع الباباوات قد أيدوا تعاليم توما الأكوينى. وفى أول مارس ١٣١٨م أعلن البابا يوحنا الثانى والعشرين أن مذهب الأكوينى معجزة من المعجزات. وفى ١٨ يوليو ١٣٢٣م أعلنه قديسًا» (السابق). لذا كانت مساهمة ابن رشد فى الفكر الغربى أنه ضرب الدوجماتية فى الصميم ففُتحت الأبواب بعدها مشرعة أمام مختلف المدارس لتعطى العقل فرصته لينير للإنسان الغربى طريقة الذى انتهى إلى حضارة الصواريخ عابرة القارات، والرسائل التى تنقلها الأقمار الصناعية عبر عشرات الآلاف من الكيلومترات مُلونة وبخط أصحابها. تلك الحضارة التى تبهرنا ونقف أمامها مشدوهين كان لنا - يومًا مضى - اليد الطولى والمساهمة الأكبر فى تكوينها ورقيها ووصولها إلى ما هى عليه. لذا فإن مراد وهبة يخلص إلى القول أن «الفصل بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى وهمٌ، وأن ثمة حضارتين حضارة إسلامية وحضارة غربية وهمٌ كذلك بل ثمة حضارة إنسانية واحدة تخصبها ثقافات متباينة على قدر مالدى كل منها من عقلانية لا تقع فى براثن الدوجماطيقية فتسهم فى مسار الحضارة الإنسانية نحو التقدم والسلام» (السابق).

لقد تفرد مراد وهبة بين جمهور المحاضرين فى الجنادرية ١٢ إذ قدم جديدًا وقدم شيئًا مختلفًا عما قدم الآخرون. وقليل من نحى منحى مراد وهبة ومنهم الدكتور على المزروعى الذى أعلن فى ثبات شديد أن المسلم لا يحدد «جدول أعمال» لحياته أو لفكره. هو يترك الغرب يفعل ذلك له. وبعدها نتحول للقيام بردود الأفعال. فنصبح مفعولاً به بدل أن نكون فاعلاً. كان ابن رشد فاعلاً فى الغرب، أما اليوم فنحن مفعول به من قبل الغرب. هذا انقلاب خطير نبه إليه المزروعى واستحق أن يذكر له بكل عرفان وتقدير، رغم معرفة الكثير منا بأحوال وأسباب ذلك الانقلاب.

وكان مدخل الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدخيل فى «ندوة الإستراتيجيات الاقتصادية الغربية وعلاقتها بالرؤيتين الإسلامية والليبرالية» مدخلاً جديدًا ومناوئًا لكل ثابت وجامد وتقليدى. كانت كلمات ذلك الرجل الاقتصادى البارز تربط بين الفكر والاقتصاد «وأنه لكى يكون لنا نمط فكرى مستقل ومتميز لابد أن يكون



اقتصـادنا له نفس الصفة. لم يحايد ولم يهـادن. قال كلمته بكل مـا تمليه الأمانة العلمية ولم يخش ريحًا عاصفة ممن يعيشون فى قماقم الوهم المعرفى الضيق.

بين كل هذه المساجلات كان على المتـرجم الفورى أن ينقل كل ما يسمعه بالعربية إلى الإنجليزية والعكس. وكان عليـه أن يعطى فى اللغة ـ المترجم إليها ـ انطباعًا حقيقيًا ومطابقًا للغـة المترجم منها. وتلك إحدى التحديات التى واجهناها جميعًا مترجمين فوريين. ولقد كان تحديًا خاصًا لى عندما قمت بترجمة محاضرة عَلَمنا مراد وهبـة. ولنتوقف أمام الفـقرة التاليـة من محاضـرته: «إن البحث عن الأسـاس المعرفى لأية قضية يستلزم تحليل العقل. وتحليل العقل ليس ممكنًا إلا وهو فى حالة فعل. والفعل يستلزم فاعلاً ومـفعولاً به، وبالتالى فإن الفعل ينطوى على إحداث تغيير. ومعنى ذلك أن العقل، وهو فى حالة فعل، يستلزم طرفًا آخر يُحدث فيه تغييراً. وهذا الطرف الآخر هو الكون. ومعنى ذلك أن العقل موجود ـ فى الكون. ومع ذلك فـإن العـقل قـادر على أن يعى الكـون، ولكنَ الكون ليس قادراً على أن يعى ذاته. إذاً قدرة العقل على الوعى بذاته هى، فى الوقت نفسه، قدرتـه على الوعى بالكون. ووعى العقل بـالكون يعنى فيـما يعنى انه قـادر على معـرفة الكون». بيـد أن هذه القدرة كـانت موضع تساؤل منذ أن بـدأ الإنسان فى التفلسف» (مـراد وهبة، «الأسس المعـرفية الفلسـفية بين الإسلام والغـرب» ورقة عمل مقدمة إلى الجنادرية ١٢).

إن هذه مقدمة فلسفية بحتة فى كـتاب، تلقى على أسماع عارفين بالفلسفة. لكن حينمـا يطلب ترجمـتها فـوريًا تطرأ عدة أسئلة يجب التـوقف عندها وتأمل إجابتها، إن أمكن الوصول إلى أى، منها: هل يستطيع المترجم الفورى أن يغوص إلى أعماق المـصطلح الفلسفى العربى أولاً حتى يفهم مـا يسمع؟ هل يستطيع أن يغوص فى أعـماق المـصطلح الفلسفى الغـربى حتى يتـخير لمـا يسمع المـفردة الصحيحة دون زيادة أو نقصان؟ ثم، هل إذا نجح فى هاتين، هل ينجح فى إيجاد رابط مشترك بين جميع الجمل التى أمـامنا فتقدم فى الإنجليزية ـ فى حالتنا هذه ـ كما هى فى العربية وحدة عضوية متماسكة؟ إلى أى مدى تستطيع الترجمة الفورية أن تنقل البـلاغة العربيـة إلى بلاغة إنجلـيزية على نفس القـدر مما هى عـليه فى



الأصل؟ تلك الأسئلة وغيرها تمثل جوهر مشكلات الترجمة عمومًا، لكنها تكون على أكبر قدر من الأهمية عند الحديث عن الترجمة الفورية. واكتفى هنا بالإجابة عن السؤالين الأولين فقط لأهميتهما. إن الكلمات الإنجليزية التى تمثل مفاتيح النص عند الترجمة من العربية تنحصر فى:

mind, knowledge, action, active, involves, globe / world, grasp.

وهذه الكلمات قد تستخدم فى صياغة النص الإنجليزى، بشكل أو بآخر، ألا أن بلاغة النص العربى الأصل قد لا تتوفر فى النص الإنجليزى المترجم. ولنرى:

Looking for the basis of knowledge of any cause makes it necessary to analyze the mind (thought). Analyzing the mind is impossible unless it is active. Action makes it necessary to have a doer (subject) and an object. Consequently, action involves making a change.

وأظن هذه ترجمة مقبولة إلى حد ما، ويستطيع سامعها الإنجليزى أن يستوعبها مع خلفية فلسفية بسيطة ومعرفة أعمق بابن رشد. لكن، هل بلاغة النص العربى تظهر فى *bases of knowledge*، أو فى *basics of knowledge* أظن الإجابة لا. وإذا أردنا تحرى دقة الترجمة فمعادل النص يكون:

Knowing basics أو *knowledge bases* أو *knowledge basics*

وتظل هذه المفردات تراود وظيفتها البسيطة، أنها تنقل لغة إلى أخرى، لكن بلاغة النص العربى تظل غائبة. وكلمة يستلزم التى قد تترجم إلى: *makes it necessary* أو *necessitates* قد تعادل المفردة العربية، لكن ماذا عن «الفاعل» و«المفعول»؟ هل هما *the object, the doer/the subject*؟ لا أظن ذلك صحيحًا. لذا، تظل مشكلة نقل الصور البلاغية إلى العربية قائمة إلا أن مشكلة الاتصال عبر الترجمة أمكن حلها.

ليس كل من تكلم العربية عرف المصطلح الفلسفى وبقية المصطلحات المتخصصة فى مختلف المجالات. لذا وجب أن يكون مترجم نص، مماثل لنص وهبة، على معرفة بالفلسفة والمنطق حتى يفهم ما يسمع أولاً ثم ينقله إلى



الإنجليـزية ـ أو أى لغة أخرى. ولقـد عجـبت من رأى أن أقل معـرفة للمـترجم بالعربيـة ستؤهله للقيام بـترجمة محـاضرة فى الفلسفة الإسـلامية، معـتمداً على المعرفـة التامة لذلك المتـرجم باللغة الإنجليزية. وكـانت الكارثة عند إلقاء تلك المحاضرة وتقديم ترجمتها فوريًا. ومن رأى ليس كمن سمع.

وقد انقضت أيام الجنادرية وودعناها هذا العام، فـإننا نقول إلى لقاء، العام القادم إنشاء الله. أمـلين أن يكون فى محاور العام القادم بعض مـن القضايا التى تنبع من الأرض العربية الإسـلامية لا من قضايا الغرب وهمومـه. نريد ـ كما قال المزروعى ـ أن نضع جـدول أعمالنا للمـستقـبل الثقافى والفكرى. نحن سـعداء بالعدد الهـائل من مثقفـينا العرب وأساتذة جـامعاتنا المنتشـرين فى أرجاء الوطن العربى الإسلامى، لـكننا لا نرضى لهذا الجمع الهائل أن يكون ببـغاويًا فى تناوله لقضايا العصر. نريد أن نواجه قـضايا الغرب بقضايا من عندنا، وأن نجعله يتكيف مع طرحنا، وأن يُدخل ـ هو ـ البـدائل على طروحاته حتى نـقبلها حـسبمـا يتفق وصيغة البيئة الفكرية لدينا. كفانا تحليلاً ودراسة لما تمليه علينا أجندة الغرب فكراً وثقافة. وان كـان المطلب طموحًا متـفائلاً إلا أنه ممكن التحقـيق. ولنبدأ طريق الألف ميل بخطوة.

ولتكن طروحات الجنادرية ١٣ هى تلك الخطوة.

وهنا اقترح موضوع «الآداب الغـربية ودورها فى تشكيل فكر شعوب العالم الثالث» كـمحور أسـاس من محـاور النقاش والندوات للعـام القادم فى مهـرجان الجنادرية ١٣. ولست أدعى الفـضل فى هذا المـوضوع فـأنا أساند ـ بطرحـه ـ مفكراً عـربيًا له قبـول عالمى فى الغرب وفى أمـريكا ألا وهو البروفيـسور إدوارد سعيد. لقد كان للأدب والفنون الغـربية دورها الذى لا ينكر فى قهر الشعوب التى احتلتهـا أوروبا فكريًا وثقافيًا قبل أن تحتلـها عسكريًا. ولست أظن ذلك الأسلوب قد توقف ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين. لذا لابد أن يكون صاحب هذا الطرح، إدوارد سعيد، حاضراً إذا ما طرح هذا الموضوع ضمن فعاليات العام القادم. لكن الأمر يحـتاج إلى كثير من التـحضير نبدأ فـيه الآن إن شئنا تبنى هذه القضية. وبذا نكون قد نجحنا فى أول خطوة لتحويل الغرب من فاعل إلى مفعول به.



كتب الأصول، نترجمها أم نعرب جمهورها ؟

سعدت كثيراً بالدعوة إلى المشاركة بالرأى فى هذه القضية الهامة التى لها ما لها من تأثير مباشر على فهم الإسلام من قبل غير الناطقين باللغة العربية. هم مسلمون وذلك فضل من الله لكننا نسعى إلى توسيع رقعة فهمهم لأمور دينهم ودنياهم. ومن ثم يُطرح سؤال هذه القضية تلقائيًا: هل نترجم كتب الأصول أم نعرب هؤلاء المسلمين؟

وإذا أجبنا بأن نترجم كتب الأصول فهى مقبولة، وقد حققت الترجمة نجاحًا كبيراً. فقد ترجم فضيلة الدكتور محمد محسن خان «صحيح البخارى» ترجمة راقية رفيعة اللغة ـ إلى الإنجليزية ونشرت تلك الترجمة عام ١٤٢٠ هـ/ ١٩٨٠م (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة). وهو يتبع مذهب فضيلة الشيخ يوسف على فى ترجمته الرائعة للقرآن. حيث يورد كل منهما النص العربى على يمين الصفحة ثم يورد الترجمة على يسار الصفحة. إلا أن ترجمة الدكتور محمد محسن خان تخلو من الهوامش تمامًا، بعكس ترجمة يوسف على للقرآن التى تكتظ صفحاتها بالهوامش والشروح والمقدمات التفسيرية الطويلة التى تجعل من تلك الترجمة مرجعًا غنيًا بكافة علوم وقضايا الفقه الإسلامى عامة.

فإن تغييب الهوامش فى ترجمة الدكتور محمد محسن خان لا يعنى أن النص الإنجليزى المقدم إلى القارئ المسلم ليس كاملا. وإذا كان النص فى أصله العربى يحتاج إلى شروحات وتفسيرات فى جميع صفحات الكتاب، فما بالنا بالقارئ غير العربى. وتلك أول ملاحظة يمكن أن نتلمسها عند تعرضنا لترجمة «صحيح البخارى» الذى يعتبر مرجعًا لا غنى عنه لدراسة السنة النبوية الشريفة. وثمة العديد من الملاحظات على النص الإنجليزى مرجعها وسببها الأول أن المترجم ليس عربيًا ومن ثم لم يتمكن من الفهم الصحيح للمعانى والألفاظ العربية. لكن المجال لايسمح للتعرض لها هنا، وقد نفرد لها دراسة مفصلة فى مكان آخر إنشاء الله.

وإذا كانت ترجمة «صحيح البخارى» إلى اللغة الإنجليزية موفقة وسديدة إلى حدٍ كبير، فإن السؤال الذى يطرح نفسه هنا: هل يعرف جميع المسلمين غير



العرب الإنجليـزية؟ يصبح سؤالاً يستـحق الطرح، والإجابة هنا، بالطبع لا. ذلك أن المسلمـين من بين ناطقى الإنجليزية يصنفون أقليـة، أما الأغلبية الكبـرى فهى للناطقين بلغات الشـعوب الإسلامية مثل الأوردية، واللغـات الهندية. إضافة إلى الفارسية والتركية، إلى جانب اللغات الأفريقية مثل الهاوسا.

لذا فان هـذا الجهد فى تـرجمة «البـخارى» لابد أن تكمله خـطوات أخرى لترجمة هذا المرجع القيم إلى بقية لغات الشعوب الإسلامية وأن تكون للترجمات أولويات تتناسب وعدد الشعـوب التى تُزْمَعُ الترجمة إلى لغـاتها. ونؤكد أن تكون الترجمة عن الأصل العربى هى النص الوحيد المعتمد.

ولابد أن أفرادًا أو منظمات قـاموا بترجمة أجزاء من «صحـيح البخارى» أو «صحيح مسلم» ولكن دراسة لتلك الترجمات مطلوبة وضرورية حتى لا يكون لها تأثير سيئ فى فهم خاطئ لدى المتكلمين باللغات المترجم إليها.

وترجمة القرآن الكريم و الصحيـحين مرحلة أولى فى نقل الإسلام إلى غير الناطقين بالعربية. أمـا المرحلة الثانية فهى نقل كتب علماء المسلـمين و فقهائهم إلى لغات تلك الشعـوب. وهذا يحتاج إلى بعض التوقف والنظر. ولنأخـذ مثلاً، محاولة ترجمـة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية. وفى تصـورى أن تتم الترجمة على النحو التالى:

١ ـ بعد اختيار الكتاب المراد ترجمته، يتم اختيار أفضل الطبعات من حيث التدقيق والشروح والإخراج.

٢ ـ يكلف مترجم من الناطقين باللغة العربية القيام بالترجمة مع التأكيد على إجادته التامة للغة المراد الترجمة إليها ولتكن الأوردية مثلاً.

٣ ـ يتم اختـيار واحد من أهل اللغـة الأوردية ـ فى هذه الحالة ـ له باع فى الفقه و الأمور الـشرعية يرتاح إلى علمه شيـوخنا. ثم يُقرأ عليه النص المنقول إلى الأوردية من قبل المترجم العربى.

٤ ـ ستطرأ تعديلات كـثيرة على نص الـمتـرجم العـربى، يتم إدخالهـا واعتمادها بما لا يؤثر سلبًا على النص الأصلى فى العربية.



٥ ـ بعد ذلك يتم طبع النص باللغة الأوردية وسيكون قبـوله ـ بمشيئة الله ـ مضمونًا ومطلوبًا من أهل تلك اللغة.

ولقد جرب هذا المنهج فى ترجمة كتب الأدب العربى المعاصر. وقد لاقى نجاحًا كبيراً فـى أوربا وأمريكا. والكتب المتـرجمة بهـذا الأسلوب تطبع بأعداد وفيرة وكأنها كتبت أصلاً باللغـة الإنجليزية. أما الأسلوب التقليدى الذى يقوم فيه المتـرجم العربى المتـمكن من الإنجليزية بالترجـمة على عاتقـه ثم النشر ـ دون المرور بمرحلة التحرير من قبل واحـد من أهل اللغة ـ فإن تلك الترجمات لاتلقى قبولاً يذكـر لدى المتلقى الغربى أو الأمريكى. وعلى العكس فإنهـا تعطى انطباعًا سيئًا عن الأدب العربى وقضاياه وقضايا مجتمعه.

ألا أن الترجـمة إلى لغة هؤلاء المـسلمين سينتج عنهـا بشكل غير مبـاشر انفصال عن لغة الإسلام ألا وهى اللغة العربية. فالعربية هى لغة الإسلام الأولى، وهى لغة السنة، وهى لغة كتب الأصول جمـعاء. ومن الملاحظ أن كثيراً من أئمة المسلمين وعلمـائهم الثقات الأوائل لم يكونوا عربًا. ولكن الفتوحـات الإسلامية أثرت فيهم وتعلمـوا لغة الفاتح المسلم وكـتبوا بها. والبخـارى مثال واضح على ذلك. كما أن جمهرة من علماء المسلمين فى الطب والهندسة وغيرهما لم يكونوا من أصل عربى إلا أن كـتبهم وأفكارهم أتت عـربية خالصـة. ومن ثم يصبح من الواجب تعليم المسلمين، من غير الناطقين بالعربية لغتنا قدر المستطاع. ولكن أى لغة نعلمهم؟ وأى لغة نريدهم أن يتكلموا ؟ وهنا لنا وقفة:

١ ـ أن يكون الهـدف الأساسى هو تعليم هؤلاء المـسلمين اللـغة العربـية الفصحى، أو كما قال لى أحد طلابى الأمـريكيين، لغة تفهم فى مصر والشام كمـا تفهم فى المغرب والحجـاز. لذا تستبعد تمامًا اللهجات المحلية وتعتمـد الفصحى الميسرة. ولدينا معاهد لتـعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها فى الأزهر الشريف وجامعة الملك سعود وكذا جامعة الإمام محمد بن سعود الإسـلامية ولديهم إمكانات مادية وبشرية هائلة للقيام بمهمـة كتلك. فالمناهج الدراسية المستخدمـة متكاملة ومتدرجة ويمكن استخـدامها كما هى، أو تبـسيطها، لتعليم اللغـة العربية على مستوى شعبى واسع.



٢ ـ يأتى تعليم الدين فى مرحلة لاحقة على تعليم اللغة. فينبغى ألا يُصدم المتعلم المبتدئ بآيات من القرآن يصعب فهمها فى العربية ويكون تعليم القرآن فى المرحلة المتقدمة أو ما بعدها.

٣ ـ وإذا وضعنا ثمان مستويات لتعليم اللغة العربية، فعليه يكون تعليم أجزاء من القرآن والسنّة فى المستويين السابع والثامن. لأن المتعلم سيكون قادراً ـ لغويًا ـ على تقبل تلك النصوص العربية وفهمها بل وترجمتها أيضًا

٤ ـ لا ينبغى أن يكون مدرس اللغة العربية فى تلك البرامج عالمًا فى الشريعة والفقه. فذلك مجال آخر غير تعليم اللغة العربية. وبالطبع يجب اختيار المدرسين المثاليين من حَسنى السُمعة والذين تكون حياتهم العامة والخاصة مثلاً يحتذى.

٥ ـ يُعتمد منهج موحد بين المجامع الإسلامية فى البلاد العربية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من المسلمين فى كافة أنحاء العالم. وأظن ذلك الأمر متيسر الآن أكثر من أى وقت مضى. وإذا كانت اللغة الإنجليزية قد انتشرت على مستوى العالم حتى أصبحت اللغة العالمية الأولى، فإن ذلك يرجع إلى اعتماد برامج موحدة من حيث المحتوى فقط، ثم اختبارات موحدة من حيث الشكل والمحتوى أيضًا ومثال ذلك اختبارات «التوفل» TOFEL و«جى.آر.إيه» GRE «وسات» SAT. وعليه فإن تبنى المنهج الذى طرحناه هنا سيساعد فى انتشار اللغة العربية (الموحدة) ـ تدريجيًا ـ بين ثلاثة أرباع المسلمين الذين لا يتكلمون العربية.

٦ ـ من النتائج المتوقعة على المدى البعيد لتعليم اللغة العربية، بهذا الشكل، أن تتحول لغة تلك الشعوب تدريجيًا إلى اللغة العربية ومن ثم تصبح لغتها الرسمية. وهذا أعظم انتصار يمكن أن تحققه المجامع الإسلامية خدمة للإسلام والمسلمين.



٧ ـ ويذكر التاريخ أن مصر القبطية تحولت عقيدتها ولغتها. فقبل الفتح الإسلامى لمصر سنة ٦٤٤م كانت اليونانية والقبطية هما اللغتين المعتمدتين؛ اليونانية لغة العلوم والمعارف، والقبطية لغة الأديرة والكنائس وعامة الشعب المصرى. ومع نهاية القرن الثامن الميلادى كانت لغة العامة وكذلك العلوم والمعارف هى اللغة العربية. أما القبطية فانزوت فى أضيق الأماكن فى الكنائس والأديرة وأصبحت المواعظ تُعطى باللغة العربية، والتراتيل تقرأ بالقبطية. وتلك معجزة فى حد ذاتها. فقد حكم اليونان والرومان مصر ما يزيد على ألف سنة ولكنهم لم ينفذوا إلى صميم المصرى (القبطى) فلم يغيروا لسانه أو لفظه. أما الإسلام فأتى بمعجزة فريدة لم تتكرر فى تاريخ اللغات الحية. وبعد ذلك أصبحت مصر، بتوفيق الله، عربية فى كل شىء لسانًا وقوامًا وهذا لا يحتاج منا إلى شرح أو تدليل.

إن هذا يثبت أن للعربية سحراً وحلاوة نفذت بهما إلى أعماق المصرى القبطى فحولته مسلمًا عربيًا، ومن بقى نصرانيًا فقد أصبح لسانه عربيًا صرفًا. ولم تصل اللغة الفرنسية إلى ما وصلت إليه اللغة العربية فى هذا المجال. فحينما احتل النورماندويون (الفرنسيون) ما يعرف الآن بإنجلترا سنة ١٠٦٦م بقوا فيها مئتى عام ولم يفلحوا فى تغيير اللسان الكلتى (الإنجليزى القديم) إلى اللغة الفرنسية البحتة. ولكن التأثير اقتصر على ما يقارب ستين بالمئة كلها مصطلحات استخدمها الإنجليز تشبهًا بالغازى الفرنسى. وهى تشمل: الزى والأكل والقانون والرتب العسكرية والموسيقى. أما القواعد الإنجليزية فبقيت كما هى لدى الشعب الكلتى واُستُوعبت الكثير من الأسماء والأفعال وحروف الجر التى تدخل فى معظمها تحت مسمى «تأثير الغزو والاحتلال». لكن التغيير لم يكن شاملاً جامعًا كما فى حالة الفتح الإسلامى لمصر القبطية كما أوضحنا.

وفى رأيى أنه يمكن أن يسير نشر الدعوة من خلال كتب الأصول المترجمة بالطريقة التى أوضحناها فى ردنا هذا، جنبًا إلى جنب مع التوجه إلى تعليم اللغة العربية. شريطة أن يكون هناك استراتيجية موحدة لدى جميع البلدان الإسلامية فى



تعليم اللغة العربيـة. ويُرفض تمامًا أى مناهج آنية أو مرحلية لتعـليم اللغة العربية تحت أى ظرف من الظروف. ذلك أن بعثرة الجهد هـنا وهناك لن يفيد المسلمين شيئًا وسنكون مسئولين أمام الله سبحانه وتعالى عنه، وكذلك سنكون مسئولين عن ضياع المقدرات التى وهبنا إياها الله. إن القول باستحالة ترجمة بعض الكتب قول مردود عليه بالبطلان. فالمترجم المتمرس يستطيع أن ينقل إلى اللغة الهدف كل ما يريد. والتمرس فى التـرجمة هنا لايعنى معرفـة اللغة المراد الترجمة إليـها (اللغة الهدف) فقط لكنه يعنى مـعرفة الثقافة ومـعرفة العادات والتقاليد لـلشعوب المراد الترجمة إلى لغتها. فإذا اتفق على أن أحد تعريفات الترجمة أنها «نص قبلى» [د. بشير العـيسوى، الترجمـة إلى العربية: قضايا وآراء (القـاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٦)، ط١، ص٩] فإن هذا النص ينبـغى وضعه فى مكانه المناسب من ثقـافة ومعرفـة الشعوب المراد مخاطبـتها. والمنهج الذى طرحناه للترجـمة هنا سيكون عامـلاً من عوامل النجـاح فى هذا التوجه. ولا يشـترط أن يكون ذلك المـترجم خريج إحدى كليات الشريعة أو أقسام الفقه ليقوم بهذا العمل. ولكن يجب اختيار المتـرجمين ممن يُشـهد لهم بحسن الخلق وتقـوى الله. ويمكن أن يعين مع كل فريق ترجمه مستشار من علمائنا الإجـلاء يرجع إليه لتوضيح ما يصعب فهمه على هؤلاء المترجمين.

وثمة أمـور ينبغى الـتحدث فـيهـا بصراحـة تامة عند الشـروع فى اختـيار المترجمين أو تكليفهم للعمل فى ترجمة تلك الكتب أو أى عمل آخر:

١ ـ ساحة التـرجمة مليئة بذوى الـخبرة الذين اصطلحنا على تسمـيتهم هنا «المترجمين المتمرسين»، ولكن يقف إلى جوارهم مترجمون أدعياء لا يربطهم بالترجمـة إلا المكاسب المادية التى تعود عليهم جراء قـيامهم بالترجمة بين وقت وآخر. لذا ينبغى تحـرى الدقة ووضع معايير صارمة قبل اختيار هؤلاء المترجمين حتى لا يختلط الحابل بالنابل.

٢ ـ وقد اختيـر المترجمون المتمرسـون الأكفاء للقيام بمهمة التـرجمة فلا ينبغى أن نبخل عليـهم بالمكافأة المالية التى تتناسب وجهـد الترجمة.



وذلك جهـد لا يحدثك عنه إلا خـبير. لا نريد أن يـكون العزوف عن الترجمة هو رد الفعل ـ المتوقع ـ من مترجمين متمرسين إذا ما بُخسوا أجرهم. فهـذا مما يفتح الباب على مـصراعيه للأدعيـاء الذين أفسدوا عمل الترجمـة بعد أن كانت فنًا إبداعيًا راقيًـا لا يقل شأنًا عن التأليف ووضع الأصول. وإذا كان الشيخ يوسف على ـ مترجم القرآن الكريم ـ قد تسول على أرصفة لندن فى أخريات حياته، وحينما مات لم يتعرف أحد على جـثته و لولا تدخل السـفارة الباكـستانيـة كاد أن يدفن فى مقـابر غيـر المسلمـين، فإننا لا نريد أن يتكـرر نفس المصـير مع أى مترجم آخر.

٣ ـ يجد كثير من المترجمـين أن عدم ظهور أسمائهم على ترجماتهم هضم لحقـوقهم. لذا يجب أن تظهـر أسمـاؤهم ـ وان كثـروا ـ على غلاف العمل المترجم إضـافة إلى اسم المؤسسة أو الهيئة التى تتـبنى الترجمة والإنفاق عليها.

٤ ـ لا توجد جدوى اقـتصادية أو أدبيه فى تعيـين مترجمين دائمـين للقيام بهذه الأعمال. وإنما يتم التعامل مع جميع المترجمين فى أنحاء العالم الإسلامى على أساس العقد المؤقت. وذلـك مما يحمى روح المنافسة ويعطى حرية اختيار الأفضل للمؤسسـات والهيئات التى تضطلع بمهمة الترجمة.

٥ ـ فى ضوء ثورة الاتصـالات التى يشهدها العالم ـ ونحن جـزء منه ـ فإن توفيـر قاعدة بيانات مـتجددة عن متـرجمى العالم العربى يصـبح أمرًا ضروريًا لمركز «البحوث والدراسات الإسلامية» حيث إن الاعتماد على شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص سوف يقلل من إمكانية العمل على مستوى يشمل الدول الإسلامية كلها. فبلادنا تلد فى كل يوم نابغة فى مجال ما، ومن ثم لا يجب التوقف عند جماعة معينة أو فرد معين مهملين الخبرات الجديدة التى تدخل ميدان الترجمة بأنواعها.



٦ ـ رغم وجود العديد من كليات اللغات و الترجمة فى سائر الأقطار العربية فإن الأسماء اللامعة لا ينبغى أن تكون أساسًا فى الاختيار.
وعلى مركز «البحوث» أن يضع معاييراً أخرى لا تكترث بالشهرة والأسماء لاختيار عناصره من المترجمين.

وقد تكون الكلمة المسموعة والمرئية اكثر تأثيرا وأقوى نفوذًا إلى النفس الإنسانية. لذا وجب أن تتضافر جهود المسلمين لإنشاء قناة فضائية إسلامية موحدة تجمع كافة الدول الإسلامية. ويمكن من خلالها تقديم برامج مسلسلة تشمل بعضًا من كتب الأصول التى ترجمت بالطريقة التى أسلفنا. ويمكن أن تقدم فى أشكال تمثيلية يُختار عناصرها بعناية حتى لا تخل برسالة تقديم تلك الأصول.

إن عدد المسلمين الحالى ضخم بحمد الله وفضله. لذا فنحن لسنا بحاجة إلى مزيد من المسلمين الجدد. وعليه فإن مهمة تلك القناة الإسلامية لن تكون اسلمة غير المسلمين. ولن تكون مهمتها مزيداً من الوعظ الإرشاد للناطقين بالعربية. ستكون مهمتها مخاطبة المسلمين من غير الناطقين بالعربية. ومتكلمو لغات الشعوب الإسلامية، غير العربية، كثيرون والحمد لله وهذه فرصة عظيمة حتى يؤدوا خدمة جليلة فى النشر الصحيح للدعوة.

اقتضى البحث فى جماليات القصيدة المترجمة إلى اللغة العربية العودة إلى تاريخ ترجمة أول قصيدة من اللغات الأوربية الحديثة إلى العربية. فلقد تعدد المترجمون واختلفت مشاربهم، فمنهم الصحفى ومنهم الشاعر المجبول، ومنهم الكاتب المحترف ومنهم من أُولعَ بالكتابة فقط دون أن يكون فنانًا أو أديبًا. لذا كانت جماليات القصيدة المترجمة تتشكل فى يدى كل واحد من هؤلاء حسب رؤيته الخاصة وحسب مزاجه الفنى وحسب خلفيته الأدبية ومدركاته الحسية وانفعالاته مع القصيدة فى الأصل سلبًا أو إيجابًا.

ونحن حين نبحث عن جماليات القصيدة المترجمة إلى العربية إنما نحاول البحث فى الأشكال الجمالية لهذا الجنس الأدبى من الإبداع الخاص. فالقصيدة المترجمة لا هى إبداع «محض» ولا هى ترجمة «محضة». فهناك المترجم وهو البوتقة التى ينصهر فيها النص الأجنبى وبعدها ينتج نص عربى. وإن نجح هذا النص العربى فى تحريك مشاعرنا فقد نجحت القصيدة الأصل أيضًا. إن فشل هذا النص فى تحقيق شاعرية الأصل فقد أخفقت القصيدة الأصل أيضًا. وعليه فإن توجهنا فى دراسة جماليات القصيدة المترجمة إلى العربية يتبنى النظرية الجمالية الحديثة التى تبحث فى سيمولوجية النص العربى. والسيمولوجية التى تقودنا حتمًا إلى المعانى والأساليب المستخدمة فى النص المترجم. ويعرف هارتمان وستورك الترجمة على أنها «بديل لتقديم نص ما فى لغة ما وذلك فى نص معادل بلغة ثانية»[1] ويستمر المؤلفان فى توضيح ما يقصدانه فيقولان" إن النصوص فى لغات مختلفة قد تكون متعادلة بدرجات متفاوتة (قد لا تكون متعادلة بالكامل أو جزئيًا) واضعين فى الاعتبار مستويات التقديم (التى لا تكون معادلة من حيث السياق والدلالة والقواعد والمفردة... إلى أخره) وفى درجات مختلفة (مثل أن تكون

(1) Roger T. Bell, ***Translation and Translating :Theory and Practice*** (Longman,1991), p.6.

وقد ترجم الزميل الدكتور محى الدين الحميدى هذا الكتاب إلى العربية ونشر ضمن سلسلة «كتاب الرياض» التى تصدرها مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، المملكة العربية السعودية.



كلمة مقابل كلمة، عبارة مقـابل عبارة، جملة مقابل جملة)»[1]. وعلى أية حال فإن وجود معـادل كامل للنص فى اللغة المنقول إليهـا أمر مستحيل أو كـما يقول روجر بيل "كيميرا" Chimera/ أو حلمُ لا سبيل إلى تحقيقه. «فاللغات تختلف عن بعضهـا؛ تختلف من حيث الشكل وذلك بامتلاكـها قوانين وقواعد تنظم تركيـبها وقواعدها وهذه الأشكال لها معان مختلفة»[2]. ولذا فإن النقل من لغة إلى أخرى يعنى تعريفًـا الانتقال من شكل لغوى إلى أخـر، وعليه فإن المطابقة بين الـمعانى المنقولة والمعانى فى الأصل قد لا تحـقق أى نجاح يذكر، ويضيف بيل فى جرأة المجرب «أنه لا يوجد ترادف كامل بين كلمات اللغة الواحدة، وعليه لماذا نشعر بالدهشة عندما نكتشف أن الترادف بين لغتين غير قائم؟»[3] ومن خلال استعراضنا بعض القصائد المترجمة إلى العربية نجد أن معانىٍ فى النص الإنجليزى قد غابت أو فقدت فى النص العـربى، كما أن معانىٍ أخـرى فى النص الإنجليزى زادت أو اكتـسبت فى النص العـربى. وهذا بفعل التـرجمـة والمترجم. ولـن نخوض فى تفاصيل الترجمة الأمينة والترجمة الخائنة أو نتحدث عن أمانة المترجم أو خيانته. إلا أننا نعلق بالقـول أن الترجمـة الأمينة سـوف يعلوها كثيـر من القبح، كـما أن التـرجـمة الخائنة سيـعلوها كثيـر من الجمال ولكن على حـساب النص. ويحكم روجر بيل فى هذه القـضية بقـوله «إذن للمتـرجم الخيار فى أن يركـز على إيجاد معادلات شكلية تحفظ المعانى الدلالـية للسياق فى النص حرًا وذلك على حساب القيمة التواصليـة لحسية السياق، أو أن للمترجم الخيـار الآخر بان يجد معادلات وظيفية تحفظ للنص قيمته الحسية والتواصلية على حساب أن يترك النص حرًا من حيث الدلالة»[4]. ويفرد بيل الفـصل الثالث من كتـابه القيم *Translation and Translating: Theory and Practice* ليناقش هذه القضية تحت ثلاث محاور:

١ ـ **نظرية المرجـعية التـقليدية reference theory**: وامتدادها إلـى العلاقة اللغوية عند فردنان دى سوسير(١٨٥٧-١٩١٣).

(١، ٢، ٣) *Ibid.*, p.6.

(٤) *Ibid.*,p.7.



٢ ـ **تحليل المحتوى** componental analysis: والذى يساعد فى قبول مدخلات لغوية تتكون من ظواهر دلالية أو معجمية بارزة (أو أجرومية بشكل واسع) والتى تكون ثنائية من حيث الشكل وتُصنفُ حسب حضورها أو غيابها فى اللغة.

٣ ـ **الشروط الأساسية للمعنى** meaning postulates: وهى تتعدى تحديدات المكونات الثنائية للمدخل المعجمى الواحد إلى آخر يسمح لنا أن نبدأ بنمذجة مجموعات المداخل حسب الصفات المشتركة بينها مثل - الكلمات التى لها مبنى واحد ومعانى مختلفة hyponomy والترادف synonymy والتضاد antoymy وهذا ما يقود إلى العلاقة بين الكلمات ومعانيها فى كل من الأشكال الدلالية وما وراء المعانى الدلالية إلى المفهوم.

وتطمح الدراسة إلى معرفة تأثير أساليب ترجمة القصيدة إلى العربية واضعة بعض الأسس النظرية التى نستخلصها من استعراض تاريخ القصيدة المترجمة إلى العربية. وتحاول الدراسة ثالثًا، تطبيق تلك الأطر على ترجمة الأستاذ الدكتور نذير العظمة لبعض من قصائد الشاعرة الناقدة الإنجليزية ديم إديث سيتويل Dame Edith Sitwell (١٨٨٧-١٩٦٤).

فى عام ١٨٢٧م للميلاد قام الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى (١٨١٠-١٨٦٤) إبان عمله (١٨٢٦) مع بعثة الجيش المصرى، إلى فرنسا، فى عهد محمد على بترجمة قصيدة لشاعر فرنسى مجهول. واعتبرت تلك القصيدة أول مثال مترجم من اللغة الفرنسية إلى العربية فى العصر الحديث[1]. وتقول ترجمة القصيدة:

زاد بى الحال إذا صفالى حالى وغنائى بالعود والألحان

باسم ربى والسادة الإيمان وترنمت شجوة بالحسان

وسعدى ذات الجبين المفدى

(١) د. حلمى بدير، الشعر المترجم وحركة التجديد فى الشعر الحديث (القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٩١)، ص ص ٣٠-٣١.



يصغى سمعها إلى إنشــــادى ورمى النار لحظها فـــؤادى

فلهذا شعرى غدا فى اتــــقاد وبدا من حماسه فى انـــفراد

لـــذى الهم والمـــعارف يـــهدى

أحرق العشق قلبها كاحتراقـــى فأنت تطفئ اللظى بالعنـــاق

فتضاممنا ضـــمة المشـــتاق وتلاثـــمنا عادة العشـــاق

فتثنت تتخجل الغصـــن مكــــراً

ضعف الســمع من رفيق التمانى واستــمع يا أخى صوت المثانى

يا خليل بالله هل ترانــــــى أننى قد أحييت شعر بن هانـى

بعد أن كان قد توســــــد لحداً

ويعلن الشيـخ الطهطاوى أنه بهذه الترجـمة قد أخـرج تلك القصـيدة «من ظلمـات الكفر إلى نور الإسـلام»[1]. ونلحظ أن المـترجم هنا لم ينس انه شـيخ واعظ و مرشد فأصـبغ على قصيدته هذه السمـة محاولاً أسلمة القصيدة الـفرنسية التى كادت تنزلق إلى شـعر النواسى حسب تـرجمة الطهطاوى ولم تتكرر ترجـمة القصائد إلى العربية حتى نهاية القرن التاسع عشر باستثناء تلك القصيدة إضافة إلى ترجمة الشيخ رفاعة الطهطاوى لنشيد الثـورة الفرنسية المارسيليز والباريزيان. وفى عام ١٩١٠ يفـرد أنطوان الجميل فى مـجلة «الزهور» بابًا تحت عنوان «فى جنائن الغرب» ليـضم خيـر ما ترجم عن شـعراء الغـرب من إنجليز وفـرنسييـن وألمان وإيطاليين ويونانيين وروس[2]. ومطران كممـثل لهذه الفترة من الترجـمة، يترجم القصيدة لفظًا ومعنى حيث لا يقول «ولا حـاجة بنا إلى القول أننا عربناها حرفيًا، وتخيرنا لها من الألفاظ العربية ما هو اقرب إلى تأدية معانيها كما صورها الناظم، لا كما يجب أن يراها قراؤنا على النسق الذى ألفوه»[3]. وقدم نموذجًا لذلك بان

(١) الشـيخ رفاعـة رافع الطهطاوى، «تلخـيص الإبريز فى زيارة باريز» (القـاهرة: مطبعـة بولاق، ١٨٤٩)، ص١٣٥.

(٢) السابق، ص ٣٣.

(٣) السابق، ص ٣٦.



ترجم «المســاء والمدينة» التى تمثل بداية المرحلة الرومانسية فى الشعر الحديث. ونقـتطف منها مـا يلـى: «كانت المـدينة مسـودة بالكبرياء، مـسيـجة باشـعـة الشمس». «وكـانت تزدرى مخاوف الظلمات التى تطارد الأنوار عن بـعد». وإنها لذلك إذا هجم عليها المساء فأشرعة بأيـديها الحمراء منائر أجراسها. وهزتها هذه الأسنة الرنانة[1]. يظهر بعـد ذلك اتجاه آخر فى ترجـمة القصـيدة نراه عند اثنين هما: مـحمد كامل حـجاج حينما ترجم قـصيدة «العزلة» للامـارتين والثانى هو محـمد إبراهيم هلال حينمـا ترجم «هاملت». فالأول يتـرجم للامارتين نثراً كـما يلى: «أمامـى النهر يزمجـر بأمواجـه الزاخرة المـزبدة، وينساب كـالأفعى وسط الرياض، وهناك البحيرات الساكنة كالمـرآة الصقيلة، . . .» والثانى يترجم المثل الشهير من هاملت:

To be or not to be? That is the question.

شعراً على النحو التالى:

أفناء أم يقظة بعد موت   أم كرى كله رؤى حسان

هذا الاتجـاه تمثل فى نقطتـين. الأولى عـين المتـرجم داخل النص الذى يترجمـه، الثانية نقل هذا النص إلى العربية بالطريـقة التى يراها، ناقلاً روح النص الأصلى دون حرفيته. فمحمد كـامل حجاج ينقل شعر لامارتين إلى العربية نثراً، أما محمـد إبراهيم هلال فينقل بيت هاملت الشهير شعـراً لكنه يضيف إليه الشطرة الأخيرة «أم كرى كله رؤى حسان» وهى لا توجد فى البيت الأصلى.

وحتى عـام ١٩١٠ لم تكن هناك خطة واضحـة لما يمكن ترجمـته أو خط عام يجمع بين القصـائد المترجمة إلى العربيـة. إنما هى تخضع لمزاج وذوق من يترجم[2]. ورغم ذلك نجـد سليم البسـتانى وهو يجـيد الإنجليـزية والفرنسـية والإيطالية يترجم سنة ١٩٠٤ ***الإلياذة*** لهوميـروس ويقدم لها بمقـدمة طويلة فى مئتى صفـحة. وكذا ترجم ***رباعيات الخيام*** وأشعاراً لبيرون وقـد عنى فيها بشرح

(١) السابق، نفس الصفحة.
(٢) السابق، ص ٤١.



الغريب من اللفظ فى الهوامش وأورد «ألف بيت مما قاله العرب فى مثل معانى الإلياذة أو حوادثها»[1]. وبذا كان توجه البستانى هو إخضاع النصوص الغربية للمزاج والذوق العربى. ولم يول المترجم كبير عناية لمرجعية النص الذى يستخدمه. فقد مثلت ترجمة وديع البستانى لرباعيات الخيام سنة ١٩١٢لتلك المشكلة خير تمثيل. فرغم وجود نص فيتزجيرالد المعتمد لدى جميع دارسى وناقدى الأدب الإنجليزى، حتى أنها عماد أساس فى قصائد ***البرناسوس*** ***Parnas-sus***، إلا أن البستانى لم يعتمد عليها إنما رجع إليها فقط، ومن ثم اعتمد على آخرين إنجليز وفرنسيين وأمريكان. ثم بعد ذلك هو يقارن ترجمته بالمعنى لدى الخيام رغم إعلانه صراحة أنه لا يعرف كلمة فارسية واحدة. يقول دكتور حلمى بدير: «ومجمل هذا يوحى بأن المترجم لم ينقل رباعيات الخيام ترجمة عن رباعيات فيتزجيرالد، وإنما هو استعان بها فقط، وفى هذا ولاشك ما يدعو لكثير من الشك والقلق خاصة وأن هذه الرباعيات قد دخلها الكثير من الانتحال الذى دعا كثيراً من الشعراء إلى محاولة تقليدها ومحاكاتها والنسج على منوالها، فالمترجم يعود بعد هذا كله، وخلال هذا الصحيح و المنتحل من الشعر المنسوب إلى الخيام يجمع بين هذه الآراء جميعا بين مدارسة لآراء مترجمى الخيام من الإنجليز ثم بين نص فيتزجيرالد المطبوع، ليقارن على غير أساس من معرفة اللغة الفارسية. ولذلك بدا تعبيره، الحرص على تأدية الخيامى بعينه، غريبا»[2] وترجم البستانى ***رباعيات الخيام*** إلى سباعيات عربية، رغم أن فيتزجيرالد الذى تمثل معنى الخيام أنشأ ترجمته الإنجليزية فى رباعيات. لذا فإن ترجمة البستانى لا تخل بالشكل فقط وإنما تخل بالمعنى واللفظ أيضًا، لأن زيادة ثلاثة أبيات يتأتى معها زيادة فى اللفظ والمعنى أيضًا. وتستمر مدرسة البستانى عند محمد السباعى الذى ترجم «أبطال العالم» للورد بايرون (١٧٨٨-١٨٢٤) عام ١٩١٢ نثراً مسجوعًا. ويعاب على ترجمته الشروح الكثيرة والإيضاحات التى فى النص وفى الهامش على حد سواء ثم تدبيج النص بأبيات منظومة شعراً من عنده لتوضيح المعنى

---

(١) السابق، ص ٤٢.

(٢) السابق، ص٤٦.



المجمل للجزء/ النص الذى يقوم بترجمتـه. وإجمالاً، فهو يأخذ عنوان القصيدة ويضعه فى ذهنه ثم يتـرك لخياله ولعلمه أن يكتب مـا يشاء فى إطار ذلك المعنى دون التزام بنص الشاعـر بايرون وفى ذلك مالا يضيف إلى الشعر العربـى كثيرًا أو قليلاً إضافة إلى تشويه صورة ذلك الشاعر العربى الكبير لدى القارئ العربى. وهو بذا يميل إلى الأخذ بطرف من طريقـة حسين بن إسحاق والجوهرى وغـيرهما فى الترجـمة وهى «انه يأتى الجـملة فيحـصل معناها فى ذهنه ويعـبر عنهـا من اللغة الأخرى بجـملة تطابقها سواء سـاوت الألفاظ أم خالفتـها»[1]. وكذلك هو يأخذ بطرف مـخالف لهـذه النظرية حينمـا يذهب مذهـب يوحنا البطريق وابن الناعـمة الحمصى وغيرهما وهو «أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية ـ وفى حالتنا تسـتبدل لتكون الإنـجليزية ـ وما تدل عليـه من المعنى فيـأتى الناقل بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك المـعنى فيثبتها وينتقل إلى أخرى حتى يأتى على جملة ما يريد تعريبه»[2]. وهذا يعيدنا إلى ما تطرقنا إليه فى بداية حـديثنا عن المـعـادلات فى التـرجمـة عند روجـر بيل. وتطالعنـا أسمـاء لمترجمين ترجموا الشعر الغربى إلى العربية شعرًا ومنهم:

(١) الشيخ طنطاوى الجوهرى، فقد جمع أشعاره المترجمة فى كتاب اسماه جوهرة الشعر والتعريب وترجم فيها ***Twinkle,Twinkle Little Star*** شعرًا رصينًا يكاد يطابق المعنى الأصلى.

(٢) إسماعـيل سرى الدهشان، الذى ترجم من الفرنسـية إلى العربية ***ليالى الفريد دى مـوسيه*** سنة ١٩١٧ وقد أعطى لنـفسه حريـة إعطاء المعنى الفرنسى فقط دون التقيد بالنص.

(٣) على محمود طه، يترجم قصيدة ***البحيرة*** للإمارتين فى نوفمبر ١٩٢٦.

(٤) إبراهيم ناجى، أيضًا، يترجم نفس القصيدة فى ديسمبر ١٩٢٦.

(٥) عبد الجبار الرجبى، يترجم قصيدة ***الوحدة*** للإمارتين عن ترجمة أحمد حسن الزيات النثرية فى مارس ١٩٣٥.

---

(١) السابق، ص ٥٦.

(٢) السابق، نفس الصفحة.



(٦) فخرى أبو السعود، يترجم ***الطبيعة والإنسان*** لفكتور هوجو سنة ١٩٣٣.

ونجد ترجمات متميزة للشعراء الرومانسيين الإنجليز شعراً أيضًا، فمثلاً:

(١) على محمود طه يترجم قصيدة بيرسى بايش شيلى (١٧٩٢-١٨٢٢)***To a Skylark*** شعراً فى عام ١٩٢٦على النحو الذى سنراه بعد قليل.

(١) وفى ديسمبر من نفس السنة تصدر ترجمة إبراهيم ناجى لقصيدة ***The Bridge of Sighs*** لتوماس هوود (١٧٩٩-١٨٤٥).

(٢) نجد مختار الوكيل يترجم قصيدة ***To a Skylark*** شعراً على صفحات أبوللو تحت عنوان إلى قُبرّة فى مارس ١٩٣٣.

(٣) ثم قسطندى داوود يترجم ***Love's Philosophy*** فى «أبوللو» فى مارس ١٩٣٣.

(٤) عيسى وهب الله الشيدى يترجم لجون كيتس (١٧٩٥-١٨٢١) ***حمامتى*** سنة ١٩٣٥.

(٥) ترجم الهمشرى ***القرية*** لأوليفر جولد سميث (١٧٢٨-١٧٧٤) سنة ١٩٣٣.

(٦) إلا أن أنيس خورى المقدسى يقدم ترجمة رائعة لقصيدة ذكرى ***In Memorium*** لألفريد تنيسون (١٨٠٩-١٨٩٢) شعراً ويكاد يحافظ فيها على المعنى الذى قصد إليه تنيسون[1]. وقد استخدم فيها الكثير من الهوامش التى قد تؤدى إلى جَلوْ المعنى وإبعاد الغموض الذى قد يصل إلى النص العربى. وقد وُجدَ من ترجم الشعر إلى العربية نثراً ومنهم:

(١) محمود محمد مصطفى يترجم ***البحيرة*** سنة ١٩٢٠ فى أسلوب نثرى يخلو من السجع والبديع الذى ميز عصره.

---

(١) السابق، ص ١٢١.



(٢) محمد كامل حجاج يقدم ***بلاغة العرب***[1].

(٣) عبد الرحمن صدقى ترجم ***انقباض النفس والنفس الحزينة*** لبيرون سنة ١٩٢٠.

ورغم أن جريدة «السياسة الأسبوعية» قد حفلت فى جميع أعدادها بترجمات من الفرنسية إلى العربية إلا أن الترجمة من الإنجليزية إلى العربية كان لها نصيب أيضا. ويفسر التركيز على الفرنسية فى تلك الفترة أنها كانت ـ حتى ذلك الوقت وإلى عهد قريب ـ لغة الثقافة الرفيعة ولم تكن الإنجليزية قد وصلت إلى مكانة اللغة الفرنسية فى مصر من حيث الاهتمام بآدابها وثقافتها. وممن ترجموا الإنجليزية إلى العربية نثرًا أيضًا:

* لويس اسكندر ترجم لجون كيتس ***نفس معذبة*** سنة ١٩٢٧.
* محمد بدر الدين سالم ترجم لبيرون بين ***الحب والشهرة*** سنة ١٩٢٨.
* محمد أحمد شكرى يترجم ***مرثية*** توماس جراى (١٧١٦-١٧٧١) فى نفس العام.

وإذا كان بعض من ترجموا الشعر الإنجليزى أو الفرنسى نثرًا لم يلتزموا بما فى النص الأصلى، فإن ترجمات إبراهيم ناجى ومحمد عبد المعطى الهمشرى كان فيها وقوف كبير على المعنى الأصلى كما هو إلى أبعد حد ممكن. مثال ذلك ترجمة إبراهيم ناجى لورد زوورث (١٧٧٠-١٨٥٠) قصيدته Ode on Imitations of Immortality from Recollections Of Childhood" بعنوان ***«إيماءات الأبدية من ذكريات الطفولة الأولى»*** سنة ١٩٣٤. ويستوقفنا فى هذه الفترة ظهور الكثير من الترجمات للقصيدة الواحدة رغم علم المترجمين الجدد بأن القصيدة موضوع الترجمة قد سبق أن ترجمها آخرون. إلا أن ولعهم بتلك القصائد كان كبيرًا مما دفع بعض الشعراء إلى ترجمة القصيدة الواحدة أحيانًا أكثر من مرة مضيفًا فى كل مرة بهجة ورواء على الترجمة الجديدة. ونعطى مثلاً لذلك بالترجمات الثمان التى

---

(١) السابق، ص ٧٦.



ظهرت لقـصيدة **إلى قُبرّة** ***To a Sky lark*** (١٨٢٠) للشاعر الإنجـليزى بيرس بايش شيلى. فقـد ترجمها كل من فيلمون أفندى خـورى، ومحمد على ثروت، وعلى محمود طه، ومختار الوكيل، وأحمد زكى أبو شادى، وخليل هنداوى، ثم على مـحمـود طه ثانية وأخـيراً المـسيـرى وزيد وذلك فى الفتـرة من ١٩٢٦ إلى ١٩٦٤. وكما نرى فى الملحق ـ فـإن الترجمات قد تراوحت بين النثـر والشعر. فقد ترجمها نثراً كل من: فيلمون خورى، ومحمد على ثروت. كما ترجمها شعراً كل من: على محمود طه (مرتين) ومخـتار الوكيل وأحمد زكى أبو شادى وخليل هنداوى والمسيرى وزيد.

لم يكن الهدف من ترجـمة ***To a Skylark*** الاستزادة مـما لدى الغرب من ثقافة الطير عمومًا أو القُبرّة تحديداً. فيكفينا قول أبو فراس الحمدانى:

أقول وقد ناحت بقربى حمـــامة ... أيا جارتا هل بات حالك حالى

معاذ الهـوى ما ذقت طـارقة النوى ... ولا خطرت منك الهموم ببـال

أيحمل محزون الفؤاد قـــوادم ... على غصن نأى للمسافر عـال

أيضحك مأســـورٌ وتبكى طليقةٌ ... ويسكتُ محزونٌ وينطـــق سال

يضاف إلى ذلك ما كتب الجاحظ فى كتاب **الحيوان** وابن سينا والغزالى فى **رسالة الطير** وفريد الدين العطار الشاعر الـفارس فى «منطق الطير» وكذلك **طوق الحمامة** لابن حزم. «إن هذا الشعر الـمترجم له فضل كبير فى تغـيير النظرة إلى الشعر لا من حيث طبيـعته ووظيفته فى حياة الإنسان فـحسب، ولكن بالنسبة إلى شكل الشعر أيضًا. . . فقد غير فى قالب الشعر و شكله ومهد إلى الشعر الحر أو الحديث بأن بشر بالاستغناء من القافية وعـن الالتزام بالتفعيلة كما قنن له عروض الشعر القديم»[١].

وعند استعراض الترجمات الثمان التى أمامنا يتضح لنا ما يلى:

---

(١) د. جيهـان صفوت رؤف، شلى فى الأدب العربى فى مصـر (القاهرة: دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية ٨٧، ١٩٨٢)، ص١٨٢.



أ - ترجمة فيلمون خورى:

١ - العنوان: «*أيها الطير*» - مخالفة للعنوان الأصلى ***To a sky lark*** فالقبرة هى الطائر الذى يغنى كلما ارتفع إلى عنان السماء، وترجمة اسم هذا الطائر الجميل الذى تدور القصيدة كلها حوله بهذا الشكل تقليل من المعنى الجمالى فى القصيدة الأصل وتسوية غير عادلة للقُبَّرة - على أنها طير - ببقية طيور الغابة. وهذا أول خللٍ نلحظه فى هذه الترجمة.

٢ - «تحية وسلامًا» زائدة من عند المترجم، وكذا «حتى تلاشى الشفق الساطع بأشعة الشمس الغاربة» زائد.

٣ - unpremeditated ترجمت «فى أول نشأته وبداءة عهده».

٤ - ترجمة الشعر نثراً.

ب - ترجمة محمد على ثروت:

١ - القصيدة المترجمة أبعد ما تكون عن المعنى الأصلى إلا أن المترجم يحاول أن يعود إلى النص الأصلى حينما يقول «ألا أيتها الروح الهوائية» فى مقابل 'Blithespirit'.

٢ - ثم يضيف «الضاحكة، الجذلة الطروبة بين الأفنان والأغصان المترنمة، الشادية فى الحدائق والرياض» من عنده وهى زائدة.

٣ - يترجم Hail to thee إلى «يحييك قلبى عن كثب».

٤ - القصيدة ترجمت نثراً.

جـ - ترجمة على محمد طه الأولى ١٩٢٦:

١ - العنوان: «*إلى طائر صداح للشاعر العبقرى شلى*».

٢ - هذه الفقرة من قصيدة شلى ترجمت شعراً عذبًا رقيقًا، وهى تحمل معانى القصيدة الأصلية من حيث «الروح خذلانًا يغنينا» و«تحية لك». أما «يا صداح وادينا» فهى زائدة إلا أنها من صفات هذا الطائر أيضًا.



طوبى لساحر منك ما عرفت   له الصوادح من قبل أفانينا

هى تصرفٌ وترجمةُ معنىً للبيت الأخير من هذا الجزء من قصيدة شلى

'In profuse strains of unpremeditated art'

أما البيت الأخير عند على محمود طه فهو يعادل

That from heaven, or near it pourest they full heart.

د - ترجمة مختار الوكيل:

١ - العنوان: ***إلى قُبَّرة*** كما هو فى الإنجليزية.

٢ - القبرة مؤنثة عند مختار الوكيل.

٣ - Hail to thee تُرجمت إلى «سلام عليك» تصرف لا يخل بالنص وإن تكن إحدى معانى hail تبعث على الطمأنينة والسلام بسقوط البرد.

٤ - Blithe spirit ترجمت إلى «شعاع الجمال/ وركب السمو وروح الطرب» تصرف يخل بالمعنى ولكنه يخدم الضرورة الشعرية للقصيدة فى العربية.

٥ - Bird thou never wert ترجمت إلى «محال تكونين طيرًا» ترجمة متميزة وشاعرية قابلت فيها حالة النفى الإنجليزية 'never wert' «محال تكونين طيرًا» فى العربية. أما الإضافة «محال/ وهذا غناؤك شىء عجب» فهى زائدة.

٦ - That from heaven, or near it ترجمت «من ثنايا السحب» وأُدمجت فى البيت الأخير «غناء شجى فريد المثال/ يشارفنا من ثنايا السحب».

٧ - أما Pourest thy full heart فقد ترجمت «يذوب من القلب، صُافى الجلال» تصرف خدم الضرورة الشعرية فى العربية.

٨ - تصرف فى ترجمة unpremeditated art فقد ترجمها الوكيل «ليخلد فى آبدات الحقب» وجمال الشطرة العربية يعادل إلى حد كبير جمال



الشطرة الإنجليزية لكن المفردة الإنجليزية والمفردة العربية ـ كل حدة ـ لم تتقاربا.

هـ - ترجمة أحمد زكى أبو شادى:

١ - العنوان **«*طائر الحب*»** ـ بالطبع هذه الترجمة تخدم رومانسية القصيدة التى أنشأها أحمد زكى أبو شادى ولا يوجد فى الترجمة ما يمكن أن يُعزى دلاليًا أو لفظيًا إلى قصيدة شلى إلا أن المفهوم يكاد يقترب من قصيدة شلى.

٢ - مثال ذلك: That from heaven, or near it ترجمت:

وأبحث عنك من وهمى	على غصن، ومن وجدى
واتبع جاريــات السحـ	ـب فى خوف من الصـــيد
وارجـع ســائلاً لخلــى	عليــك وســــائلاً ودى

و - ترجمة خليل هنداوى:

١ - العنوان: **«*القُبرة للشاعر العبقرى الإنجليزى شيللى*»** مع ملاحظة كتابة اسم Shelley بلامين فى العربية ظنًا من المترجم أن سلامة نطق أسمه هكذا، مع أن اللام الواحدة نطقًا ستؤدى الغرض فى اللغتين.

٢ - يقدم القصيدة بـديباجة تعريفية عن هذه القصيـدة وأنها «أكمل ما جاء فى الشعر الإنجليزى».

٣ - تعتبر هذه الترجـمة بداية للترجمة الدقيقة أو التـى تحاول إيجاد معادل لغوى لهـا فى العربيـة حسبـما تعرضنا له فى بدايـة هذه الدراسة عند تناولنا للمعـادلات السيموليوجـية عند روجر بيل فى الترجـمة. فتكاد تكون كل كلمـة من كلمـات هنداوى مـعادلة لكل كلـمة من كلمـات شلى.

٤ - القصيدة ترجمت فى شكل يقارب الـشعر الحر وهى بذا تمهد الطريق لنقل قالب آخر مـخالف لقالب الشعر العمودى المـعتاد. وهى بالطبع



تختلف شكلاً عن ترجمات احمد زكى أبو شادى وعلى محمود طه ومختار الوكيل.

٥ - القصيدة المترجمة فى موضوعها وتدرجها تطابق إلى أبعد حد قصيدة شلى.

ز - ترجمة على محمود طه الثانية ١٩٤٢:

١ - العنوان: «***القُبرة للشاعر الإنجليزى بيرسى بايشى شلى***».

٢ - بعد ستة عشر عامًا نرى نضجًا ترجميًا قد حدث عند على محمود طه، فالعنوان اختصر كما نرى فى هذه الترجمة، أما فى الترجمة الأولى فقد كان «***إلى طائر صداح للشاعر العبقرى العظيم شلى***».

٣ - يدرك طه فى ديباجته أن ترجمته الأولى حَملَّتْ القصيدة فى العربية الكثير من المعانى التى خلت منها فى النص الإنجليزى ومع ذلك فهو يتعمد الإضافة فى الترجمة حسب «ما يقتضيه إظهار المضمر من المعنى وتبسيط المركب من الخيال مراعيًا فى التعبير عن الأصل الإنجليزى ما توحى به مقتضيات البيان الشعرى العربى» - أى أن التصرف ما يزال فى نية المترجم ويظهر أيضًا فى ترجمته.

٤ - Blithe ترجمت «يهفو حوله الفرح»، والمعنى الأصلى أن هذه الروح فرحة بذاتها، لكن المعنى العربى قد لايدل أن الطائر فرح فعلاً.

٥ - «أيهذا الصادح المرح» زائدة للضرورة الشعرية.

٦ - Bird thou never wert ترجمت

من أمة الطير هذا اللحن ما سمعت   بمثل الأرض، لا روض ولا صدح

وفيه نجد صيغة النفى لكنها أقل مباشرة حيث نرى النفى نقل إلى «اللحن» بينما هو فى الإنجليزية يخص «الطير» ذاته.

٧ - الأبيات الثلاثة الأخيرة من هذا الجزء من قصيدة شيلى أُختصرتْ فى بيت واحد فيه كثير من الشاعرية لكن فيه الكثير من التصرف:



أنت الذى من سماء الروح منهله   خمر إلهية لم تحـوها قدح

From heaven, or near it ترجمت «من سماء الروح منهله»، فى الأصل الإنجليزى أن هذا الطائر آتٍ من السماء وليس من «سماء الروح» كما فى ترجمة طه، لكن المَنهل يتفق مدلوله فى المفردتين العربية والإنجليزية.

Pourest they full heart ترجمت «منهله/ خمر إلهية» وهو تحويل للمعنى المجرد فى الإنجليزية إلى معنى مجرد فى العربية لكن إضافة «الخمر» استدعتها Pourest كما أن الصفة إلهية استدعتها Thy full heart.

Unpremeditated art ترجمت إلى «لم تحوها قدح» وذلك تصرف يتمشى مع سياق الخمر والشراب الذى بدأه المترجم وهو يخدم القصيدة العربية اكثر مما يخدم قصيدة شيلى.

س - ترجمة المسيرى وزيد:

١ - العنوان «*إلى قُبّرة*».

٢ - تمثل هذه الترجمة أوج النضج الترجمى. فالكلمات العربية حققت تعادلاً لا مثيل له فى الترجمات السبع السابقة وتكاد الكلمة العربية تنطبق تمامًا على الكلمة الإنجليزية.

٣ - ورغم أن «الفن الطليق» لا تساوى تمامًا Unpremeditated art إلا أن الانطلاق من القيود/ والعفوية هما من المعانى التى تعطيهما المفردة الإنجليزية أيضًا.

* ونخلص إلى القول أن جماليات القصيدة المترجمة إلى العربية فى هذه الفترة كانت تختلف من مترجم إلى آخر معتمدة على ثقافته وخلفيته الأدبية. إلا أن أهم معالمها كانت تتلخص فيما يلى:

١ - تراوحت القصيدة المترجمة بين الشعر والنثر من حيث الشكل والمضمون. وما ترجم منها نثرًا كان فى أغلبه يخضع لما يُحمّله المترجم من مضامينٍ وأفكار ليست فى النص الأصلى.



٢ - كما رأينا فى حالة الطهطاوى أن حاول أسلمة القصيدة الفرنسية الكافرة - من وجهة نظره - وتحويلها إلى قصيدة مؤمنة مع ترجمتها شعراً. وبذا تكون المسافة بين النص والمؤلف كما يذهب جوناثان كوللر غير كبيرة[1]. فلم يتحقق فى ترجمة الطهطاوى «انفصال نصى» فحاول إضفاء شىء جديد على النص الأصلى. وقد تكررت المحاولة عند كثيرين آخرين ومنهم من ترجموا شيلى فى الترجمات الثمان التى عرضناها باستثناء ترجمة المسيرى وزيد. وإن كانت جوليا كريستيفا «قد اعترضت على البنيوية بسبب تجاهلها للذات المتكلمة، أى للمتحدث باعتباره كيانًا نفسيًا بيولوجيا»[2]. والمترجم هنا مؤلف من نوع خاص فليس كل عمله إبداعًا كما أسلفنا فى المقدمة وكذا ليس كل عمله نقلاً، ومن ثم كان النص المنقول عن طريقه متأثراً به، ومن ثم كانت المسافة النصية مؤثرة سلبًا أو إيجابًا.

٣ - استخدام، الحواشى والشروحات كما فى حالة مترجم الإلياذة حيث أشار إلى ألف بيت عربى من الشعر فيهما نفس معانى الإلياذة فى محاولة منه لإزالة اللبس والغموض من ناحية، وأيضًا فى محاولة لتطويع النص الهدف لأغراض النص العربى وربما كان ذلك فى جزء منه صراعًا حضاريًا ثقافيًا بين قيم الشرق والغرب.

٤ - ساعدت القصيدة المترجمة فى نقل الشكل الغربى إلى القصيدة العربية، مع تجديدها وبث روح جديدة فيها بعد أن كانت قد أثقلت بكثير من السجع والبديع والصناعة اللفظية.

---

(١) د محمد عنانى، «المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم إنجليزى عربى» (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، أدبيات، ط١، ١٩٩٦)، ص١٧٠.

(٢) السابق، ص ١٧٥.



٥ - لم تكن الحاجة إلى الترجمة معرفية بقدر ما هى مطلوبة لإحداث ثورة فى القالب الشعرى العربى وربما فى الفكر أيضا.

٦ - نجحت ترجمة الشعراء، رغم ما بها من ملاحظات، نجاحًا كبيرًا. فأتى أصدق الشعر المترجم على أيديهم وذلك لأسباب منها:

أ ـ معرفة هؤلاء الشعراء باللغات التى ينقلون منها كالإنجليزية والفرنسية والفارسية وغيرها كما عرضنا.

ب ـ إن اختيار الكلمات العربية كان موفقًا إلى حد بعيد نظرًا لتمكن الشاعر المترجم من اللغتين وفهمه التام للنص الذى ينقل عنه مما خلق عالمًا دلاليًا للقصيدة يحاول أن يقترب من الأصل المترجم عنه.

جـ ـ شفافية الشاعر الإنجليزى كان يقابلها شفافية مماثلة عند الشاعر العربى، رأينا ذلك فى ترجمتى على محمود طه لقصيدة شلى ***To a Skylark***، وقد نراه فى مثال آخر خارج هذه الدراسة فى ترجمة أحمد رامى لرباعيات الخيام عن الفارسية.

د ـ مكنت ثقافة هؤلاء الشعراء المترجمين الكثير منهم اختيار روائع القصائد للشعراء الغربيين، ولم يقعوا إلا على رحيق تجاربهم. لذا لم يصادف أى منهم مشكلة اختيار النصوص التى تترجم إلى العربية.

هـ ـ حرص الشاعر المترجم أن يقدم بعض ترجماته بكلمات قليلة ينوه فيها بأهمية الشاعر الغربى وقيمة القصيدة المترجمة فى اللغة التى ينقل منها. ومع اعتبار ذلك تدخلاً من المترجم وتوجيهًا للقارئ ومحاولة لكسبه فى صف

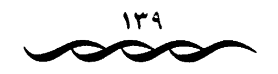


الشاعر صاحب القصيدة، إلا أن القارئ فى أغلب الأحوال يبقى فى حل من تلك الديباجات وما حوت.

* قولنا أن من يتعرض لترجمة الشعر يجب أن يكون شاعراً مجيداً للغة التى ينقل منها ليس حكمًا نهائيًا إلا أنه أيضًا ليس حكمًا تعسفيًا. فقد رأينا كثيراً من الترجمات الركيكة يقوم بها مترجمون ليس لديهم أى قدر من الشاعرية فتعاملوا مع القصائد كما يتعاملون مع التقارير الأخبارية. أن الشاعر المترجم هو أجود وأصدق من يترجم الشعر فى رأيى. وإذا كانت ترجمات على محمود طه وأحمد زكى أبو شادى وإبراهيم ناجى قد برهنت على هذا القول فيما مضى فإننى أسوق اليوم ترجمات رائعة لبعض قصائد إديث سيتويل قام بها الأستاذ الدكتور نذير العظمة.

وأقول بداية أنه إذا ذكرت إديث سيتويل فى العربية تذكر القارئ فوراً الشاعر الكبير بدر شاكر السياب (١٩٢٦-١٩٦٤) الذى وقع تحت تأثيرها وكاد أن يكون نسخة منها. فلقد ملكت عليه كل جوانب حياته وكانت تجربتها الشعرية ومعاناتها شبيهة بمعاناة السياب. لكن الدراسة هنا لاتنوى التطرق إلى المقارنة بين شعر السياب وشعر سيتويل فحديث اليوم ينصب على ترجمة قصائد سيتويل فقط ومقارنتها بالنص الإنجليزى.

ونجد سؤالاً منهجيًا يطرح نفسه: لماذا اختيرت ترجمات إديث سيتويل تحديداً؟ ونجيب أن أشعارها، وكذا معظم نثرها، يخيم عليه جو من القتامة والظلمة والرمادية لا يحتملها القارئ العادى فما بالك بمن يتعرض لترجمة أعمالها. إن قدراً كبيراً من الحزن ينتشر فى جنبات أعمال إديث سيتويل. والشاعرة الناقدة إديث سيتويل ولدت عام١٨٨٧ وماتت عام١٩٦٤ تاركة وراءها تراثًا شعريًا ونقديًا متميزاً يشمل مجموعة قصائدها فى طبعتها الأخيرة لعام ١٩٥٧، **ألكسندر بوب** (١٩٣٠)، **جوانب الشعر الحديث** (١٩٣٤)، **فكتوريا ملكة إنجلترا** (١٩٣٦)، **دفتر ملاحظات للشاعر** (١٩٤٣)، **جعجعة حول اليزابيث** (١٩٤٦)، **أنشودة الوردة** (١٩٤٩)، **قصائد منبوذة** (١٩٦٢)، إضافة إلى



كتابها النثرى، الذى يختلف نوعًا ما عن باقى كتاباتها وهو بعنوان **غرائب إنجليزية** (١٩٣٣) وهو معرض لأغرب حكايات وتجارب الرجال والنساء من أهل الأدب والفكر والثقافة فى بريطانيا وخارجها.

وترتبط أعمال إديث سيتويل الشعرية بالتراث المسيحى ارتباطا وثيقًا ونجد مفرداته منتشرة فى معظم قصائدها، كما أن الأساطير الإنجليزية واليونانية ضيف دائم فى أشعارها، كما نجد سير الأنبياء وأسماءهم تحل فى كثير من قصائدها. إلا أن أهم عنصر لا تكاد تخلو منه قصائد الجزء الثانى من الأعمال الكاملة ألا وهو الموت يقف بمثابة موتيفة motif تتكرر من وقت لآخر طالت القصيدة أم قصرت. يستوى فى ذلك قصائدها التى تتخذ عنوانًا حزينًا «مرثية طراز ميت»، «امرأة عجوز» أو «من امرأة إلى طفلها الميت»؛ أو كانت عناوينها سعيدة مثل: «ما يزال المطر يسقط»، «إجازة» أو حتى «أغنية». وإن كان الأستاذ الدكتور نذير العظمة قد أختار قصائده من الجزء الثانى من الأعمال الكاملة فإنه قد اختار أنضج قصائد إديث سيتويل التى تمثل لمدرستها وأسلوبها أكمل تمثيل.

من ثم، فإن ترجمة إديث سيتويل تعتبر تحديًا كبيرًا متعدد الجوانب للأسباب التالية:

١ - هى تحدى ثقافى شائك حيث إننا أمام شاعرة أمتلكها التراث المسيحى وأساطيره وقصصه من الرأس إلى أخمص القدم وعلى من ينقل هذه الأشعار إلى العربية أن ينقل معها سيميولوجيا مفرداتها، وهذا ما سنحاول فحصه بعد قليل.

٢ - إن مترجم إديث سيتويل يتناول قصائدًا، كما أسلفنا تختلف كلية عن قصائد كيتس وشيلى وبايرون ووردزوورث فهؤلاء الشعراء يتحدثون عن موضوعات نحبها ونميل إليها، ولذا وجدنا ثمان ترجمات كما بّينا لقصيدة ***To a Skylark*** لشيلى. أما موضوعات سيتويل التى تحدثنا عنها منذ قليل فهى منفرة تبعث الخوف والحزن فى النفس.



٣ - لذا فإن نذير العظمة قد أدخل إلى عملية ترجـمة الشعر عنصراً جديداً وهو التمـازج التام بين الحـالة النفسـية والمزاجـية لكل من المـترجم والنص. بمعنى أن عوامل التنفير فى القـصيدة لا يجب أن تحيلها إلى مادة غير قابلة للترجمة. وقد أثبتت ترجمات العظمة أن النص الشعرى قابل للترجمة بغض النظر عن عوامل التنفير أو الجذب فيه. وقد برهن على ذلك فى ترجمته الرائعة لخمسـة وعشرين قصيدة من قصائد إديث سيتويل.

٤ - لقد اسـتفاد نذير الـعظمة من التراث التـرجمى السـابق عليه استـفادة عظيمة، لـذا أتت ترجمته لإديث سيـتويل خالية تقـريبًا من كل أخطاء المترجـمين السابقين. فمـثلاً هو لا يتصرف بالطريقـة التى تصرف بها مترجمو شيلى، وهو لا يُدخل هوامشًا فى قصائده وإنما يضع الهوامش فى ذيل صفحاته، وهولا يتدخل فى حياة القصيدة التى معه ولا يحاول تغيير صفاتها الأساسيـة كما فعل الطهطاوى مثلاً، وهو أخيرًا لا يحمل النص العربى أكثر أو أقل مما يحمل النص الإنجليزى.

٥ - لذا، أتت ترجمـة العظمة محقـقة لما ذهبنا إليـه فى بداية حديثنا من الإتيان بالمـعادلات المكافئة فى اللغـة العربية من حيث اختـيار اللفظة وكذا مدلولاتها. ورغم أمانته الشـديدة للنص الإنجليزى إلا أن ترجمته لم يعترها «قبح» كما أن تصرفـاته لم تُكسب ترجمته «جمالاً» ليس فى النص الأصلى.

ولنرى ما فـعله العظمة فى ترجـمة إديث سيـتويل وسوف نـتناول بالدراسة ثلاثة من قصائدها، وهى ***«ما يزال المطر يسقط Still the Rain Falls»***، ***«حصاد Harvest»*** و***«أغنية Song»***.

أولاً: ما يزال المطر يسقط:

أ ـ والقصيدة تقع فى ٣٤ (أربعة وثلاثين) بيتًا فى الإنجليزية إضافة إلى ثمان عبارات أو أنصاف أبيات ترجمت إلى ٣٧ (سبعة وثلاثين) بيتًا فقط فى



العربية. وهذا غير مألوف فى الترجمات السابقة التى استعرضناها منذ قليل لقصيدة شيلى، فقد زاد عدد الأبيات العربية عن مثيلاته فى الإنجليزية أكثر من مرة. قد يتفق الكثيرون أن هذه القصيدة من أهم قصائد إديث سيتويل وأنها إحدى ملهمات ***أنشودة المطر*** لبدر شاكر السياب. وقد نقلت هذه القصيدة إلى العربية فى ترجمة تُقربها من الأصل.

ب ـ استخدم المترجم الأقواس إلى جوار ترجمته لعبارة In the potter's "field" فترجمها «على حقل الفخار(المقبرة)» ويفعل نفس الشىء مع نفس الكلمة فى قصيدة أخرى هى «أغنية شارع»، وذلك إحساسًا منه أن لفظة «حقل الفخار» لا مقابل لها فى العربية، فنحن نعرف المقبرة، والجبانة، والبرية وقائمة أخرى من الأسماء تعادل «حقل الفخار» الإنجليزى. لكن الحقيقة أن potter's field هو اسم مقبرة إنجليزية يدفن فيها الفقراء والغرباء.

جـ ـ ترجم عبارة "the impious feet" فى نفس البيت إلى «القدم المستخفة» وكلمة impious تعنى: إنسان عديم الورع أو عاق، لكن تصرف العظمة هنا بترجمتها «مستخفة» موفقة وتتمشى مع الجو العام للقصيدة حيث وصف المقبرة وقداسة الموت.

د ـ ترجم "with" إلى «فى» فى البيت

the human brain

Nurtures its greed, that worm with the brow of Cain

«والدفاع الإنسانى يغذى شرهة ـ تلك الدودة فى جبهة قابيل» والأصل أن تكون «بجبهة قابيل» لأن with the brow فى البيت الإنجليزى تتمم المعنى لوقوعها مفعولاً به. أما الدودة worm فهى صفة للنهم أو الشراهة التى أصابت الدفاع البشرى.



ت ـ البيتان:

that each day,each night, nails there, have mercy on us Christ

On Dives and on Lazarus

Under the rain the sore and the gold are one

ترجمها كما يلي:

«مسيح كل نهار - كل ليلة - مسامير هناك

«تسبغ الرحمة علينا

«على (ديفيس) والعازر؛

«تحت المطر الجرح والذهب هما واحد.

وبداية البيت "-Christ that" نداء فى الأصل الإنجليزى أحاله العظمة إلى جملة خبرية عادية والمفروض أن تكون الترجمة:

«يا مسيح كل نهار - وكل ليلة، والمسامير التى هناك

«اسبغى الرحمة علينا

«على ديفيس والعازر؛

«فتحت المطر، الجرح والذهب شيء واحد.

و - البيت:

"Still falls the Blood from the Starved Man's wounded side"

ترجم إلى: «ما يزال الدم يسقط من خاصرة مجرحة لإنسان معذب». إن عبارة "The starved Man's wounded side" معرفة فى الأصل الإنجليزى حولها العظمة إلى نكرة فى العربية: «ما يزال الدم يسقط من خاصرة مجرحة لإنسان معذب» وفى النص الإنجليزى Starved Man's تبدآن بحروف كبيرة ما يشير إلى أن ما تقصده سيتويل علم. والعلم هنا ـ حسب السياق ـ هو المسيح عليه السلام. وقد تصرف العظمة فى starved الصفة فترجمها «معذبة» مع أن الجوع فى حال



الصلب أقرب، وهى موفقة على أية حال. ونجد العظمة ينتبه إلى ذلك حين يقول مقارنًا قصيدتى «أنشودة المطر» للسياب و«ما يزال المطر يسقط» لإديث سيتويل: «لكن خاتمة القصيدة ـ قصيدة سيتويل -تؤكد على استمرار سقوط الدم من الإنسان المصلوب من أجل الإنسان»[1].

ز - يقدم العظمة هامشين يعطى فيهما نبذتين عن كل من ديفيس وأليعازر وهذه مساهمة منه فى تعريف القارئ بالمصطلحات التى تستخدمها إديث سيتويل. وفى أوائل القصائد المترجمة كانت هذه الهوامش والإرشادات تأتى ضمن العمل المترجم أو تصبح ـ شكلاً ـ جزءًا منه مما يثقل النص المترجم ويجعله سقيمًا. ونجد العظمة يورد اثنا عشر هامشًا فى ترجمة قصيدة «أوريديس» يشرح فيها أسماء بعض الحواريين وتفسر بعض الأساطير.

ثانيًا: قصيدة «حصاد»:

أ ـ والقصيدة تقع فى ٨٥ (خمس وثمانين) بيتًا وخمسة عشر عبارة أو أنصاف السطور ترجمت جميعها إلى العربية فى ٨٩ (تسعة وثمانين) بيتًا كاملاً فقط فى العربية. والمترجم بهذا يحقق اقتصادًا لغويًا فريدًا يختلف فيه عن سابقيه الذين كانوا كرماء فى غير محل للكرم اللغوى.

ب ـ هذه القصيدة مهداة إلى ستيفن سبندر (ولد ١٩٠٩) ولا يعيب المترجم أن يورد القصيدة العربية كما هى فى الإنجليزية. لكن وقد بدأ العظمة ترجماته باستخدام الهوامش لإزالة الغموض فقد توقعنا أن يورد ولو فى سطر واحد هامشًا يشرح للقارئ من هو ستيفن سبندر[2].

---

(١) د. نذير العظمة، بدر شاكر السياب وإديث سيتويل: دراسة مقارنة (الكويت: دار المعرفة، ١٩٨٣)، ص٧٤.

(٢) Alex Preminger, et. al., eds., ***The New Princeton Encyclopedia of Poetry and Poetics*** (Princeton: Princeton University Press, 1993) , p. 351.

من شعراء الثلاثينات فى الشعر الإنجليزى الذى اتسم بتنامى الروح السياسية. وقد كان سبندر إلى جانب أودين ولويس وماكنيس قد مثلوا جبهة شعبية معارضة للفاشية.



جـ - نحن أمام مترجم سيتعامل مع قطع من الألماس الطبيعى، حريص ألا تضيع منه قطعة ولو فى حجم حبة الرمل. كما أنه حريص على أن يضع ماسته فى قالب عربى فتأتى فى مكانها من القالب لا اكبر ولا أصغر.

د - البيت

And Christ has forgiven all men-the thunder- browed Caesar

ترجم: «لكن المسيح قد غفر لكل إنسان - قيصر الذى له جبهة الرعد» رغم التغيير الوظيفى لحرف الجر هنا من العطف إلى التضاد، فإن المعنى للقصيدة الأصل ما يزال موجوداً فى الترجمة العربية. ولو ترجم العظمة "and" إلى «و» لضاع كثير من أو كل المعنى الأصلى.

هـ - البيت

Ripening our lives and ruling hearts and rhythms

ترجم إلى: «تنضج حيواتنا وتحكم القلوب والنبض» حرص العظمة على ترجمة "Lives" (مفرد Life) إلى جمع كما هى فى الإنجليزية - «حيواتنا» - حرصًا منه على ما فى النص الإنجليزى من قواعد. إلا أنه لو أتى بها مفردة لكانت مقبولة أيضًا. فمن التحويلات الترجمية أن نترجم المفرد جمعًا أو العكس طالما أن ذلك لن يخل بالمعنى الأصلى. كما أنه ليس معتاداً فى العربية استخدام «حيوات» رغم أنها صحيحة ولا غبار عليها.

و - البيت:

Creating other Beasts - the lion a lion, the Bull a Bull,

The Bear a Bear-

ترجم إلى «الأسدُ الأسدَ - والثورُ الثورَ / الدبُ الدبَ» إن هذه الكلمات ترجمت كما هى من حيث القواعد، ففى الإنجليزية تقع كل كلمة ثانية فى محل المفعول به، وهى كذلك فى العربية. إلا أنها جميعا فى الإنجليزية تبدأ بحروف



كبيرة وحتى كلمة Beasts تبدأ بحرف كبير. وهذه قد لاتعنى حيوانات فقط كما نراها فى النص المترجم، لكنها تشير إلى النجوم حيث السياق هنا يحتم الذهاب إلى ذلك الفهم. كما أن تنكير الكلمة الثانية فى الترجمة أوجب تمشيا مع النص الإنجليزى.

ز - الأبيات:

For those who build great morning for the world

From Edens of lost light seen in each other's eyes,

Yet soon must wear no more the light of the sun,

But say farewell among the morning sorrows.

ترجمت:

لهؤلاء الذين يبنون الصباحات العظيمة من أجل العالم

من جنات عدن لضياء ضائع رأوه الواحد فى عينى الآخر

وعليهم أن لا يلبسوا قريبًا ضوء الشمس

بل أن يهتفوا بكلمات الوداع بين أحزان الصباح.

وهى ترجمة متميزة بكل المقاييس التى نطرحها من حيث المفردات ودلالاتها أيضًا.

ذ - الأبيات:

(O thou who are not broken or divided

Thou who art eaten, but like the Burning bush

Art not consumed - Thou Bread of Men and Angels)-

ترجمت إلى: (أنت أيها الذى لم يكسر، أو يقسم -

أنت الذى يؤكل. ولكنك كالعوسجة الملتهبة



لا تُستهلك - أنت يا خبز البشر والملائكة)

ورغم أن التـرجمـة العربيـة مطابقـة للنص الإنجليـزى إلا أن كتـابة النص الإنجليـزى بحروف كـبيرة فى البـيت "Thou Bread Men of and Angels" له دلالته فى الـمصطلح الكنسى وهذا مـا غاب فى النص العـربى فالخـبز الذى «لم يكسر أو يقسم»

"Thou who art not broken, or divided"

استعـارة تعنى أن أحدًا لم يُصَلْ، فأكل الخبـز فى المصطلح الكنسى يعنى فيما يعنى التردد على الكنيسة وتأدية الصلاة فيها. وربما تعنى مفردة Bread الحياة نفسها التى لم تتضح معالمها أو جوانبها للكثيرين.

ثالثا: أغنية *Song*:

أ - هذه الترجمـة تكاد تطابق النص الإنجليزى فى كل شيئ، «فالعُـتمة فى قلب حرارة النهار» صـورة شعرية فيهـا التناقض الذى يثير الخيـال كما هى فى الإنجليزية "We are darkness in the heart of the day".

ب - «البـرودة نحن المـاء/ الراقد عـلى الأوراق قبل المـوت» أيضًـا هذه الصورة البلاغية الجميلة هى هى كما فى الإنجليزية

...,the coolness: we are the water

Lying upon the leaves before Death

جـ - إلا أن ما بعدها فى العربية يكسر جـمال الصورة الإنجليزية، فنقرأ فى الترجمة «ها قد شربنا الشمس وحرارتها الواسعة»

"... our sun,

And its vast heart has drunken us..."

فالشـمس فى الشطرة الإنجليزية وكذا «حرارتهـا الواسعة» هما فـاعل حوله المترجم إلى مفعول به ظنًا منه أن الصورة هكذا ستكون أكثر جمالاً.



الصورة الإنجليزية قد تترجم على النحو التالى «شمسنا/ وحرارتها الواسعة أسكرتنا. . .» وهى بهـذا الشكل تتـمشى مع حـالة الموات التى ترد فى الأبيـات السابقة عليه من بداية القصيدة وتصف حالة الضعف التى يعانيها المتكلمون:

«نحن العتمة فى قلب حرارة النهار

«الزهور التى لا جذور لها فى الهواء البرودة نحن الماء

«الراقد على الأوراق قبل الموت، . . .

أما صورة العظمة «ها قـد شربنا الشمس وحرارتها الواسعـة» فهى كما قلنا كسر للصورة الأولى، ولا تتمشى مع بقيتها.

د ـ البيت التالى يؤكـد حالة الضعف التى يعيـشها المتكلمون فى القـصيدة وكذا ينـفى عنهم ما قـد يتولد من حـرارة وقوة نتـيجـة شربهم أشـعة الشمس وحرارتهـا: «إن ابنة الجمال وقلب الوردة ونحن أصبحنا شـيئًا واحدًا».

... Beauty's daughter

The heart of the rose and we are one.

وان كنت أميل إلى بدء البـيت العربى بـ «فابنة الجـمال وقلب الوردة» بدلاً من «إن ابنة الجمال وقلب الوردة» وذلك لأن الفـاء هنا تعطى لعلاقة السببـية بعدًا لغويًا يختلف عن البدء بحرف ناسخ.

وخلاصة تعقـيبنا على ترجمات نذير العظمة هى أنه امتلك الصـبر والمثابرة عند تناوله لقصـائد إديث سيتـويل. فالحزن والـكآبة والموت والأساطيـر الحزينة والمفزعة هى أدواتها الأساسية بل وتدور حولها كل موضوعاتها، كما تتكرر تلك المصطلحـات القاتمة السـوداء فى جميع أعـمالها التى توقـفنا أمامهـا وكذا التى ترجمـها العظمـة، بما فى ذلك القـصيدة الأخـيرة وهى رغم أنها تـحمل عنوان «أغنية» إلا أن ما فيها غير ذلك.



إن مزاج المـترجم وحالته النفـسية وتجاوبه مع النص الذى يتـرجم أمور لا يجب إغفـالها عند دراسة النصوص المـترجمة. ومعـرفتى بالأستاذ الدكـتور نذير العظمة تفيد أنه شخص مرح هش بش لا يخلو مجلسه من ملحة وطرفة وفكاهة، لذا كان تعامـله مع نصوص إديث سيتويـل وإخراجها فى العربيـة بالجودة والرقى الذى رأينا إنجـازاً كبيـراً يضيف إلى الشـعر العـربى الحديث والمـعاصـر ويثرى موضوعاته.

من مشاكل الترجمة الفورية

الترجمة الفورية فرع رئيس من فروع الترجمة فى جميع لغات العالم. وهى قديمة قدم اللغات نفسها، وقد كانت الحاجة داعية لها للتفاهم بين الشعوب وبعضها، أو بين القادة وبعضهم إذا ما جهل واحد منهم لغة الآخر. ولا يخلو لقاء أو مؤتمر فى أى بلد من أعمال الترجمة الفورية. وقد كُلفت أنا وزميل آخر القيام بأعمال الترجمة الفورية لمؤتمر «من بحر إلى بحر: المؤتمر الإقليمى للاستخدام المستدام للبيئة البحرية "Sea to sea : Regional Conference on Sustainable use of Marine environment" الذى عقد فى جدة فى المدة من التاسع إلى الثانى عشر من أكتوبر ١٩٩٥. ومن واقع تجربتى أعرض بعضًا من المشاكل التى واجهتها أثناء القيام بهذه المهمة، وكذلك بعض الحلول التى طرحتها.

وبداية، أعرض فى إيجاز لما دار فى هذا المؤتمر على سبيل التذكير بموضوعاته وأهدافه، ولغرض سنتحدث عنه فى ثنايا الدراسة. أنشئت منظمات وهيئات عديدة لحماية البيئة وتناول قضاياها وإبداء الرأى فيما يدور حولها. ومنها، مثلاً: برنامج الأمم المتحدة للبيئة UNEP؛ اللجنة الاستشارية لحماية البحار ACOPS ؛ برنامج بيئة البحر الأحمر وخليج عدن PERSGA؛ منظمة الملاحة الدولية IMO؛ المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية MARPOL؛ الاتحاد الدولى لمالكى الناقلات المستقلين INTER TANKO، وكذلك مصلحة الأرصاد وحماية البيئة MEPA بالمملكة العربية السعودية. تلك المنظمات والهيئات الاستشارية استشعرت الخطر وأجمعت عزمها للالتقاء ونقاش مصادر الخطر الذى يهدد البيئة البحرية فى منطقة حساسة ولها خصوصية بيئية ألا وهى منطقة البحر الأحمر وخليج عدن. ومن ثم كان عقد مؤتمر «من بحر إلى بحر» حلقة نقاش حول الموضوعات التالية وهى عناوين أوراق العمل المقدمة:

١ ـ التحكم بالتأثيرات البيئية الناتجة من نشاطات إنتاج النفط.

٢ ـ الشحن البحرى للنفط والمواد الكيماوية.



٣ ـ صناعة تكرير النفط الإقليمية: المسئوليات البيئية.

٤ ـ تأثيرات تسرب الزيت على البيئة البحرية.

٥ ـ الاستجابة والاستعداد لتسرب الزيت.

٦ ـ التنمية المستدامة وادارة موارد الأراضى فى المناطق الساحلية للبحر الأحمر.

٧ ـ الاستخدام المستدام للبيئة البحرية فى المناطق المتاخمة لمدينة الجبيل و ينبع.

٨ ـ التنمية الساحلية على سواحل البحر الأحمر.

٩ ـ التكامل القطاعى فى تخطيط وادارة المناطق الساحلية.

١٠ ـ إدارة المناطق الساحلية: ارتفاع منسوب مياه البحر.

١١ ـ تدهور البيئة الساحلية وتأثيره على الصحة البشرية.

١٢ ـ تجربة البنك الدولى فى الجوانب القانونية والمؤسساتية والمالية فى إطار برامج البيئة الإقليمية: الدروس ممكنة التطبيق فى بيئة البحر الأحمر وخليج عدن والمنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية.

١٣ ـ الترتيبات القانونية والمؤسسية لتحقيق التنمية المستدامة فى منطقتى البحر الأحمر والخليج.

١٤ ـ المراجعة البيئية.

١٥ ـ التنمية المستدامة فى العالم الإسلامى: تجربة البنك الإسلامى للتنمية.

أردت أن أوجز عناوين أوراق وموضوعات النقاش فى هذا المؤتمر لأنوه أن طبيعة لغة المؤتمر تختلف عن كثير من المؤتمرات الأخرى. وكما يتضح، فإن من يتعرض لترجمة مثل هذه الأوراق لابد أن تكون لديه خلفية علمية جيدة حول البيئة البحرية وأسباب تلوثها. ولقد كان للهيئة المنظمة للمؤتمر فضل كبير فى



تنويرنا بالمصطلح البيئى واللغة، وذلك بتزويدنا بنصوص الأوراق قبل بدء المؤتمر بأسبوع واحد تقريبًا. وإن تكن المدة غير كافية ـ لدراسة الأوراق المقدمة التى وصل عددها خمسًا وعشرين ورقة ـ إلا أنها حققت بعض الهدف المرجو منها. وللأمانة العلمية، أقول أن هذه الأوراق قدمت ومعها ترجماتها إلى اللغة العربية وقد كانت الترجمة التحريرية رفيعة المستوى وقد تحرى مترجمها الدقة قدر المستطاع.

وقد يخال البعض أن توافر النص الإنجليزى مع ترجمته العربية التحريرية بالجودة التى تحدثت عنها سيجعل مشاكل الترجمة الفورية صفرًا. لكن هذا التخيل قد يكون غير صحيح إذا وضعنا المشاكل التالية فى الاعتبار:

المشكلة الأولى: ترجمة الاختصارات من الإنجليزية إلى العربية.

المشكلة الثانية: سرعة إلقاء المحاضرين والمتحدثين.

المشكلة الثالثة: عدم الالتزام بالنصوص المكتوبة والاستخدام المفاجئ للشرائح الضوئية بدلاً منها دون أى تنويه مسبق.

المشكلة الرابعة: مفاجأة تغيير لغة الإلقاء من الإنجليزية إلى العربية أو العكس بخلاف ما هو معلن فى جدول الأعمال.

المشكلة الخامسة: تأثير اللغة الأم لبعض المحاضرين على إلقائهم باللغة الإنجليزية.

وأبدأ فى تفصيل تلك المشكلات.

أولاً: ترجمة الاختصارات من الإنجليزية إلى العربية:

من الاختصارات التى تكرر استخدامها فى المؤتمر، وهى لهيئات إقليمية ودولية لحماية البيئة، ذكرنا بعضًا منها منذ قليل ما يلى:

١ ـ UNEP، وهى اختصار «برنامج الأمم المتحدة للبيئة

United Nations Environment Program.



٢ ـ PERSGA، وهى اختصار «برنامج بيئة البحر الأحمر وخليج عدن

Program for the Environment of the Red Sea and Gulf of Aden

٣ ـ ACOPS ، وهى اختصار «اللجنة الاستشارية لحماية البحار

Advisory Committee on the Protection of the Sea

٤ ـ IMO، وهى اختصار «المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية

International Marine Organization

٥ ـ ROPME ، وهى اختصار «المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية

Regional Organization for the Protection of the Marine Environment

٦ ـ MEPA، وهى اختصار «مصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالمملكة العربية السعودية

Meteorology and Environment Protection Administration

وبعض حضور المؤتمر من العرب وغير العرب يعرفون تلك الاختصارات لتخصصهم فى علوم البيئة ودرايتهم بطبيعة تلك المنظمات والهيئات الاستشارية. ولكن عند القيام بالترجمة الفورية، أو حتى التحريرية، يكون كل مختصر منها فى سطر تقريبًا. وإذا وردت الجملة التالية على لسان أحد المحاضرين، مثلاً:

"ROMPE, PERSGA, and ACOPS should arrange for an agreement to protect the marine environment."

فإن الترجمة ستكون على النحو التالى:

«على المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية وبرنامج بيئة البحر الأحمر وخليج عدن واللجنة الاستشارية لحماية البحار أن يرتبوا فيما بينهم لعقد اتفاقية لحماية البيئة البحرية» ويكون المترجم عند نهاية الجملة قد تأخر كثيرًا عن المحاضر الذى لا بد أنه سبقه كثيرًا، أيضًا. وذلك ما يسبب عدم متابعة المترجم الفورى لما يقول المحاضر، ويجعل استمرارية ترابط النص المترجم فوريًا أمرًا صعبًا بعض الشىء.



أما إذا حاولنا الاختصار فى العربية، كما هى الحال فى الإنجليزية، لكانت الاختصارات غير مقبولة. فمثلاً، «برنامج بيئة البحر الأحمر وخليج عدن» إذا ما اختصر حسب الحروف الأولى من كل كلمة سيكون (ب - ح - ب - ح - غ - ع). وكذلك إذا ما اختصرنا «المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية» سيكون الاختصار (م- أ - ل - ب - ب) وهكذا مع بقية الاختصارات الستة التى نتعرض لها هنا.

وأرى أن تستخدم الاختصارات الإنجليزية كما هى ولكن فى حروف عربية، وهذا ما يعرف فى الإنجليزية بـ transliteration، وقد يكون مقبولاً فى هذه الحالة الخاصة جداً. وعليه، لا حرج أن يقول المترجم الفورى:

- يونيب، بدل «برنامج الأمم المتحدة للبيئة».

وبيرسجه، بدل «برنامج بيئة البحر الأحمر وخليج عدن».

وأكوبس، بدل «اللجنة الاستشارية لحماية البحار».

وروبمى، بدل «المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية».

وميبا، بدل «مصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالمملكة العربية السعودية».

وثمة اختصاراتٌ أخرى أصبحت شائعةً فى العربية و لا يكلف أحد نفسه عناء البحث عن أصول اختصاراتها رغم معرفتنا بأسمائها كاملة. ومثال ذلك:

- اليونيسكو، بدل «منظمة التربية والعلوم والثقافة التابعة لهيئة الأمم المتحدة».
- اليونيسيف، بدل «صندوق رعاية الطفولة التابع لهيئة الأمم المتحدة».
- الأونروا، بدل «وكالة الإغاثة والتشغيل التابعة لهيئة الأمم المتحدة».
- الناتو، بدل «منظمة حلف شمال الأطلنطى».
- الجات، بدل «الاتفاقية العامة للتجارة والتعرفة الجمركية».
- الأوبك، بدل «منظمة الدول المنتجة والمصدرة للنفط».



- الأوابك، بدل «منظمة الدول العربية المنتجة والمصدرة للنفط».

وفى مجالات أخرى:

- الإيدز، بدل «مرض نقص المناعة المكتسبة».

- الرادار، بدل «جهاز تحديد وجود الأجسام بواسطة أصداء الموجات اللاسلكية

- "Radio Detecting and Ranging"

- الليزر، بدل «تضخيم إشعاع الترددات ضمن منطقة النور المنظور».

"Light Amplification by Stimulated Emission of Radiation"

إلا أن هناك اختصارات بسيطة بمكن ترجمتها دون إضاعة كثير من الوقت أثناء الترجمة الفورية مثل: منظمة الصحة العالمية WHO، والمنظمة العالمية للبحار IMO، فلا حرج فى ترجمتها كاملة إلى العربية.

ورغم ذلك، فإننا ندعو الجميع لبحث الوسائل الممكنة لجعل الاختصارات العربية مقبولة بنفس درجة قبولها فى اللغة الإنجليزية. خصوصًا و أن هناك اختصارات نسمع بها ونفهم ما تشير إليه وهى مقبولة فى النموذج العربى ومنها:

- واس، «وكالة الأنباء السعودية».

- واخ ، «وكالة أنباء الخليج».

- واش، «وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية».

- جستن، «الجمعية السعودية للتربية وعلم النفس».

وذلك يتطلب جهدًا كبيرًا تتضافر فيه مساعى لغويينا مع المترجمين لإيجاد أشكال مقبولة للاختصارات فى اللغة العربية، فلغتنا قادرة بما حباها الله من حيوية أن تستوعب ما هو أكثر من الاختصارات.

ثانيا: سرعة إلقاء المحاضرين والمتحدثين:

كما يعرف كثير منا ، فإن سرعة الإلقاء عامل هام فى نجاح عملية الترجمة الفورية. فبقدر ما يكون المتحدث لاهثًا تكون مهمة المترجم الفورى معرضة



للارتباك وعدم ملاحقـة المتحدث وبالتالى يفقد النصُ المتـرجمُ كثيرًا من تماسكه وترابطه.

وفى جلسة الافتتاح، نسى أحد كبار المتحدثين أنه يخاطب جمهورًا سبعين فى المئة من حضوره لا يتكلمون العربية، وقد كانت سرعة إلقائه عالية جدًا، ولم يتوقف فيما بين الجملة وما يليـها، ناهيك عن عدم توقفه بين فقرة وأخرى. وذرًا للرماد فى العيـون فقد وصلنا نص حديثـه الافتتاحى، والمتـحدث فى طريقه إلى المنصة. وقد كـان من حظى أن أقوم بترجمة ذلك الحديث. ورغم أن الـمتحدث كان من كبار منظمى المؤتمـر، وهو يعلم تمام العلم أن هناك ترجمة فورية إلا أنه لم يراع الإبطاء أو حتى القراءة من ورقته بسرعة عادية.

ولا تعليق لى، إلا أن تلك مـشكلة فردية بحتـة. ويجب التشـديد من قبل اللجان المنـظمة لهذه المـؤتمرات على أهميـة الإبطاء أثناء إلقاء الأحـاديث حتى يتسنى للمـترجم الفورى الـقيام بعمـله على أكمل وجه. أمـا أن تكونَ الأحاديثُ سباقًا للفروسية الشفهية فـذلك يؤدى إلى فشل عملية الترجمة الفورية التى يتضررُ منها وبسببها المتلقى وينالُ المترجمُ قسطًا من ذلك الضرر. و كحل عملى للتغلب على تلك المشكلة كنت أوجز فى جـملة أو جملتين ما قاله ذلك المـتحدث حتى أستطيع ملاحقة السيل الخطابى الذى يصلنى عبر السماعات.

وإذا كنت قد أشرت إلى السرعة العالية فى الإلقاء ومـا سببته من مضايقات فى الترجمة الفورية فإننى أسوق الأمثلة التالية التى تظهر ميزة بطء الإلقاء، او على الأقل التزام السرعة العادية عند مخاطبة الجمهور:

أ ـ سلمت كلمة صاحب السمو الملكى الأميـر عبد الرحمن بن عبد العزيز نائب وزير الدفاع والطيران إلى أمانة المؤتمر قبل افتتاحه بوقت كاف ما مكننا القيامَ بمـهمتنا على أكمل وجه. وجعل المتـرجمَ يعطى ترجمة فورية دقـيقة لكل ما قـاله سموه لحضـور كان أغلبه من غيـر الناطقين بالعربية خصوصًا وأن سموه ركز على ما فى الإسلام والقرآن من دعوة للحفاظ على بيئة الإنسان فقد كان لبطء سموه، ووجود النص قبل بدء



المؤتمـر، الأثرَ البالغ فى تقـديم ترجمـة فورية من أنجح مـا قدم فى المؤتمر.

ب ـ التزم أحـد المتحـدثين باتفاق ودى مـعى وهو أن يقرأ ممـا فى الورقة المقدمة إلى المؤتمر مع حذف بعض الفقرات نظراً لضيق الوقت. كما التزم الرجل بالتوقف عند كل فقرة لثوان قليلة. ولقد كانت ورقته حول الإجراءات الـقانونيـة لحمـاية البيـئة البـحرية فى مناطق خليـج عدن والخليج العـربى والبـحـر الأحـمـر. وكنت حـريصًـا أن تصل تلك المـعلومات بمنتـهى الدقة إلى الحـضور وقـد تم ذلك فعـلاً، وأمكن تقديم ترجمة فورية متميزة إلى اللغة الإنجليزية.

جـ ـ سلم اللورد كلينتون ديـفيز كلمتـه الافتتاحـية إلى أمانة المؤتمـر قبل الافتتـاح بساعة واحدة. وقمنا بترجـمتها فوريًا كان أهم مـا ميزها بطء إلقاء اللورد لحديثه المكتوب، وقد ساعد ذلك فى نجاح الترجمة.

د ـ كان الفـيلم الوثائقى عن المنطقة التاريخـية فى جدة من الأعـمال التى قدمت لها ترجمة فورية كلمةً بكلمةً ـ تقريبا ـ مع الحفاظ على المعنى الذى قصدت إليه أمانة مدينة جدة من هذا الفيلم.

ثالثا: عدم الالتزام بالنصوص المكتوبة والاستخدام المفاجئ للشرائح الضوئية بدلاً منها، دون أى تنويه مسبق:

إذا افترضنا أن هناك ثلاثة أطراف فى عملية الترجمة الفورية وهى المتحدث (صـاحب النص)، المتـرجم الفورى، ثم الـمتلقى (وهو جـمهـور الحضـور أو المستـمعين) فإن هناك بعض المعـايير التى نذهب إلى أهمية مراعـاتها عند تقديم ترجمـة فورية للمؤتمرات الـعلمية المتـخصصة مـثل مؤتمر «من بحـر إلى بحر» فالأمـر هنا ليس خطابًا سـياسـيًا أو حـديثًا عن أديب أو شـاعر كـما يتـضح من استعراض الأوراق المقدمة فى هذا المؤتمر. من تلك المعايير:

أ ـ أن يطلع المترجم على جـميع الأوراق المقدمة إلى المؤتمـر قبل إلقائها بوقتٍ كافٍ وعليه أن يبحث فى معادلات ترجميةٍ لها.



ب ـ أن يطلع المترجم على جميع البيانات المـرافقة للورقة موضوع البحث ومنها: شرائح العـرض على الأجهزة الضوئية، وأن يكون مـعه صورة منها، خصـوصًا وأن تلك الشرائح حين تعـرض على الشاشة لا يكون بمستطاع المترجم الفورى قرائتها وترجمة ما فيها إما لصغر الخط الذى تكتب به أو لبعدها عن موقعه من قاعة المحاضرات.

جـ ـ إذا ما كان الوقت المخصص للمتحدث لا يكفى لأن يقرأ ورقته حرفيًا ـ وهذا ما يحدث دومًا ـ فيكون عليـه أن يقدم إلى أمانة المؤتمر صورة من ملخصه، ويُسَلِّمُ بالتالى إلى المترجم حتى يتمكن من تجهيز النص القبلى (اى الترجمة) لموضوع الورقة.

د ـ إذا كان للمـتحدث أن يخـتار عدم القراءة من نص ورقـته المقـدمة إلى المؤتمـر، أو القراءة من الملخص فـإن عليه أن يلتزم الـبطء عند إلقاء محاضرته حتى يتسنى للمترجم متـابعَته وتغطيةَ ما يقول من العربية إلى الإنجليزية أو العكس.

وقد كانت التـرجمة الفورية فى ذلك المـؤتمر اختبـارًا صادقًا لتلك المعايير الأربعة التى لخصناها للتو:

أ ـ أن أحد المتحدثين لم يلتزم بالنص المكتوب لورقته التى سلمها لنا قبل بدء المؤتمر بأسبوع تقريبًا، كما أنه لم يلتزم بالملخص الذى أعطاه لأمانة المؤتمر قبل إلقاء مـحاضرته بساعة واحدة. إلا إننى تصورت أنه لن يخرج عما فى الملخص، وأسست ما سأقدم فى الترجمة الفورية على ذلك. لكن المفاجأة أتت على كل شئ.

فقد استخدم ذلك المحـاضر الشرائح الضوئية ضاربًا عرض الحـائط بكل الترتيـبات السـابقة. وقـد اسـتخدمت الشـرائح الضوئية slides على جهاز العرض الضوئى Over -Head Projector واستخدم فـيها أصغر حجـم للحروف اللاتينية التى لم



استطع قراءتها من مكانى فى مؤخرة قاعة المحاضرات حيث يفصلنى عن شاشة العرض ثلاثون متراً تقريبًا. لقد ترك المحاضر للجمهور المتلقى فى القاعة الفرصة أن يقرأ ما يعرضه على شرائحه، ناسيًا أن المترجم لن يستطيع مهما كانت قوة إبصاره، أن يقرأ شيئًا من الشاشة. وكانت الفرصة الوحيدة للترجمة الفورية عندما يقرأ ذلك المحاضر ما يوجد على شرائحه، وإذا ظهرت المادة المكتوبة بحروف أكبر يمكن قراءتها من مؤخرة المسرح.

ب ـ وقد استفدنا من هذا الموقف عندما جاء دور ممثل البنك الدولى ليلقى ورقته. فقد طلبنا منه تزويدنا ـ عن طريق أمانة المؤتمر ـ بصور واضحة للشرائح الضوئية التى كان ينوى استخدامها، وكذلك بالملخصات التى ينوى القراءة منها أو الدوران فى محتواها. وكان أمينًا ومن ثم كانت الترجمة الفورية موفقة إلى أبعد حد.

ومشكلة عدم الالتزام بالنصوص المكتوبة مشكلة تنظيمية تخص إدارة المؤتمرات، أكثر ما تخص المترجم. ونحن نفترض وجود القدرة العالية للمترجم الفورى وكذلك تأهبه للطوارئ، لكن النصوص العلمية المتخصصة لها هيبة ورهبة خاصة تختلف عما عاداها. وأما عن استخدام الشرائح الضوئية فإن ذلك من أسهل الأمور لدى المحاضرين فى العلوم، ولا ضرر فى ذلك إذا ما توافر للمترجم صورةٌ عن تلك الشرائح ومحتوياتها.

رابعًا: مفاجأة تغيير لغة الإلقاء من الإنجليزية إلى العربية أو العكس خلافًا لما هو معلن فى جدول الأعمال:

أعددت نفسى لأن أترجم لمتحدث بالإنجليزية فى موضوع استمتعت به شخصيًا وهو «الصحة والبيئة». ولم أكن قد رتبت لأى شئ مع المحاضر،



فالأمور فى غاية الوضوح بالنسبة لى. إلا أن مفاجأة حدثت. فقد غاب المتحدث المعلن اسمه فى جدول الأعمال وظهر بدلاً عنه محاضر لم اكتشف أنه سيتحدث بالعربية إلا بعد أن حيا الحضور، وبعدها بدأ فى إلقاء محاضرته باللغة العربية. لقد أعد موضوعًا أخرًا لا يتفق مع الموضوع الأصلى إلا فى العنوان. وكان ذلك مما دعى رئيس الجلسة أن يلفت انتباهه، عقب إلقاء محاضرته، إنه وإن كان نائبا عن متحدث آخر، فقد كان عليه الالتزامُ بما فى ورقة المتحدث الأصلى.

ولم تكن هناك مشكلة فى ترجمة ما قال إلى الإنجليزية. ورغم مفاجأة تغير لغة الإلقاء، إلا أن بطء حديثه بالعربية وكذلك استخدامَهَ لشرائح ضوئية كتبت أيضًا بعربية واضحة وبخط كبير يقرأ من مؤخرة المسرح - كل ذلك جعل عملية الترجمة أمرًا يمر دون مشاكل باستثناء تلك المفاجأة.

خامسًا: تأثير اللغة الأم للمحاضرين على اللغة الإنجليزية:

كان اثنان من المحاضرين بالمؤتمر من غير الناطقين باللغة الإنجليزية:

أحدهما دنمركى والآخر نرويجى. وكان للغتهما أثر بارز فى لغتيهما الإنجليزية من حيث شدة الانتباه التى كنت أوليها لكل كلمة أو صوت عبر السماعات يصلنا أنا وزميلى المترجم.

ولست أرى حلاً معينًا لتلك المشكلة سوى أن يتحدث المترجم إلى ذلك المحاضر قبل المؤتمر ليتعرف إلى لكنته. وبالطبع هذا أمر غير ممكن التحقيق فى جميع الأحوال. وهو غير متيسر إذا ما كان المتحدث ذا وضعية سياسية معينة كأن يكون وزيرًا أو سفيرًا أو رئيسًا لدولة.

بهذا، أضع بين أيدى المهتمين جوانب من تجربتى فى الترجمة الفورية لمؤتمر «من بحر إلى بحر» وأقدمها دون سفسطة أو تنظير مفرط أو إغراق فى طلاسم المصطلحات العلمية لنظرية الترجمة. أملا أن يكون فيها بعض الفائدة للمهتمين والعاملين بالترجمة الفورية. وهى تجربة متواضعة، كما أن حلولى المقترحة حلول فردية بحتة.



تعارف دارسو اللغات الأجنبية من العرب أن كل متمكن من لغة أجنبية، ولديه قدر من التمكن فى اللغة العربية يستطيع أن يكون مترجمًا طالما أن ما ينقله إلى العربية يلتزم بروح النص المنقول عنه، وفى نفس الوقت يكون النص المنقول مقروءًا فى لغتنا العربية متمشيًا مع قواعدها مستخدمًا غير الغريب فى لفظها.

وقدمت أعمال رائدة فى الترجمة منذ عصر محمد على حاكم مصر[1]، الذى شهد عصر ظهور رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠٨-١٨٧٣) وجيله من المترجمين الأول وحتى يومنا هذا، وما تزال تقدم دون أن يكون لمترجميها صفة العلماء من حيث البحث فى اللغتين أو النقل. كل ما هنالك تمكن متميز من اللغتين وقدرة غير عادية على صياغة الجملة العربية حتى ليبدو النص المنقول عربيًا محضًا ولا نشم فيه رائحة لغرابة اللفظ أو نشاز المفردات. تلك ببساطة العملية الفنية التى كانت تتمثل عند ترجمة أى عمل أدبى أو علمى من لغة ما إلى اللغة العربية، فكانت الترجمة فنًا صرفًا، وما تزال فنًا صرفًا مواده الأساسية القدرات اللغوية، والقلم المدرب فى الكتابة العربية.

إلا أنه، ومع صبغ كل شيئ فى أيامنا هذه بصفة العلمية، فقد أدخل أناس الترجمة ضمن العلوم التى يضعون لها قواعد وأصولاً وجذورًا حاسبين حساباتهم وكأن من يتمكن من معرفة تلك القواعد والأصول والجذور وتلك الحسابات سيصبح بعد الانتهاء من ذلك البرنامج الدراسى مترجمًا متمكنًا يوضع فى مصاف من عرفتهم ساحات الترجمة قديمًا وحديثًا ظانًا نفسه ومعتقدًا أنه أصبح مترجمًا لأنه درس علم الترجمة. وفى الحقيقة أنه عالم بالترجمة، ولكنه ليس مترجمًا.

ومع علمنة الترجمة انحدر مستوى ما يترجم إلى مستوى يؤسف له، فأصبحت حتى نشرات الأخبار - التى يقوم بترجمة أصولها بعض من خريجى أقسام علوم الترجمة - تزخر بمفردات لها الشكل العربى ولكنها نشاز ولا يجمعها

(١) د. محمد عمارة، «تحديات لها تاريخ» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢) ص ص ١٧٤-١٧٥.



مع العربية إلا أن حروفها ضمن أبجديتنا. ومع علمنة الترجمة تلك خلت الساحة من المترجمين الأكفاء وأصبح من يتقدم للعمل فى وظيفة لتدريس الترجمة عليه أن يكون حاصلاً على درجة علمية فى الترجمة من جامعة كذا تحديداً، وقسم كذا تخصيصًا لأنهما - كما يزعمون - فيهما علماء ترجمة وفيهما علم ترجمة، أما ما عداهما فلا. وجاءت الطامة الكبرى على أيدى اليابانيين والأمريكيين وما قدموه من أجهزة كمبيوتر تستطيع الترجمة من الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرهما إلى العربية بلمسة ناعمة على أحد الأزرار حتى وصل الأمر آخر المدى باختراع «الترجمان» ذلك الجهاز الذى يوضع فى جيب الطالب أو الدارس فيغنيه عن فتح أى من القواميس الإنجليزية/ العربية ويغنيه عن سؤال أى من المدرسين أو العارفين باللغة، وكذلك يجعل منه على حد الدعاية التى واكبت انتشاره مترجمًا فذًا.

وأقل ما يقال عن تلك المخترعات أنها مؤامرة كبرى يتفق فيها اليابانيون والغرب عمومًا على تدمير لغتنا واجتثاث جذورها وتسطيح أصولها فتصبح عرضة للهيب الشمس فتذبل وتجف و تذروها الرياح؛ فلا عربية أجدنا ولا إنجليزية أجدنا، والنتيجة هى شخوص لا يجيدون العربية ولا يجيدون الإنجليزية.

إن مؤيدى علمنة الترجمة إنما يشاركون الغرب فى تكسير وتحطيم لغتنا العربية دون وعى منهم، وهم قد تأثروا أثناء ابتعاثهم إلى الخارج للدراسة بمنهج الترجمة العلمية بين الإنجليزية والفرنسية أو غيرهما من اللغات الأوربية. وأرادوا عند عودتهم أو حتى قبل عودتهم إلى عالمنا العربى أن ينقلوا ثمرة ما تعلموا فكانت نتيجة علمهم صفراً وكانت محاولاتهم أصفاراً فى رصيد تقدم العربية. فعلمنة الترجمة جائزة فى الإنجليزية والفرنسية أو غيرهما لما لتلك اللغات من روابط جذرية تساعد فى سهولة النقل. فأما المسافة اللغوية ما بين الإنجليزية والعربية وما بين الفرنسية والعربية كذلك، كبيرة، ولن تقرب بين عربيتنا وأى من هاتين اللغتين أطروحة دكتوراه أو بعثة للإتيان بقبس من نور أو نار الغرب المتمدن.



لذا تظل محاولات علمنة الترجمة بتراء لا تستند على أسس منطقية أو عقلية. فالترجمة فن كامل متكامل على من يقترب منه أو يحترفه أن يتحلى بما للفنان من ذوق رفيع و حس مرهف وأذن فنانة. والترجمة كما تعلمنا وكما عرفنا هى أن نكون عربًا أولاً؛ أن نكون طلابًا ممتازين فى اللغة العربية وفى المقال العربى. ويسير ذلك جنبًا إلى جنبٍ مع تعلمنا للغات الأجنبية كالإنجليزية مثلاً.

وتأكيدًا لمبدأ «العامة على دين الملك» فقد قلدت الشعوب العربية الحاكم المنتصر والمحتل الغازى فى لغته وذلك على حساب لغتنا العربية التى نحرص عليها ونعتز بها. فلم يقتصر الدور على الترجمة - وهى مرحلة ابتدائية فى عملية التفاهم مع الحكام الجدد، ولكن تعداها الأمر إلى التكلم بلغتهم، أو «الرطانة» بلسانهم. وإذا كان المصريون قد أخذوا عن الفرنسيين بعض مفرداتهم، وأصبحت الفرنسية هى لغة العلية فترة ما، أو صفوة المجتمع، فإنهم أفضل حالاً وحظًا فى التمسك بالعربية من غيرهم. فقد وجد أهل المغرب العربى حلاً جذريًا لتلك المشكلة وهى التخلى عن لغتهم للغة المحتل الفرنسى. ولقد تكلفت عمليات التعريب فى المغرب والجزائر وتونس أموالاً طائلة كى يستعيد الشعب لغة دينه وعقيدته على المستوى الرسمى فقط. أما بين الأفراد فإن اللغة إما أن تكون فرنسية بحتة وإما أن تكون عربية بمخارج حروف فرنسية لا نفهمها لأن ناطقها متعلم لها وهى غريبة على مخارج صوته ولفظه. ورغم مجيئ الإنجليز عقب الفرنسيين إلى مصر الا أن بعض المفردات الفرنسية بقيت على ألسنة المصريين زمنًا طويلاً وحتى ساعتنا هذه. ورغم منافسة الإنجليز للفرنسيين، ورغم المحاولات المستميتة لكلتا الثقافتين كى تنتصر إحداهما على الأخرى، فإن الفرنسية بقيت ثقافة الصفوة وإذن دخول إلى عديد من الوظائف الرسمية وغير الرسمية حتى ذهبت الملكية وجاءت الجمهورية فأصبحت الإنجليزية هى وسيلة الدخول إلى الوظائف العليا.

مع التقدم القشرى الملحوظ فى مجتمعاتنا العربية الوليدة بُنيت بيوت كبيرة وفيلات متعددة الطوابق ذات غرف عديدة فرشت معظمها بالسجاد أو الموكيت



وملأتها الأجـهزة الكهربائية وامـتلأت تلك البيوت من أولها إلـى آخرها بالزجاج والأخشـاب اللامعة، وكان كل ذلك يـمثل عبئًـا لم يكن فى حسبـان المرأة عند الزواج. فـالمرأة فى بيت زوجـها عليـها أن تـهتم بزوجـها: ملبـسه، ومـأكله، ومشربه. وهى عند الإنجاب تضاعف اهتمامها ويتعدى ذلك الاهتمام الزوج ليصل إلى البنين والبنات ثمرة الحب والاستقرار الزوجى. إلا أن المرأة المسكينة تصطدم بوضع معاكس: أن فى بيتها أعمالاً إضافيـة عليها أن تقوم بها كتنظيف عشر نوافذ زجاجية يوميًا، وشفط الغبار عن مئة متر من السجاد يوميًا على الأقل، وتشغيل و مراقـبة خمسـة أجهزة من بينها الثـلاجة والبوتاجـاز والغسالة والنشافـة وعدد من الخلاطات ومجفف الشـعر مروراً بأجهزة الفيديو والـتلفزيون والإستريو والأتارى وصولاً إلى قيـادة السيارات وصيانـتها فى بعض الدول التى تسمح للنسـاء بقيادة السيـارات. أمام تلك الضـغوط الهـائلة على ربة البيت، مع مـلاحظة أن الرجل العربى يعـتبر مـساعـدة زوجته المـسكينة فى أعمال البـيت انتقـاصًا من كرامـته ورجولته، أمام ذلك كان لابد من الاستعانة بالخادمة والمربية والطباخ والسائق.

ولقد كـانت بدايات الستينيات وطوال السـبعينيات مـثالية، فبـيوت الخليج تستقدم خـادمات ومربيات من دول عربية شقيـقة ولا خطر فى هذا على لغة أفراد الأسرة وخصوصًـا الأطفال. ولكن تغيرت الأحوال وفتـحت أسواق جديدة لتلك المهن فى الهـند والباكسـتان وبنجلاديش وسـريلانكا والفلبين وإندونيـسيا. كـما تعـددت مكاتب الاسـتقـدام التى تحـضر برقـيًـا أى عدد يطـلب من الخادمـات والمربيـات والسائقين والطباخـين وحسب الشكل والذوق المطلوب[1]. وبالطبع تكون ربة ورب الأسرة أمام أمـرين للتفاهم مع القادم إليهم إما أن تـتحدث الأسرة بلغة غيـر عربية كالإنجليزية مثـلاً كى تفهم المربية أو الخادمـة أو يفهم السائق أو الطبـاخ ما يقـولون شرط أن يكون المـخاطب على درايـة باللغة الإنجليـزية التى

(١) السياسة الدولية، العدد ٩٤، أكتوبر ١٩٨٨م. محمد صبحى «مجلس التعاون الخليجى كتجربة للتكامل الاقتصادى شبه الإقليمى ـ دراسة تقويمية» ـ ص ص ٨ -٣٢. وقد وصلت نسبـة مشاركة الأجانب فى العـمل فى الإمـارات حتى عـام ١٩٨٠ ٧٩,٥٪، وفى البـحـرين (١٩٨١) إلى ٧٦,٥ ٪ وفى الكويت (١٩٨١) إلى ٨١,٢ ٪ - مع مـلاحظة أن نسب السكان من الهنود فى الإمـارات مـثلاً قـد وصلت إلى ٢٢,٧ ٪ فى عام ١٩٨٠، والباكـستانيين (١٩٨٠) إلى ١٨٪.



يستخدمها سادة البيت. وهذا ما ينعدم بين معظم هؤلاء الأفراد لأن اللغة الإنجليزية تعنى أن ذلك الفرد قد تعلم شيئًا ما إضافة إلى علوم لغته، ولو تعلم ذلك ما قبل أن يكون سائقًا أو طباخًا. وكذلك المرأة ما كانت - لو تعلمت - تقبل أن تعمل مربية أو خادمة. وهنا يأتى الخيار الثانى، استخدام الإشارة فى المخاطبة.

وبذا تعود الأسر العربية باللغة إلى جذورها، حيث الإشارة أول بدايات صنع اللغة. وتبدأ سيدة البيت تصرخ ويرتفع صوتها بمناسبة وبدون مناسبة للأخطاء المتكررة التى تسببها الخادمة فى إدارة المطبخ. فالمطبخ هو القلب النابض للبيت وبدونه على أهل البيت أن يهجروا بيوتهم ويبحثوا عن مكان آخر. وليس موقفًا طريفًا أن يأتى الرجل بعد يوم شاق ليجد أن عليه فى الغذاء تناول قطعة جبن وكسرة خبز لخطأ ارتكبته الخادمة أو الطباخ، وعليه تنشأ أول مشاجرة بين الزوجين منذ زواجهما. ويمكن تدارك نتائج ذلك الموقف لتستمر الحياة فى وجود هؤلاء القادمين: الطباخ والسائق والخادمة والمربية. وبمرور الأيام تتغير لغة الإشارة لتأخذ شكلاً جديدًا، إنها لغة ثالثة، إنها لغة عربية ليس لها طعم ولا لون ولا ذوق ولا رائحة. لا قواعد ولا أصول ولا نحو ولا صرف يحكمها، وكذلك لمستخدميها كامل الحرية فى كسر ونصب وجر وتأنيث وتذكير وجمع وإفراد وتثنية مفرداتها. وعليه أصبحت تلك اللغة تشمل فى مصطلحاتها: «أنا فى يروح»، «أنا فى ييجى»، «أنا فى كلام أنت فى جنجال»، «أنا يبغى سامان هذا نمونه»، «أنت فى ولد فنان».

وكفى هذه الشريحة من الأمثلة التى يتداولها من ابتلوا بتلك الفئة من العمال والمستخدمين الذين يجيدون هذه اللغة ويسمونها هم، وقبلوها لغة عربية. ولو كان الأمر يقتصر على ربات البيوت وأفراد الأسرة من العامة ومن فى حكمهم لهان الأمر، لكن ذلك الخطأ يصبح خطيئة حينما نجد أستاذا جامعيًا متخصصًا فى اللغة العربية يستخدم تلك المسخ اللغوية ليتحدث مع سائق أو طباخ أو مربية أو خادمة. وكذلك يكون نفس القدر من الخطورة حينما نجد أشخاصا على قدر من



الثقافة والعلم فى موقع مسئولية قيادية ينزلون من أبراجهم فيستخدمون تلك المسخة للتحدث إلى أحد السعاة بتلك المفردات.

إن أول تفسير لموقفنا كمتعلمين نستخدم تلك المسخ اللغوية هو عدم الاعتزاز باللغة العربية. فتلك المسخ هى وسيلتنا للتفاهم مع خدمنا. وانقلب الأمر رأسًا على عقب فبدلاً من أن يضطر هؤلاء الخدم - بحكم حاجتهم للمرتبات العربية - أن يتعلموا لغة العرب، أصبحنا نحن نتنازل عن أهم مسوغ لشخصيتنا التاريخية مقابل خدمة تافهة يقوم بها هذا أو ذاك ممن يقومون بأعمال وضيعة كنظافة الشارع أو البيت أو المكتب أو تهذيب أشجار الحديقة وريها والاهتمام بالأزهار والحيوانات إن وجدت. وبذا نكون قد خسرنا أكثر بكثير مما توقعنا من قدوم هؤلاء الخدم والسعاة ومن فى حكمهم، فلا نحن أبقينا على لغتنا ولا نحن تعلمنا لغة هؤلاء الخدم. وكذلك حال الخدم فهم لم يتعلموا العربية التى هى مطلب أساسى لفهم معظمهم القرآن والسنة حيث غالبيتهم من مسلمين غير عرب وبذا تكون أى فائدة أخرى عدا الفائدة المالية، قد انتفت بالنسبة لهم.

لقد أفلح المستعمر أن يزرع فى نفوسنا الصَغار وعدم الاعتزاز بأنفسنا فأصبح العربى صاحب التاريخ والحضارة يتنازل عن لغته أمام الإنجليزى والفرنسى والأمريكى فيتكلم لغتهم ويجيدها برطانة أهلها وربما أفضل منهم أحيانًا ويتخصص فى حقول يحسدوننا عليها وكيف أننا استطعنا البحث فيها. وأصبح نفس العربى يتنازل عن لغته أمام الفلبينى الذى يأكل لحم الحمار والكلب والقط، ويتنازل عنها ثانية أمام الهندى الذى يغتسل ببول البقر و الآخر الذى يعبد بوذا والثالث الذى يعبد النار والخامس الذى يصلى للشمس. ولذا خُلع من نفوس أبنائها الاعتزاز بالعربية وخُلع من نفوسهم احترامها، فلا غرابة أن تنتشر ظاهرة الدروس الخصوصية فى مادة اللغة العربية فى مدارسنا، ولا غرابة أن ترتفع نسبة الرسوب بين طلابنا فى تلك المادة أو أحد افرعها من أدب ونحو وصرف وشعر أو نقد. لقد كان المتوقع أن يثرى اختلاطنا بالأجانب من غير الناطقين بالعربية لغتنا، وأن يضيف لها العديد من المفردات نتيجة الترجمة والنقل. الذى حدث هو



أن أخضعنا لغتنا لحاجتهم هم، أن أخضعنا لغـتنا لقدراتهم العقلية حتى يفهموا ما نريد منهم أن ينجزوا لنا. وأخضعنا لغتنا لقواعد لغتهم. فأصبحنا مترجمين ضعافًا من العربيـة إلى لغة هلامية لم يسـتطع أحد تسميـتها حتى الآن مـثل التى اقتطفنا بعضًا منها فى الصفحات السابقة.

اننا ندعو الأجهزة القائمة على مكاتب الاستقدام من المناطق المتكلمة بغير العربيـة أن يلزموا من يستقـدمونهم للعمل فى الدول العـربية بإجادة مبـادئ اللغة العربية. وعلى جـامعاتنا أن تقوم بعـمل كتيبات صـغيرة تحوى ترجمـة المفردات الأساسية المطلوبة لكل مهنة[1]، وكذلك التراكيب الأولية التى يمكن أن تكون فى متـناول جمـيع هؤلاء المسـتقـدمين. فـبعـد إجادتهم لتلك الأسـاسيـات يكون باسـتطاعتـهم أن يضيـفـوا إلى أبنيتـهم اللغـوية البسـيطة التى تعلمـوها من تلك الكتيبات. ولا أشك أن أيًا من هؤلاء العمال سيـرفض راتبًا يعادل مئة ضعف راتبه - فى بلده - إذا هو تعلم أساسيات اللغة العربية. إن للأموال العربية سحراً وجاذبية حتى لدى الأمـريكيين والإنجـليز فمـا بالك بشعـوب غلبت على أمرها كـالهنود والبنغال.

(١) وقد قام كاتب هذه السطور بالمساهمة وبإعداد كتيب من هذا النوع يقدم للممرضات القادمات من الفلبين وأمريكا وأوروبا للعمل فى إحدى مسـتشفيات وزارة الدفاع بالمملكة العربية السـعودية وقدمت المفردات العربية كما هى إلى جانب نطقها بالحروف اللاتينية مع تقـديم مفتاح لنطق تلك المفردات، وقد اعتمدنا مفتاح جامعة ميشيجان فى هذا الخصوص. وكانت دراسة ذلك الكتيب - بدون مدرس - تستغرق أقل من أسبوع، بعدها يحضرن دورة مكثفة فى اللغة العربية لمـعرفة قواعدها البسيطة والتراكيب الأولية المطلوبة يوميًا بين الطبـيب والممرضة والمريض الذى يراجع المـستشفى. ولقد شـرفت بتدريس تلك المواد فى ثلاث دورات متتالية كتـب لها النجاح الكبير وكان من نتائجها الاستـغناء عن بعض المترجمين فى تلك المستشفى.





ملحق (أ)

تعريب العلوم....وقضية التنمية(*)

د/ الشاذلي القليبي

يثير موضوع تعريب العلوم مشاكل كثيرة، بعضها ذو طابع اجتماعي وبعضها يتعلق بتنظيمات وهياكل. فالمشكل الاجتماعي يتمثل في أن استعمال اللغة العربية لا يبدو ضروريا في نظر الكثيرين ممن يشتغلون بالعلوم، فكأنهم يرون لغتهم قاصرة، إضافة إلى ما يعتقدون من عسرها البالغ فيسارعون إلى استعمال لغة أجنبية طالما يتعلق الشأن بمعلومات دقيقة أو اكتشافات علمية حديثة. والمعروف في البلاد المتقدمة أن رجال العلم يحسنون التكلم بلغتهم بتفوق. فلا يتصور أن يبلغ الواحد منهم الدرجات العليا في ميدانه، إذا لم يكن متضلعا من لغته قائما بدقائق نحوها وصرفها، قادرًا على التعبير بها ارتجالا دون لحن. ومن كان اللحن عادته ـ سواء من رجال العلم أو من رجال السياسة ـ فإن وسائل الإعلام تشهر به، ويصبح مضرب الأمثال لكن الأمر عندنا يختلف اختلافا كليا. فالذي يُلاحظ في كثير من الأحوال هو أن عددا غير قليل من الذين يشتغلون بالعلم عندنا لايحسنون استعمال العربية. وبعضهم يجعل انتسابه إلى العلم عذرا عن اتقان اللغة. ومن هذا البعض من يعتقدون أن في إجادة لغة أجنبية مندوحة عن الإفصاح باللغة الوطنية. ولانرى من يستسهل الاعتراف بجهله في أي حال، إلا إذا تعلق هذا الجهل باللغة العربية وقد نرى من يعلن قله درايته بقواعد اللغة العربية في مثل التبجح، فيأتي اللحن ويراطن مخاطبيه في شيء من الخيلاء. والأنكى من كل ذلك أن المجتمع العربي يبدو قابلا لهذه المعاذير، ضاربا صفحا عن المؤاخذة باللحن وأنواع الرطانات، كان لسان حاله يقول: العربية أصعب من أن يضيع وقته في تحصيلها من له مسئوليات سامية يقوم بها، أو علم جليل ينكب عليه.

(*) الأهرام : ٣٩٢٢٣ بتاريخ ٢٧/٤/١٩٩٤.



إن قدرة العربية على استيعاب المفاهيم العلمية وإيجاد الاشتقاقات المناسبة لها، أمر قامت عليه الحجج الساطعة.

ولقد برهنت العربية عن هذه القدرة فى العصور التى كانت فيها تضطلع بزعامة البحث العلمى والإبداع الحضارى. والمكتبة العلمية العربية التى تعود إلى تلك العصور حافلة بالألفاظ والتعابير التى كانت تعد مرجعا بالنسبة إلى الاوساط العلمية فى مختلف أنحاء العالم المتحضر، يقتبسون منها. ومن هذه المكتبة يمكن اليوم لرجال العلم العرب أن يستخرجوا معجما ضافيا يغطى الكثير من احتياجاتهم فى مختلف المجالات.

وبقطع النظر عما تمتاز به العربية من خصائص فذة جعلتها لغة الدين والعلم والفلسفة والأدب والشعر، فإن فكرة قصور لغة ما عن آراء مفهوم جديد، علميا كان أو فلسفيا لاحجة تسندها، إذ نرى شعوبا شتى، صغيرة العدد أو كبيرة الحجم، تستخدم لغتها فى تدريس العلوم، وفى البحث العلمى، وفى سائر المرافق التكنولوجية، دون أن يكون ذلك عائقًا لها فى شيء.

من المشاكل التى تتعلق بتعريب العلوم نوع ثان يخص منهجية العمل فى هذا المجال.

فتعريب الألفاظ العلمية الحديثة قد يكون بالرجوع إلى كتب العلم القديمة لاصطفاء ما يناسب منها، سواء كان ذلك بالتطابق الكامل أو المقاربة، وتحميل الكلمة القديمة معنى إضافيا. فإذا تعذر العثور على اللفظ القديم المناسب، فالاشتقاق الذى هو من خصائص العربية كفيل بأن يفى بالحاجة.

أما الإبقاء على الجذور الأجنبية للمصطلحات العلمية، فلا نرى أنه يمكن الأخذ به قاعدة مطردة. وليس ذلك متبعا لدى الشعوب المعتدة بلغتها مثل الشعب الألمانى الذى على سبيل المثال، يصر على تسمية التلفزة بلفظ ألمانى مغاير لما هو متداول فى بقية العالم ثم إن الملاحظ أن جهودنا فى تعريب العلوم



تتسم بضعف التنسيق وبتضارب الاجتهادات فى الكثير من الأحيان، حتى أن اللفظة لاتكاد تفهم على وجهها الصحيح فى غير القطر الذى انشأها. وهذا يعود إلى غياب التعاون المنظم بين جامعاتنا. ومعاهد البحث العلمى عندنا، وإلى فقدان الندوات الدورية فى مختلف القطاعات لتمكين ذوى الإختصاص من التلاقى بانتظام، لمناقشة حصيلة دراساتهم ومقارنة ملاحظاتهم.

ويعزى هذا أيضًا إلى أن مجامع اللغة فى البلاد العربية لم تهتد بعد إلى أسلوب عملى لتنسيق جهودها، وجعل خططها الدراسية متضافرة متكاملة.

ثم أنه يجدر أن نتساءل عن جدوى التعريب لعلوم تنهج لها وتضطلع بالبحث لها أمم غيرنا. ونحن لانتجاوز فى أغلب الأحيان حد التعليم والاقتباس بتعريب العلوم إن لم يقترن بحركة جادة متجهة إلى البحث العلمى فى الاجتهاد التكنولوجى، فإنه يبقى عملاً سطحيا بدون جذور ولا كبير نفع. إن وظيفة مجمع اللغة العربية، هذه المؤسسة العتيدة الرفيعة الشأن تنطلق من الغيرة على اللغة العربية، والإيمان بقدراتها العظيمة، والوازع القوى إلى صيانتها وتنميتها. وبهذا الاعتبار فان مهمة المجمع تتجاوز الإطار اللغوى إلى كل مابه تستقيم صحة اللغة وتزداد قوة على التعبير ونصاعة فى الأداء. ذلك أن اللغة منصهرة فى حياة المجتمع، تعبر عن مآربة وتطلعاته وخلجاته، إضافة إلى ما حملتها الأجيال السابقة من دلالات ومفاهيم ومجازات. ولسنا نبالغ فى شىء إذا ما قلنا أن قوة اللغة من قوة مجتمعها، وإن ما يطرأ عليه من ضعف وتقهقر، لابد أن ينعكس عليها بالركود والانكماش. إن قدرة اللغة العربية على التعبير، ومرونتها فى الأداء، وطاقاتها باتجاه التجديد والابداع، كل ذلك مستمد من حيوية المجمع وتجدد اهتماماته وتوسع مجالات اجتهاده.

فقضية اللغة مرتبطة إذن أشد الارتباط بالفكر وحركيته، والثقافة وشموليتها، والحضارة وابداعاتها المتواصلة.



ويمكن أن نوجز هذه الحقائق كلها بأن نقول أن تنمية اللغة إنما هى متوقفة على تنمية المجتمع.

وكثيراً ما يذهب الساسة، فى البلاد التى تنشد التنمية، إلى أن أدواتها تنحصر فى الحقل الاقتصادى والحقيقة أن التنمية تشمل كل أنشطة المجتمع : الفكرية منها والثقافة والعلمية، إلى جانب القطاع الاقتصادى ذلك أن التنمية ليست بعملية سطحية، تخص مظاهر اجتماعية أو اقتصادية يمكن حصرها وتسليط الأضواء. عليها التنمية لا تكون حقيقة إلا إذا كانت شاملة لكل القطاعات، كما ذكرنا آنفا، وكأن الهدف منها تفعيل المجتمع بتعزيز قدرته على الحركة وعلى المبادرة. والخروج من التخلف إنما هو خروج من السلبية التى كان المجتمع مخلدا إليها، بتفجير ينابيع الاجتهاد فى أعماقه.

إن شعوبنا العربية، فى هذه الحقبة مضطرة، أكثر فأكثر، فيما يخص مرافق العيش والاقتصاد، إلى مد جسور بينها وبين العالم الملقب بـ "المتقدم" الذى غمر الدنيا بإنتاجه، ودوخ سائر الأقطار بسيطرته الإعلامية وإشعاعه الثقافى، ونفوذه الاقتصادى والمالى والسياسى، فضلا عما استتب له من سيادة بالقوة العسكرية. والخيارات المتاحة لشعوبنا، بخصوص نوعية الاتصال بهذا العالم المتقدم، تنحصر فى أحد وجهين: أما البقاء فى سلبية تامة تجاهه، فتكون أقطارنا سوقا مفتوحة له بدون حراك ولامبادرة، وإما التفاعل معه بقوة متطورة، فى نطاق تنمية حقيقية. تضمن لشعوبنا القدرة على إنشاء علاقات تبادل متكافئة أكثر فأكثر، مع سائر الأمم.

لكن التنمية فى عصرنا هذا تتوقف إلى أبعد الحدود، على ما للشعب من قدرات علمية ومهارات تقنية وطاقات تكنولوجية. فرهان التنمية مرتبط اليوم بمدى السيطرة على هذه المجالات الحيوية لدفع عجلة التنمية ـ وكذلك لضمان الحد الأدنى من القوة الدفاعية.



والسيطرة على العلوم والتكنولوجيا وسائر التقنيات الحديثة لا تكون بتعلم ما يكتشفه الغير، والاقتباس من بحوثهم، وتقليد ما يضعونه. السيطرة لا تكون إلا بالمشاركة الفعلية فى البحث العلمى وإثرائه، وابتكار التقنيات المتلائمة مع مناخ شعوبنا الثقافى والاجتماعى، والارتقاء إلى مرتبة الاجتهاد فى كل ما يحتاج إليه المجتمع العربى من أدوات وأجهزة ومرافق، حتى لا يبقى عالة على ما يأتيه من الخارج، مرتهن، فى مجالات حيوية، بقرار غير قراره.

ولبلوغ هذه الدرجة من السيطرة على العلوم والتقنيات، لابد من بذل جهود عظيمة فى إطار مناسب من الإمكانيات المادية والبشرية، ومن حيث المناخ الاجتماعى. وفى ذلك تحديات عديدة تواجهها شعوبنا.

١ ـ التحدى الأول يتعلق بتوفير الإمكانيات المادية التى يحتاج إليها البحث العلمى. وهى أثقل من أن تقدر عليها دول أوروبية من حجم ألمانيا أو فرنسا، فما بالك بدولنا التى يحتاج أغلبها إلى معونات خارجية.

٢ ـ ويدخل فى هذا التحدى أيضًا ضرورة تفرغ عدد كبير من العلماء ورجال التقنيات المختلفة وهو كذلك مما تنوء به دول متقدمة مثل التى ذكرنا، فضلا عن أقطار لاتزال فى أول مسيرتها الإنمائية.

وليس فى العالم اليوم دولة غير الولايات المتحدة تقدر، منفردة، على التغلب على معطيات هذا التحدى، فيكون لها من أهل العلم والتقنية ما يفى بالحاجة، ويكون فى مقدورها أن تخصص المبالغ التى يقتضيها البحث العلمى ومختلف نفقات التجارب التكنولوجية. ولذلك نرى الاتحاد الأوربى يسعى لتوحيد جهود دُوَله فى هذه المجالات، كى لا يبقى تابعا لأمريكا محتاجا إلى الأخذ عنها.

فهل نستخلص من هذه الحقائق أن الطريق مسدود أمام شعوبنا.

لاشك أن شعوبنا لن يتسنى لها كسب التنمية إلابالعلوم والتكنولوجيا. ولا شك أن السيطرة على العلوم والتكنولوجيا لن تتحقق إلا ببناء القدرة على البحث



العلمى والإبداع التكنولوجى، لا لسد حاجاتنا جميعا وهى غاية يعسر إدراكها حتى على الدول العظمى - بل للإصلاح من علاقتنا مع سائر الأمم، وجعل هذه العلاقة تتطور نحو التكافؤ ونحو الإفساح من حرية قرارنا.

وللتغلب على ما تشكوه كل دولة من دولنا من نقص فى الأموال أو نقص عدد العلماء والفنيين - أو أحيانا فى كليهما معا - فإن الحل المتاح أمامنا هو أن نضم امكانياتنا جميعا حسب مخطط يوزع الأعمال وينسق بينها ومسئولية التخطيط لهذا العمل العظيم والإشراف على تنفيذه، يجب أن تتفرغ لهما المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، لأن هذا العمل هو المدخل الحقيقى إلى الارتقاء بمجتمعاتنا إلى مصاف الأمم التى تمسك ببعض ناصية مصيرها، لأنها تعلم الكثير مما يعلمه الآخرون، وتقدر على الكثير مما يقدورن عليه. وحبذا لو تفرغت كذلك لنفس الغرض المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم فتتضافر جهود الدول العربية والإسلامية. فإن ذلك سيزيد من سرعة الإنجاز بتوسيع الإمكانيات العلمية والمادية المعتمدة.

وعندئذ تزداد أهمية ماندعو اليوم إليه من اجتهاد فى تعريب العلوم، لأن مجتمعاتنا لا تكون مقصورة على استهلاك ما أنتجه غيرها من الأمم بل تكون قد انكبت على الإسهام الجدى فيه، بكل طاقاتها الفكرية والمادية.

وعندئذ تستعيد لغتنا ما كان لها من قوة واشعاع وكفاية، لما كانت سيدة لغات زمانها فى أداء حصيلة البحث العلمى والأجتهاد الفلسفى، وتسمية ما يستنبطه أهلها من مرافق الحضارة. هذا هو التحدى الكبير الذى على شعوبنا الفوز به لتمسك بزمام مصيرها، وتدخل المحافل الأممية وهى قادرة على الإسهام فى جلائل الأعمال، لافقط مدافعة عن حقوقها المهضومة أو مندده بما تتعرض له من اعتداءات على الأرواح وعلى الأرض وعلى الثروات وهو عمل يستحق أن تضحى دولنا فى سبيل تحقيقه بكل غال وأن تضمن له الوسائل اللازمة، من تفريغ ثلة من أكابر علمائنا، ورصد المبالغ المالية الكافية لإنجاح خططهم،



واتخاذ القوانين الملزمة لسائر الجامعات ومعاهد البحث، للعمل فى إطار تنسيق عام تشرف عليه المنظمة. بتنامى المبادلات الاقتصادية والثقافية، وتزايد التفاعل مع المجتمع الدولى، تتسرب إلى مجتمعاتنا ألوان من السلوك، ونماذج من التفكير، تنتمى إلى الحضارة الجديدة التى تنافس على زعامتها أوروبا وأمريكا، والتى هى فى طريقها إلى أن تسود العالم بأسره. وتتسرب هذه الشوائب فى طى ما نتطلع إليه من إنتاج ثقافى وفنى، وما نأخذ به من أساليب الفكر الحديث، ومن خلال مانتعود الاحتياج إليه من أجهزة ووسائل تقنية أصبحت من ضرورات الحياة اليومية.

نعم كل واحدة من هذه الهنات لا وزن لها - أو هى تبدو كذلك - ولكنها أكثر من أن تحصر وهى تكتنفنا من كل جانب. ومجموعها ثقيل الوطأة ويؤول بمجتمعاتنا إلى تغيرات عميقة تمس التقاليد وتنفذ إلى القيم الاجتماعية، وتنال أحيانا من القيم الأخلاقية وإذا بنظرتنا إلى الأشياء تتغير، وإذا بتقييمنا للأمور يتبدل. ينحل، من حيث لانشعر، ورباط التكافل بين أفراد العائلة. وتضعف أواصر التضامن داخل المجتمع. والتضامن والتكافل هما من أهم مقومات حضارتنا ومن أقوى دعائم مجتمعاتنا.

وهذا هو التحدى الثانى الذى تواجهه مجتمعاتنا العربية وقد يحبط جهودها فى التغلب على التحدى الأول، باختلاف السبل أمامها وتفاقم الجدال فى خصوص آثار التنمية على الأصالة،وما ينتج حتما عن مساعى الحداثة من مخاطر تختلف فى تقييمها، وفى طرق التحصن منها.

فالتحدى الأكبر الذى تواجهه مجتمعاتنا اليوم - بعد تحدى التنمية وبسببه - اليوم - إنما ينصب أساسا على إيجاد توازنات حية مرنة بين فروض التنمية وماتقوم عليه من اجتهادات وحركية وتطور، وبين واجب الحفاظ على شخصيتنا الحضارية وذاتيتنا الثقافية.



وتلك من أكبر المعضلات التى تواجهها الإنسانية عامة. وهى أشد وطأة وأصعب مراسا بالنسبة إلى مجتمعات مختلفة لا تملك من الحيوية الاجتماعية والحركية الاقتصادية ما يمكنها من حرية القرار وشرف المسئولية.

وأخطر ما يهدد مجتمعاتنا من جراء ذلك، تضاؤل الرابطة بالتراث، وتراجع عاطفة الانتماء عند من يسميهم الجاحظ بـ "النابتة" لتغلب الانبهار عندهم بحضارة قدرت على ضبط نواميس الطبيعة ونفذت بالحس أو بالمعنى، إلى أقطاب الكون، إضافة إلى أنها أعطت الإنسان الغربى قوة سيطرة لم يسبق أن ارتقت إلى مثلها أمة فى التاريخ.

ومن نتائج هذا الانبهار أنه يجعل، إلى جانب ثقافتنا القومية، ثقافة مرجعية تحكم تقييماتنا الأدبية الاجتماعية والفكرية وتغير من لغتنا، لا فقط بإدخال كلمات أجنبية عليها، بل بتغيير سبك جملها، وبإقحام تراكيب أعجمية فيها، وقوالب وصيغ تعبيرية ليست متآلفة مع النفس الأسلوبية الذى تختص به لغتنا.

لكن شئنا أم أبينا ثمن ماتصبو إليه، شعوبنا من ازدهار وتقدم وسؤدد ، هو هذا الثالوث من المرجعيات التى تفرض علينا حضاريا، وثقافيًا، ولغويًا.

وإذا نحن تصدينا للعملية الإنمائة بكل ما تعنيه من تفعيل المجتمع، وإخراجه من السلبية فإن وعينا لخطر هذه المرجعيات الحضارية على صيانة ذاتيتنا من الانبهار، وحثنا على الأخذ بالنسبية فى تقييم مخاطر ما يسميه البعض بالتلوث الحضارى والثقافى واللغوى وكفيل أيضا إقناعنا بالسعى لمعالجة ما يمس القيم العليا واللحمة التى بها تماسك مجتمعاتنا، بما يلزم من حيطة وحذر.

فمدار رهان التنمية إنما هو فى القدرة على التمييز بين الجوهر والإعراض فأما الجوهر فهو بناء مجتمعات قوية، مزدهرة يحق الاعتزاز بها. وتلك هى الكرامة الحقيقية وأما الإعراض، فما سوى ذلك من تنظيمات دخيلة أو قديمة، بعضها مرتبط بظروف الزمان والمكان، وبعضها يختلف باختلاف البيئات الحضارية والأجواء الثقافية.



والتمـييـز بين الجوهر والأعـراض، أن يصبح واضـحًا كل الوضـوح لدى شعوبنا، فانه يمكنها من الصبر على بعض الأذى، من أجل الحصول على أسباب العزة والكرامة.

هذه الصحـوة بإحكام التمييـز بين الأمور وجعل كل منهـا فى نصابه. هذه الصحـوة ضرورية حتى لا تخطئ مـجتمعـاتنا، فتتـجه إلى تحديات غيـر نافذة، فتخرج من ساحة التاريخ، لذهاب ريحها وانقطاع جهدها.

وضرورة هذه الصحـوة تزداد قوة وتأكدًا، نظرًا إلى وجود أمـتنا فى منعرج من صراعهـا مع الصهيونية : فـإما أن نكسب معركـة السلام مع إسرائيل، وذلك يتطلب منها اقتصادًا نامـيا بحق، وجهودًا متناسقة بجد، لأن السلام مـعركةحامية الوطيس، يكسـبـهـا ذوو الإرادة القـوية المـعـززة بطاقـات عـتـيـدة من العلوم والتكنولوجيا والتنمية الشـاملة، وإما أن يتم لإسرائيل ـ لاقدر الله ـ ما خططت له الصهـيونية مـن هيمنة على المنطقـة وثرواتها، فتكون دولنا قـد فشلت فى قـيادة الحرب، وتكون شعوبنا قد خسرت معركة السلام.

فى تاريخ أمتنا فترات كانت فيها تروم بلوغ أهداف جليلة. فإذا بنكبات تحل بها أو بفتن تزعزع أركانها، فتنكس مسيرتها نحو القوة والعزة.

وفى تاريخ الإنسانية مواعظ تشير إلى أن الأمم، كـالأفراد، معرضة للموت والاندثار، لصروف كثيرة من التاريخ، منها انقطاع الصلة بالجذور أو الوقوف عند الماضى والانشغال عن المستقبل.

إن قوة الأمة من قـوة جذورها ومن قدرتها على صنع مصيـرها، معا بدون انفصام بين هذين الركنين.

وإنه من جـد شعـوبنا أن تؤلف أمـة، بتاريخـها الـمشـترك، وحـضارتهـا المجـيدة، وهذه اللغة تحـدت الزمان، ونفذت إلى البـيئات الثقـافية الدانيـة منها والقاصية.



وقد كان الانتساب إلى أمة واحدة أحيانا مجلبة للمتاعب لسوء فهم بعضنا للأمة، ولخروج بعضنا عن فروض الأخوة والتضامن والمحبة التى هى أصل معانى الأمة.

ورغم كل شيء يبقى أن الأمة رصيدنا ينبغى ألا نفرط فيه، كما ينبغى أن لانسئ التصرف به.

أن تذهب ريح أمتنا العربية بتشتت شعوبها وتناقص اجتهادات دولها، فإن وزن كل شعب من شعوبنا ينخفض، ومكانة كل دولة من دولنا تنتقص.

عندئذ لاشك أن إشعاع ثقافتنا فى العالم سيتراجع، وأهمية لغتنا فى المحافل الدولية ستتضاءل فترتد هذه وتلك إلى إقليمية ضيقة دون رسالة إنسانية تذكر، ودون استناد إلى فضاء بشرى منتظم الأوصال.

بهذا الاعتبار، فإن كل ما يتعلق بنهضة مجتمعاتنا: فضاء حضاريا وثقافيا ولغويا وكل ما يهم شعوبنا: أمة متضامنة الأوصال متكاتفة فإنه يهم هذا الملأ الكريم الذى رسالته الذود عن اللغة العربية فى جذورها وفروعها.

إن جيلنا مطالب بأن يجد نقط الوئام والتضافر بين القوى التى تشد أوصال هذه الأمة: اللغة والحضارة والسياسة حتى لا ينفرط العقد بطغيان أحد الأثافى على الاثنين الأخرين.

وينبغى أن تنظم نقط الوئام حول محور رئيسى ذى قطبين: التكافل فى التنمية والتضامن حين البأس باستقامة هذين الركنين، تستقيم رسالة أمتنا الحضارية ويتسنى لها صيانة شخصيتها وزيادة لغتها قوة وعزاً.



ملحق(ب)

وظيفة الترجمة بين حرف المسطرة والمقص(*)

د / محمد القويفلى

كنت قد كتبت فى الرياض العدد (٩٦٦٣) أسطراً حول كتاب (بلاغة الفن القصصى) وترجمته إلى العربية وقد أبديت سرورى بتلك الترجمة، على الرغم من أن الفارق الزمنى بين ظهور الكتاب بالانجليزية جاوز ثلاثين سنة.

ثم قرأت فى الرياض العدد (٩٧٠٥) مقالاً بعنوان (وظيفة الترجمة) للدكتور بشير العيسوى. أشار فيه إلى ترجمات من ضمنها الكتاب السابق وحديثى عنه، ويرى أن أسفه على ضياع الجهد فى ترجمة كتاب وضع رجله على اعتاب الشيخوخة، ويرى أن ترجمة كتب فى مثل عمره، بل كتب يساوى عمرها نصف عمره يرى أنها تقود إلى «عبور إلى الخلف» على حد تعبيره.

تحوى الأسطر اللاحقة محاورة لمنطقة الأساس لا لرأيه فى الكتاب المذكور. وقبل الدخول فى الحوار ينبغى أن أشير إلى أن ما تحوية الكلمات اللاحقة من آراء لا تعنى على الإطلاق رفض الأفكار النقدية المعاصرة ولا ما قد يأتى بعدها وما بعد بعدها، إذ أننى أعتقد اعتقاداً صادقًا أن ساحة النقد الأدبى بعامة لم تشهد فى تاريخها ازدهاراً وتنوعا وغنى ومناهج تطبيقية تتسم بقدر كبير من التماسك مثلما هو حادث منذ الخمسينيات. ولا تزال سحب الفكر النقدى تمطر من قبل. وأرى أن على المشتغلين فى الحقل واجب ترجمتها ودراستها واستيعابها استيعابًا حقيقيًا وتجريها أيضًا، لا الاكتفاء بأحد موقفين : إما رفضها دون أسباب سوى كونها أجنبية، أو تبنيها تبنيًا كرنفاليًا.

أقول: حاولت مقالة (وظيفة الترجمة) الارتكاز على مفهوم زمنى واحد، سأعرض له وسأحاور جوهره وابعاده.

١ ـ وهم الفرضية/ النتيجة.

بدأت المقالة بكلام تدعوه (فرضية) ومن أولى بدهيات الافتراض كون (الفرضية) مقولة صائبة تحتمل الخطأ ولا مندوحة عن تأسيسها على بعض

(*) جريدة "الرياض" : ٩٧١٩ بتاريخ :٢/٢/١٩٩٥ .



معطيات اختــبرت، لا مجرد هواجس عبرت، أى أن القضية لـيست قضية (رأى) محلق فى سماء العاطفة. وعليه ينبغى أن تتـسم الفرضية نفسها بقدر من الوضوح ويغير قليل من الـتماسك، لتكون شيئًـا حيًا قمينًا بأن يخـتبر ويُختبـر، أما الميت فليس له سوى دعاء بالرحمة يتلوها قبر.

وطرائق اختبار الفرضيات مـتعددة تعدد المناهج وتنوع المعارف على أنه لا غنى لطريقة تحاول التوسـل بالعلمية من أن تكون منطقية متمـاسكة متدرجة وفى الطرف الآخر من المعادلة البحثية تقع النتيجة التى قد تكشف عن صحة الفرضية، ومن النادر أن تكون كاملة الصحـة فى صياغتها الأولى، وقد تكشـف النتيجة عن خطل الفرضية، أو عن صحة بعضها وخطل أجزاء منها، فتعدل وتختبر كرة أخرى وأخرى. لتعدل إلى أن تضحى نتيجة وقد تبقـى النتيجة معلقة وكذلك الفرضية : علٍ زمنا آخر يختبرها بأدوات لم تكن متوفرةللمختبر الأول. لقد شطر علماء الذرة بمعادلات فرضية خطوطا على لوح الكتابة قـبل تفجيرها فى الواقع اختباراً لنتائج تلك الفرضيات لا اختباراً للفرضيات نفسها.

أعلم أنى أحاول توضـيح الواضح، وتبيين البـين، وإيقاد شمعـة فى جوف الظهر وسط الصحراء، وكأنما أحاول القول أن الشمس تشرق من المشرق، ولكن ما الحيلة ان كان غبش عسيبى، يقود إلى غير ذلك، أو يوحى به.

ولنبدأ بقـراءة الفرضية نفـسها، قبل النظر فى كـيف اختبرت المـقالة تلك الفرضـية التى طرحـتها فى البـداية، آمل من القارئ الكريم قـراءة كلام الدكـتور العيسوى بدقة، يقول الدكتور فى الفقرة الأولى السطر ٧ ـ ١١ بوجوب أن "تتوفر فى النصوص المترجمة إلى العـربية بعض (العناصر) التى تؤدى إلى (تحديث) ما لدينا، وأن يكون فى تلك النصـوص و (بنفس القدر) (مـسحـة من المعـاصرة)، انتهى التأكيد من عندى.

ما ماهية تلك (العناصر) التى يـفترض أن (تؤدى) إلى (تحديث) مالدينا؟ لا إجابة. ولسنا بحاجـة لواحدة لأن تنازل الكاتب عن التحديث وشـيك. وما معنى (مسحة المـعاصرة)؟ لا إجابة وإن كنا سنعلم لاحقًا أنهـا ترتكز على عنصر واحد يتيم، وأن المقالة كلها مبنية على هذا العنصر.



إن كل ما ندريه حتى الآن أننا أمام عنصرين هما (التحديث) و (مسحة المعاصرة)، لاحظ (مسحة المعاصرة). لا (المعاصرة). ومسحة الشيء تعنى شيئًا منه لا كله تقول العرب: «عليه مسحة من جمال أو هزال، شيء منه». وواضح أن تلك (المسحة) عند الكاتب الفاضل تساوى من حيث الأهمية تلك (العناصر) المتعلق بها (التحديث): فهو ينص على وجوب توفر العنصرين (بنفس القدر). الخلاصة هي أن (مسحة المعاصرة) تختلف عن التحديث، ولكنها تشترك معه فى الأهمية. تنتهى الفقرة الأولى من المقالة بهذا.

ثم تسرد المقالة فى الفقرة الثانية عناوين خمسة كتب مترجمة وتعنى عناية (خاصة) بتوضيح تواريخ ظهور الطبعة الإنجليزية الأولى منها وتواريخ ترجمتها : فتوضح أن اثنين منها ظهرا فى ١٩٦١ ـ أحدهما (بلاغة الفن القصصى) ترجم فى ١٩٦٤، أما الآخر فترجم فى ١٩٨٩، وواحد ظهر فى ١٩٨٦، وترجم فى ١٩٩٣، واثنان ظهرا فى ١٩٨٨ ترجم أحدهما فى عام ١٩٩١وترجم الآخر فى عام ١٩٩٠، واالكتب كلها فى مجال علمى الاجتماع والتربية، ما عدا كتاب (بلاغة الفن القصصى). هذا كل ما حوته الفقرة الثانية.

وفى منتصف العمود الأول من المقالة تبدأالفقرة الثالثة حيث نقرأ صياغة ثانية للفرضية السابقة نفسها ـ آمل من القارئ الكريم ملاحظة تحولات الموقف من مفهوم (التحديث/ الحديث) ـ يقول الدكتور الفاضل ما نصه نصًا حرفيًا دقيقًا: «ومن مقارنة تاريخى الطبعة الأولى فى الإنجليزية وظهور تلك الكتب مترجمة إلى العربية، يمكننا القول أن الكتابين الأولين وهما: التمييز: الموهبة والقيادة وكذلك «بلاغة الفن القصصى» ـ رغم اختلاف الحقلين اللذين يتناولهما ـ قد أخلا (بالفرضية) الأساسية التى ينبنى عليها هذا المقال (وهى) تحديث الموجود العربى من خلال ربطه بما هو معاصرة مماثلة وليس تحديثًا فقط ولكن الظاهر لابد أن نتخلف بعض الوقت أو حتى العقود عما لدى الغرب لذا يكون ما لديهم معاصراً بينها هوجديد حديث لدينا، والمعاصر ابن اليوم، أما الحديث الذى نقصده فهو ابن عشرين أو أربعين سنة مضت». انتهى التأكيد من عندى.



أقول: إنا صرفنا النظر عما فى الأسلوب من ضعف وتداخل وحاولنا قراءته مرة ومرة لنتبين المقصود، يتبين لنا أن كلمة (مسحة) قد اختفت بقيت (المعاصرة)، وإن المقالة تؤكد أن (المعاصرة) شئ غير (التحديث)، وإن الفرق بينهما فرق زمنى تاريخى. ويتضح من عبارة (نتخلف) أن (التحديث) غير مطلوب أما المطلوب فهو (المعاصر) "ابن اليوم" على حد تعبير الكاتب.

بمقارنة صيغتى الفرضية فى الفقرتين الأولى والثالثة يتضح أن (التحديث) الذى كان مطلوبا فى الصيغة الأولى، والمساوى من حيث أهميته لـ (مسحة المعاصرة) ـ هذا التحديث أمسى غير مرغوب فيه فى نهاية الصيغة الثانية. أما (المعاصرة) فقد أصبحت هى المطلوبة وحدها فى نهاية الصيغة الأولى (مسحة) منها فحسب.

وهكذا ناقضت المقالة فى بداية الفقرة الثالثة ما قالته فى نهاية الفقرة الأولى. ولست بحاجة إلى التأكيد على أن الفرضية لم تقف على قدميها، دع عنك سيرها بحثًا عن تأكيد ذاتها. لقد كانت المقالة فى غنى عن تناقض يتحشرج فى حلقها قبل أن تقف على قدميها. تغنيها عنه الفقرة الثانية وما فيها من إشارات إلى تواريخ ظهور الكتب وتواريخ ترجمتها. إن (فرضية؟؟) المقالة هى أنه ينبغى ألا نترجم من المؤلفات سوى الكتب الساخنة التى لم يمض على خروجها من المطابع سوى سبع سنوات (أو أقل من سبع والسبع كثير كما يقول الدكتور الفاضل (نستكثر السبع سنوات) التى تفصل بين ظهور الكتاب ونقله إلى العربية وذلك تعقيبًا على ملاحظته أن كتاب (معاونة الكبار على التعلم) ظهر فى ١٩٨٦ وترجم ١٩٩٣.

وهذه على افتراض منطقيتها ـ لا تعدو أن تكون حكما عاطفيًا جاهزًا، أعطاه وعى الكاتب اسم فرضية. فى حين أن ذاته غير الواعية تعلم غير ذلك ودليل هذا بنصه موجود فى الاقتباس أعلاه من الفقرة الثالثة (بدايتها). ألا يقول الاقتباس بعد سرد تلك الكتب أن كتابى (التمييز : الموهبة والقيادة) و (بلاغة الفن القصصى) "قد أخلا بالفرضية".



الآن، إن قبلنا (جدلاً) كون تلك فرضيـة، فإخلال شيء بها يعنى أن العيب فى الفرضية ذاتها لا فى الشيء نفسه فى المفعول به لا بالفاعل. يبقى أن ترجمتى الكتابين قـد أخلتا، فى حقيقـة الأمر، بموقف سابق التـأسيس فى ذهن الكاتب، حكم مقطوع بصـحته، جملة إنشـائيه تتكئ على ذاتها، لا على واقع يفـترض أن يحققهـا أو ينفيها : لهذا السبب نجدها تسـتمد خبريتها من انشـائيتها، تنطلق من ذاتها لتسبح فى ذاتها، عائدة إلى ذاتها.

إن سألنـا: ما معنى الكـتب المعاصـرة؟ جاء الجـواب : أى تلك التى لم يمض على صدورها أكـثر من سبع سنوات. وإن سـألنا لم ينبغى أن نقتـصر على ترجمتهـا؟ جاء الرد : لأنها معاصرة وأن اسـتفهمنا عن الذى يعطيهـا قيمة؟ ردت المقالة: كونها معاصرة، وإن قلنا مـا يدرينا أنها معاصرة فعلاً؟ أتى الجواب: لأنه لم يمض على صدورها أكثر من سبع سنوات.

تأسيـسًا على ما سـبق وبحساب بسـيط جدًا نجد أن عـام ١٩٨٩ هو أقدم تاريخ لصلاحيـة كتاب للترجمة فى سنتنا هذه. أمـا الكتب التى صدرت قبل هذه السنة؛ فشرط (المعاصـرة) غير متحقق فيها؛ فحـقها من ثم أن توضع فى متحف الأفكار تمر بها الأجيال لترى آثار الأقدمين.

وأن عنّ لنا أن نسأل: ما مصير كـتاب ترجم قبل سبع سنوات، بعد صدور الأصل بست سنوات، أى أنه عمره بات ثلاثة عشر عـامًا ولم يعد (معاصرًا)، أن نضع التـرجمة مع الأصل فى مـتحف تاريخ الأفكـار إياه؟ أم أن الترجمـة تعطى الكتاب (حـياة أخـرى)وتجدد شـبابه بجعله (عـصريًا) ابن اليـوم، وهو عند أهله (حديث) ابن الأمس؟ هذا سؤال، وغيره كثير.

وموجز القول هو أن مقالة (وظيفة الترجمة) أعملت (مسطرة) تاريخ صدور الكتب لتحكم بصلاحيتها للترجـمة، فما كان منها (قياس) سبع سنوات (صلح)، وما تعدى علامة السبعة فى المسطرة (لايصلح) [هكذا].



وقد مر بنا دليل واضح لامراء فيه على توظيف (المسطرة) لكننا لم نتوقف عند دلالته المتعلقة بالمسطرة، فلا بأس من أن نذكر به دون إعادته كاملاً، يقول الدكتور الفاضل فى بداية الفقرة الثالثة من المقالة أى بعد الفقرة الثانية التى حددت مسرداً بالكتب وتواريخ ترجمتها: «ومن مقارنة تاريخى الطبعة الأولى فى الإنجليزية وظهور تلك الكتب العربية يمكننا القول أن الكتابين الأولين قد أخلا بالفرضية الأساسية [. . .]».

هاك دليل آخر : عندما أتى الدكتور الفاضل إلى كتاب (بلاغة الفن القصصى) حكم بسخرية لا تخفى بأن ترجمته ليست سوى تعلق بماض زال بزوال أهله؛ وكاد أستاذنا الفاضل أن يحيى تصنيفًا مات بعد ١٩٦٧م. ليحكم (برجعيتى)، أما مترجمو الكتاب (فرجعيتهما) أعظم؛ هذا كله تأسيس على تاريخ صدور الكتاب (١٩٦١) فحسب، أى أن الدكتور الفاضل لم يشر سوى إلى عنوان الكتاب وتاريخ صدوره وعام ترجمته، أما ما يحويه الكتاب فلم يحظ من الدكتور الفاضل ولو بإشارة يتيمة، أو كلمة مفردة. وكان المتوقع ـ لسلامة إجراء اختيار (الفرضية؛؛) على الأقل ـ أن يقارن محتوى الكتاب بواقع النقد الآن، ليحكم بقدمه وأن الترحيب بترجمته بعد كل هذه السنين ليس سوى «مفارقة» على حد تعبيره.

لست فى حقيقة الأمر، بصدد الدفاع عن الكتاب، فالكتاب يدافع عن نفسه بنفسه، وكتاب ليست هذه صفته لا يستحق أن يكتب أصلاً. ثم أن الدكتور لم يقل شيئًا عن الكاتب نفسه ؟ أما سنة ١٩٦١، فلا أدرى شيئًا عن جنايتها عليه.

والخلاصة هى أن الدكتور الفاضل قرأ تاريخ الصدور ولم يقرأ الكتاب؛ وما حاجته إلى قراءة الكتاب والمسطرة فى يده؛

أما من يقرأون الواقع النقدى العربى، بدون مسطرة ومن غير مثلث، وبلا منقلة؛ فقد سرتهم رؤية الكتاب «بلسان عربى». انظر ما كتبه الدكتور عبد الله الغذامى فى نهاية (السحارة) الرياض العدد (٩٦٦٢).



٢ ـ وهم الإلغاء المعرفى

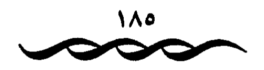
لقد وضعت المقالة المعارف الإنسانية فى سلة واحدة، أو على لوح مسطح واحد، واعملت المقص تقوده أرقام معينة علـى طرف المسطرة؛ مغفلة حقيقة أن المعارف الانسانية تختلف فيما بينها من حيث تطورها، وتختلف من ثم من حيث احتمال إلغاء الجديد منها القديم.

أقول بإيـجاز ـ وإن لم اكن بحـاجة للقـول ـ أن حقلاً يقع فـيه علم كـعلم الكمبيوتر يتطور (تطورا خطيًا) بمـعنى أن اللاحق يلغى السابق؛ فأهل الاختصاص يقولون أن كل عقد من الزمن يشهد ظهور جيل جديد يحيل الجيل السابق ومعظم علومه إلى تـاريخ. تأسيسًـا على هذ لو ترجم شخص كـتابًا، أو مقـالة فى علم الكمبيـوتر صدرا قبل خمس عشـرة سنة؛ لحكمنا بعبثية مـا يفعل، ولأسفنا على ضياع جهده. وقل الشىء نـفسه مع تقليص المدة إلى الثلث. بل دون ذلك ـ عن بحث عن مرض مثل مرض (الإيدز) ـ وقانا الله وإياكم السـوء ـ فالأبحاث فيه قد تصبح (قديمة) قبل ظهورها أحيانا فى الدوريات المتخصصة.

أما الـحقل المـعرفى الذى ينتـمى إليه النقـد الأدبى فحـقل يتطور (تطورا دائريا). بمعنى أن مقولة الإلغاء فيه غيـر واردة فهو يتراكم تراكما تصاعديا دائريا. ولا يلغى بعضه بعضًا من حيث هو فكر قابل لأن تتلبسه حياة فى فترة ما؛ فيصبح جوهره (معاصرا) كرة أخرى بعد أن كان (معاصرا) قبل مئات السنين.

أقول؛ لاينى الفكر النقدى يدور حول قضايا مركزية ذات شعب تقل وتكثر، تتغير صـيغ الأسئلة المطروحة حولها، وتتغيـر المنطلقات، وتختلف الرؤى، نعم ولكن مـهمـا ابتعـد سؤال عن سـؤال ومنطلق عن منطلـق لا يلغى السابق منهـا اللاحق. بل لا يلغى الناقد نفسه أن هو غير موقفه، أو عدله تعديلاً جذريًا، وهم كثر. أن التاريخ نفسه ـ أعنى تاريخ النقد الأدبى ـ ليس شيئًا سوى هذا.

حتى تلك الأفكار التى نظن أنهـا (حديثة) غير مـسبوق إليها نفـاجأ بوجود جوهرها فى كتب جكمنا بأنها كتب صفراء عمرها مئات السنين لا عشراتها، أذكر فى هذا السيـاق بمربع جريماس الشـهير ووجود أشـباهه فى التراث العربـى كما أخبـرنا بذلك د. محمـد مفتاح، انـظر إلى شىء قريب، أعنى تعليق د. ميـجان



الرويلى فى عدد الرياض نفسه الذى نشـرت فيه مقالة (وظيفة الترجـمة)، وحديثه عن أن ما تحـدث به (دريدا) عن الاستعـارة وفناء صورها تحدث عنه الجـرجانى قبله، وما أبعد الأول عن الثانى تاريخيًا وثقافيًا.

بل انظر إلى ما يصدر فى الغرب الآن، تجد فيـه عودة واضحة السمات إلى أفكار وطروحات ظن أقوام إن مد البنائيـة والسيميائية والتفكيكيـة. قد أحالها إلى ذكرى تلوكها رياح التاريخ.

أعوذ لتلك (المـسطرة) الزمنية لأسال مـتى ترجم كتاب سوسـير (درس فى الألسنيـة العـامة) إلـى الإنجليـزية، ألم يترجـم بعد أكـثـر من أربعـين سنة من صدوره؟.

ولم تعد طباعـة كتاب بارت Elements Of Semiology خمس عشرة منذ صدور ترجمتـه الإنجليزية فى ١٩٦٧ ؟ يظهر أن أصحابنا الخواجـات لم يكتشفوا بعد تلك المسطرة السحرية؟

ختاما لهذا الجزء من الحديث أشـير إلى أن الدكتور الفاضل تفضل بسؤالى قائلاً: "ألايرى معى [...] محمد القويفلى أن هذه العـملية [يقصد ترجمة كتاب بوث] ستكون عبورا إلى الخلف؟.

أجيب على السؤال بسؤال هو : أيعتقـد الدكتور العيسوى أن نقد الرواية فى العالم العربى تجاوز (فعـلا) ما فى كتاب بوث؟ بل، هو هل وصل إليه؟ دع عنك جملة أفراد هنا وهناك ليـسوا بحاجة إلى أن يترجم لهم أحـد. اخشى أن المسطرة إياها هى التى أملت السؤال، وما أخطر أن نقرأ الواقع العربى (بالمسطرة).

ولا أدرى كيف وجدت مـقالة (وظيفة الترجـمة) علاقة بين مـا قاله رانسوم عن كتـاب بوث وبين أفكار رانسوم عن الشعـر الفيزيقى والأفلاطونى حـتى يظهر سؤال عما إذا كنت أقبل أن يستشهد طالب النقد فى نهاية ١٩٩٤ بما قاله رانسوم؟ يؤسفنى ألا أكون عند (حسن ظن) الدكتور العيسوى الذى تلطف فظن أنى لا أقبل بذلك ولا أرتضيه.

أقول مجيـبا عن نفسى : نعم أقبل أن يستشـهد طالب النقد فى عام ١٩٩٤ بما قاله رانسوم ومن كان قبل رانسوم ومن كـان قبلهما، وإن وجد طالب النقد فى



حفريات الفراعنة نصوصا نقدية، أو اكتشف نصوصًا على جدران الكهوف، ورأى أن يستشهد بها فله عندى مطلق الحرية أن يفعل ذلك، وأكون له من الشاكرين العارفين بفضله، إن هو دلنى على مصادره.

القضية يا أخى ليست قضية بمن نستشهد فلسنا أمام نص مقدس وآخر غير مقدس، وإنما هى قضية إلمام بطرائق الاستشهاد، وهل يعى المستشهد دلالة ما يستشهد به؟ وهل باستطاعة طالب النقد استثمار ما يستشهد به؟ وهل يتسق ما يستشهد به مع ما هو بصدده؟ وهل. وهل؟ الأسئلة كثيرة، وليس من بينها سؤال بمن نستشهد فى مجال النقد الأدبى.

٣ ـ وهم التماهى الحضارى

لا أكاد أصدق أن مقالة (وظيفة الترجمة) أعملت تلك المسطرة على بساط الحضارة لتقص طرفة قصا زمنيًا؛ اعتقادًا منها أن بإمكاننا أن نساوق الغرب بمجرد ترجمة كتب صدرت عندهم حديثًا؛ لنحقق ـ على حد تعبير الكاتب ـ «معاصرة مماثلة» أسأل ببراءة: ماذا عن ماضيهم هم الذى بنيت عليه تلك الكتب؟ أم تراها نشأت من فراغ؟

نعم ينبغى أن نعرف ما لديهم اليوم، ولكن هذا لا يكفى، لكى نفهم اليوم لابد من أن نفهم الأمس، أليس كذلك؟ أم أن بوسعنا أن نكون جيرانهم فى عمارة مجاورة فى الطابق الخامس الشرفة أمام الشرفة، (نصيد) ما (ينشرون)، ونحن لم نبن بعد الطابق الثانى؟ وما دمنا سنضع أمسهم فى المتحف، ونكتفى بملاحظة يومهم، فماذا عن يومنا نحن؟ وماذا عن أمسنا؟ أعنى ما دام أن أمسهم يدفعنا إلى أن «نتخلف بعض الوقت» وهو أب يومهم وجده، فماذا عن يومنا، وماذا عن أبيه؟ وماذا عن جده؟

رحم الله جدى الذى حدثنى أن رجلاً سأل صديقه الصياد عن أحواله فقال الصياد : أحوالى فى تحسن مطّرد، لقد أمضيت يوم أمس فى البحر سبع ساعات، ولم أظفر بسمكة واحدة.

أما اليوم، فلم تلتقط الشبكة شيئًا، ولكننى لم أمكث فى البحر سوى ست ساعات فحسب.



ملحق ج
أجزاء القصيدة موضوع الدراسة فى مقال «جماليات القصيدة المترجمة إلى العربية»

إلى قبرَة: To a Skylark

Hail to thee, blithe spirit!

Bird thou never wert,

That from heaven, or near it

Pourest thy full heart

In profuse strains of unpremeditated art

أيها الطائر

أيها الطائر الكـريم الذى من أعلى السما يسكبُ قلـبهُ الرقيق بألحـان عذبة شجية تحية وسلامًا.

تارة تحلقُ إلى أعالى السماء. وطوراً تجرى سـابحًا فى عرض الفضاء حتى تلامس الشفق السـاطع بأشعة الشمس الغاربة. شـاديًا أبدًا ما ارتفعت ومرتفـعًا ما شدوت كأنك الفرح المجسم فى أول نشأته وبداءَة عهده.

ترجمة فيلمون أفندى خورى، «المورد الصافى»، المجلد الثالث، ص ٤٣-٤٤

«أيها الطائر المحلق فى الجو. تعرونى لذكراك هزة، وتأخذنى إذا ما أردت تبيـان حقيقـة أمرك حيـرة وارتباك. لا أستطيع أن أعـرف أيها الطائر هل أنت من فصيلة الطير التى تنطلق فى الفضاء

ترجمة على محمود طه سنة ١٩٢٦ السياسة الأسبوعية المجلد الأول عدد ٤٢ ص١٨



أسرابًا تصدح وتغرد، أم أنت أعجوبة من بدائع صنع الطبيعة.

«ألا أيتـهـا الروح الهـوائـيـة، الضـاحكة، الجـذلة، الطروبـة بين الأفنان والأغصان المترنمة، الشادية فى الحدائق والرياض، يحييك قلبى عن كثب.

ترجمة محمد على ثروت، مجلة «السفور»، المجلد الخامس، عدد -٥١٣ ص ٤

إلى طائر صداح

للشاعر العبقرى العظيم شلى

يأيـهـا الروح خـــدلانا يغنـــينا   تحية لك يا صداح واديـــــــنا

طوبى لساحر لحن منك ما عرفت   له الصـوادح من قـبل أفانـــــينا

يفيض قلبـك أنغامًا يســـلـســلها   من ملهم الفن وحى لا يفاديــــنا

ترجمة على محمود طه سنة ١٩٢٦ السياسة الأسبوعية المجلد الأول عدد ٤٢ ص ١٨

إلى قُبرَة: To a Skylark

للشاعر الخالد ب · ب · شيلى

سلامٌ علـيكِ شُـعاعَ الجـمالْ   وركبَ السموَ وروحَ الطَرَبْ

محالٌ تكـونيـن طيرًا، مُـحالْ   وهذا غـناؤكِ شـئٌ عَجَـبْ

يذوبُ من القلب، ضافى الجـلالْ   ليخلد فى آبداتِ الحقـبْ

غنـــاءٌ شـجـى، فريدُ المِثـــالْ   يُشارفنا مِن ثنايا السُحُبْ !

ترجمة مختار الوكيل سنة ١٩٣٣ أبولو المجلد الأول عدد ٧ ص ٨١٥ وص٨٢٢

طائر الحبّ

سمعتُـك هاتـفًا عنـدى   ولكنْ لم أزَلْ وَحْـــدى !

أفتــشُ عنــكَ فى قُربِ   فهل فى القُـربِ مِنْ بُعدِ؟!



وأبحثُ عنك مِنْ وهمى	على غُصنٍ، ومِنَ وَجدى
وأتبعُ جـاريـات السّحْـ	ـبِ فى خوفٍ مِنَ الصَّيْدِ
وأرْجعُ ســائلاً نَحْلــى	عليــك، وســالاً وَرْدى
وهذا البــدرَ وهو يسيـ	ـحُ فى الدّنيا مِنَ المهْـدِ

ترجمة أحمد زكى أبو شادى سنة ١٩٣٤ كتاب «الينبوع» ص ١٢٦ وص ١٢٧.

ويقول المترجم «واستعنا فى هذه الترجمة بالترجمة السابقة التى قام بها الأستاذ الشاعر على محمود طه.

القُبرة

للشاعر العبقرى الإنجليزى «شيللى»

للأستاذ خليل هنداوى

«تعد هذه القطعة أكمل مـا جاء فى الشعر الإنجليزى. وقد نظمهـا صاحبها فى إيطاليا وهو فى الثامنة والعشرين من عمره. وقد قالت امرأته: إنه كان فى أحد أيام الصيف يتجـول فى الغابات وقد سمع صـوت قبرة، فأوحت إليه قـصيدة من أسمى قصائده»

(خ . هـ)

سلامًا عليك أيتها الروح المرحة!

أنت لستِ بطائر

يا من تسكبين من السماء ومن الطباق المجاورة

ألحانًا مبتكرة - علينا - يطفح قلبك بها

ترجمة خليل هنداوى سنة ١٩٣٨ مجلة الرسالة المجلد ٦ العدد ٢٣٥ ص ١٨ وص ١٩.



القُبرة

للشاعر الإنجليزى بيرسى بيش شيلى

وقصائده الثلاث فى السحابة، والرياح الغربية، والقبرة، من أشهر الغنائيات فى عالم الشعر. ولما كانت القصيدة الأخيرة من أحفلها بصور الخيال والجمال التى لا مشبه لها فقد آثرت نقلها إلى العربية غير مجترئ على معانى الشاعر وأفكاره وسياقه الشعرى بشىء من الحذف، بل مضيفًا ما يقتضيه إظهار المضمر من المعنى وتبسيط المركب من الخيال مراعيًا فى التعبير عن الأصل الإنجليزى ما توحى به مقتضيات البيان الشعرى العربى. وجامعًا ما أمكن بين الاثنين.

يأيها الرُّوحُ يهفو حوله الفرحُ   تحية أيُّهذا الصادحُ المرحُ

من أمّة الطير هذا اللحنُ ما سَمِعت   بمثله الأرضُ، لا روضٌ ولا صَدَحُ

أنت الذى من سماء الروح منهلُهُ   خمرٌ إلهية لم تحوها قَدَحُ

ترجمة على محمود طه سنة ١٩٤٢ ديوان «أرواح شاردة» ص٤١ إلى ص ٤٦.

إلى قُبرَة

سلام لك أيها الروح الطروب

ما أنت أبدًا بطائر

يسكب كل قلبه

من السماء أو قربها

فى فيض من أنغام الفن الطليق.

ترجمة المسبرى وزيد سنة ١٩٦٤ كتاب «الرومانتيكية» ص ٢٦١



I. Still Falls the Rain	**ما يزال المطر يسقط**
The Raids, 1940. Night and Dawn In the Potter's Field, and the sound of the impious feet	الغارات على لندن ١٩٤٠ ليلاً وفجراً على حـقل الفخـار (المقبـرة). ووقع القدم المستخفة
the human brain Nurtures its greed, that worm with the brow of Cain	والدماغ الإنـساني يغذى شـرهه- تلك الدودة فى جبهة قابيل
still falls the Rain At the feet of the Starved Man hung upon the Cross. Christ that each day, each night, nails there, have mercy on us- On Dives and on Lazarus: Under the Rain the sore and the gold are as one. Still falls the Rain- Still falls the Blood from the Starved Man's wounded side: He bears in His Heart all wounds, - those of the light that died	مـسيح كل نهـار - كل ليلة - مسـاميـر هناك تسبغ الرحمة علينا على (ديفيس) والعازر؛ تحت الـمطر الجـرح والذهب همـا واحد. ما يزال المطر يسقط ما يزال الدم يسقط من خاصرة مجرحة إنسان معذب يحـمل فى قلبه الجـراح كلها، جـراح الضوء الذى يتلاشى



II. Harvest TO STEPHEN SPENDER The young women wait like the mother of corn for the Lost one- Their golden eyelids are darkened like the great rain-clouds. But in bud and branch the nature of Fate begins -And love with the Lion's claws and the Lion's hunger Hides in the brakes in the nihilistic Spring,-	حصاد مهداة إلى ستيفن سبندر النساء الفتيات تنتظر كأم الذرة عودة الضائع - أجفانها الذهبية مسودّة كغيوم المطر الضخمة. لكن طبيعة القدر تبدأ فى البرعم والغصن. - والحب مع مخالب الأسد وجوع الأسد يختبئ فى الأجم فى الربيع العدمى
And Christ has forgiven all men- the thunder-browed Caesar,	لكن المسيح قد غفر لكل إنسان - قيصر الذى له جبهة الرعد
Ripening our lives and ruling hearts and rhythms,	تنضج حيواتنا وتحكم القلوب والنبض،
Creating other Beasts- the Lion a Lion, the Bull a Bull, The Bear a Bear- some like great stars in the rough	خالقًا بهائم أخرى - الأسدُ الأسدَ - والثورُ الثورَ الدبُ الدبّ - بعضها كالكواكب العظيمة فى العتمة الخشنة غير المكونة - أو عوالم غير مصورة

And uncreated dark- or unshaped universes With manes of fire and a raging sun for heart.	بأعراف من لهب وشمس غاضبة من أجل القلب ؟
For those who build great mornings for the world From Edens of lost light seen in each other's eyes Yet soon must wear no more the light of the Sun, But say Farewell among the morning sorrows. The universal language -of the Bread- (O Thou who art not broken, or divided- Thou who art eaten, but like the Burning Bush Art not consumed- Thou Bread of Men and Angels)-	لهؤلاء الذين يبنون الصباحات العظيمة من أجل العالم من جنات عدن لضياء ضائع رآوه الواحد فى عينى الآخر وعليهم أن لا يلبسوا قريبًا ضوء الشمس بل أن يهتفوا بكلمات الوداع بين أحزان الصباح. لغة الخبز العالمية - (أنت أيها الذى لم يكسر، أو يقسم - أنت الذى يؤكل، ولكنك كالعوسجة الملتهبة لا تُستهلك - أنت يا خبز البشر والملائكة)

III. Song

We are the darkness in the heat of the day,
The rootless flowers in the air, the coolness: we are the water
Lying upon the leaves before Death, our sun,
And its vast heat has drunken us . . . Beauty's daughter
The heart of the rose and we are one.
We are the summer's children , the breath of evening , the
days
When are all may be hoped for ,- we are the unreturning
Smile of the lost one , seen through the summer leaves -
That sun and its light scorning

أغنية

نحن العتمة فى قلب حرارة النهار
الزهور التى لا جـذور لها فى الهـواء،
البرودة نحن الماء
الراقد لـى الوراق قبل المـوت، ها قد
شربنا الشمس وحرارتها الواسعة
إن ابنة الجـمـال وقلـب الوردة ونحن
أصبحنا شيئًا واحدًا
نحن أبناء الصيف ونفس المساء والأيام
التى يحلو فيها كل شئ
نحن الابتـسامة الضـائعة التـى لا تعود
تراها من خلال أوراق الصيف
تلك الشمس بنورها المزيف المحتقر.



المراجع العربية

* آبس، جيرولد. *التعليم العالى فى مجتمع متعلم* (١٩٨٨) ترجمة د. شحدة فارع (عمان: دار البشير، ١٩٩١).

* أحمد، د. حامد أبو. *نقد الحداثة* (الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، كتاب الرياض: ٨، ١٩٩٤)

* السيد، أحمد لطفى. «أفكار لا تموت» أعيد نشره فى مجلة *العربى* الكويتية، العدد ٣٧٢ نوفمبر ١٩٨٩ وسبق نشره فى مجلة *الهلال المصرية*، عدد ٣، مجلة ٣٣، عام ١٩٢٤.

* أمين، أحمد وآخرون. *ديوان حافظ إبراهيم* (بيروت: دار العودة، د.ت صورة عن طبعة ١٩٣٢ المصرية).

* أوريل، جورج. **١٩٨٤** ترجمة ع.عبد الرحيم (دمشق: دار الأديب للطباعة والنشر، د. ت).

* أوريل، جورج. **١٩٨٤** ترجمة عبد الكريم ناصيف (دمشق: دار نوبل ١٩٨٦).

* أوريل، جورج. **١٩٨٤** ترجمة عزيز ضياء (الرياض: مؤسسة تهامة، ١٩٨٤).

* أوريل، جورج. **١٩٨٤** ترجمة د. رمسيس عوض، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤).

* بازعى د. سعد أل - د. رويلى، ميجان أل - *دليل الناقد الأدبى* (الرياض: العبيكان، ١٩٩٥).

* بدير، د. حلمى. *الشعر المترجم وحركة التجديد فى الشعر الحديث* (القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٩١).



* بوث، وين. *بلاغة الفن القصصى* (١٩٦١) ترجمة د. احمد خليل عرادات، ود. على الغامدى (الرياض: مركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٩٩٤).

* جاردنر، جون دبليو. *التميز: الموهبة والقيادة*، ترجمة د. محمد محمود رضوان (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٨٩).

* جب، جون. *موسوعة المصطلح النقدى* ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤه (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣).

* جريدة «الشرق الأوسط»، العدد ٥٩٧٣: ٤ إبريل ١٩٩٥.

* خورشيد، د. إبراهيم زكى. *الترجمة ومشكلاتها* (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥).

* رؤوف، د. جيهان صفوت. *شلى فى الأدب العربى فى مصر* (القاهرة: دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية: ٨٧، ١٩٨٢).

* روزنتال، فرانس. *تراث الإسلام* ترجمة حسين مؤنس و إحسان العمر (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٨٨).

* زكى، د. أحمد. عن *ألف ليلة وليلة* فى «فصول»: شتاء ١٩٩٤.

* سلدن، رامان. *النظرية الأدبية المعاصرة* ترجمة د. جابر عصفور (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١).

* شلق، على. *رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى*: شرح وتحقيق (بيروت: دار القلم، ١٩٧٥).

* شيخو، لويس. *شعراء النصرانية قبل الإسلام* (بيروت: دار المشرق، ١٩٦٧).

* عظمة، د. نذير آل - «هوثورن: الشارة القرمزية» فى «بناة الأجيال» (دمشق العدد الرابع، أكتوبر ١٩٩٢).



* عظمة، د. نذير آل - *بدر شاكر السياب وإديث سيتويل*: دراسة مقارنة (الكويت: دار المعرفة ١٩٨٣).

* عبد النور، جبور. *المعجم الأدبى* (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩).

* عنانى، د. محمد. *المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم إنجليزى - عربى* (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، أدبيات، ط١، ١٩٩٦).

* عنانى، د. محمد. فن الترجمة (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ١٩٩٢).

* علبى، د. أحمد. «الأساس الاجتماعى للغة» فى مجلة *«العربى»* الكويتية، العدد ٤٠٢، مايو ١٩٩٢).

* عمارة، د. محمد. تحديات لها تاريخ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٢).

* صبحى، محمد. «مجلس التعاون الخليجى كتجربة للتكامل الاقتصادى» فى *السياسة الدولية*: ٩٤، أكتوبر ١٩٨٨.

* ضيف، د. شوقى. تاريخ الأدب العربى ٣: العصر العباسى الأول (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦).

* ضيف، د. شوقى. تاريخ الأدب العربى ٤: العصر العباسى الثانى (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣).

* طهطاوى، الشيخ رفاعة رافع. تلخيص الإبريز فى زيارة باريز (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٨٤٩).

* قليبى، د. الشاذلى آل. «تعريب العلوم.. وقضية التنمية» فى *«الأهرام»* عدد ٣٩٢٢٣ بتاريخ ٢٧/٤/١٩٩٤.



* قويفلى، د. محمد أل. «وظيفة الترجمة بين حرف المسطرة والمقص» فى جريدة الرياض ٩٧١٩ بتاريخ ٢/٢/١٩٩٥.

* موسى، د. فاطمة. «مخطوطات ألف ليلة وليلة فى مكتبات أوروبا: مخطوطات مونتاجو بأكسفورد» فى «*فصول*»: شتاء ١٩٩٤.

* مومزن، كاتارينا. ***جوته والعالم العربى*** ترجمة د. عدنان عباس على ومراجعة د. عبد الغفار مكاوى (الكويت: كتاب عالم المعرفة رقم ١٩٤، ١٩٩٥).

* محمد، د. فوزى عطية. ***علم الترجمة: مدخل لغوى*** (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٨٩).

* ماثيوز، جاى. ***إسكالنتى: أفضل المعلمين فى أمريكا*** (١٩٨٨) تدقيق وتحرير د. فاروق منصور (عَمّانْ: مركز الكتاب الأردنى، ١٩٩٠).

* نوكس، آلان. ***معاونة الكبار على التعلم: تخطيط البرامج وتطبيقها وادارتها*** (١٩٨٦) ترجمة د. محمود رضوان (القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٣).

* هنا، د. غانم. «تساؤلات حول مشكلات الثقافة العربية» فى مجلة ***المستقبل العربى*** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠).

* هلال، د. محمد غنيمى. ***الأدب المقارن*** (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧).

* هوثورن، ناثنيال. ***الشارة القرمزية*** ترجمة جاذبية صدقى (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨).

* وهبة، د. مراد. «***فولتير ثمرة عصره***» مجلة إبداع، العدد ٨، أغسطس ١٩٩٤.

* وهبة، د. مجدى. ***معجم مصطلحات الأدب*** (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٤).



المراجع الأجنبية

* Baugh, Albert C., and Cable, Thomas. ***A History of the English Language*** (Routledge and Kegan Paul, 3rd edn., 1981).

* Bell, Roger T. ***Translation and Translating: Theory and Practice*** (Longman: 1991).

* Blair, Walter, ***et. al. The Literature of the United States*** (Chicago: Scott, Foresman and Company, 1957).

* Dorsin, Dionyz. ***Theory of Literary Comparitistics*** (Bratislava: Publishing House of the Slovak Academy of Sciences, 1984).

* Hawthorne, Nathaniel. ***The Scarlet Letter***, ed. Harry Levin (Boston: Houghton Mifflin Company, 1969).

* Macneille, W. and Grierson, J. C. ***The English Parnassus*** (London: Oxford University Press, 1952).

* Newton, K. M. ***Theory into Practice: A Reader in Modern Literary Criticism*** (Macmillan, 1992).

* Preminger, Alex. ***et. al. , eds., The new Princeton Encyclopedia of Poetry and Poetics*** (Princeton: Princeton University Press, 1993).

* Russell, Bertrand. ***Wisdom of the West*** (London: Fawcett World Library, 1966).

* Shaw, Harry. ***Dictionary of Literary Terms*** (New York: McGraw Hill Book Company, 1972).

* Weintraub, Stanely. ***Victoria: Biography of a Queen*** (London: Unwin, 1987).





كتب و مترجمات و دراسات للمؤلف

- *الترجمة إلى العربية: قضايا وآراء* (القاهرة : دار الفكر العربي ، طبعة أولى ، ١٩٩٦) .
- *الترجمة إلى العربية : قضايا وآراء* (القاهرة : دار الفكر العربي ، طبعة ثانية ، ٢٠٠١) .
- *دراسات في الأدب العربي المعاصر* (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٩٨) .
- كتب مترجمة :
  - *موهوبون ولكن في خطر* - ٤
  - *الانضباط الفصلي عن طريق كسب ود الطلاب واحترامهم* - ٥
  - *إعادة هيكلة برامج إعداد المعلمين* - ٨

والكتب الثلاثة بأرقامها ترجمت لصالح **دار المعرفة للتنمية البشرية** (الرياض : السلسلة العالمية للتربية والتعليم ٤ ، ٥ ، ٨ - بالتعاون مع مؤسسة فاى دلتا كابا للتربية ، بلومنجتون ، إنديانا ، ١٩٩٠) .

  - *الإدارة الذاتية الناجحة* - تحت الطبع .
- دراستان في الترجمة إلى العربية في طريقهما إلى النشر :
  - **"ثقافتنا والترجمة إلى العربية"**
  - **"الترجمة الآلية والشعر"**
- دراسات باللغة الإنجليزية :
  - **"Anti-Arabism in Jonathan Raban's Arabia through the Looking Glass"**
  - **"Edward Said: Acontemporary Critic"**
  - **"Toni Morrison and Remapping the American Literature"**

- له العديد من المقالات والدراسات في الصحف العربية والمشاركات في الندوات و المؤتمرات الأكاديمية، كان أخرها ندوة الأهرام الدولي حول **"الاستشراق والترجمات المعاصرة" في ٢٠٠٠/٦/١٩ بالقاهرة .**



رقم الإيداع	٧٩١٠ / ٩٥
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 10 - 0765 - 3